المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة الأدب والبلاغة

شعر الحرب بين البحتري والمتنبي

دراسة موازنة

رسالة

مقدمة للحصول على العالمية (الماجستير)
في الأدب والنقد

إعداد :

الطالب / زيد بن محمد بن غانم الجهني
المعيد في كلية اللغة العربية

إشراف :

الأستاذ الدكتور طه مصطفى أبو كريشة
رئيس شعبة الأدب والبلاغة

١٤١٠ هـ

مجلد (٢)

الباب الثالث

الخصائص الفنية لشعر الحرب عند الشاعرين

الفصل الأول

الخصائص الفنية لشعر الحرب عند البحترى

الفصل الثانى

الخصائص الفنية لشعر الحرب عند المتنبي

الفصل الثالث

الموازنة بين الخصائص الفنية لشعر الحرب عند الشاعرين

الفصل الأول

الخصائص الفنية لشعر الحرب عند البحتري

خصائص الشكل :

- الألفاظ والتراكيب
- الصورة البيانية
- القيم الصوتية
- البناء الفني لقصيدة الحرب عند البحتري

خصائص المضمون :

- التجربة الشعرية
- العاطفة
- الأفكار

الخصائص الفنية لشعر الحرب عند البحترى

أولاً : الخصائص الفنية من حيث الشكل :

١ ـ الألفاظ والتراكيب :

أ ـ الألفاظ :

معرفة جمال الكلمة المفردة وقبحها فى موضعها لا يتأتى إلا بعد تجربة وذوق سليم ، بيد أن النقاد قد وجهوا الكتابَ أو الشعراءَ إلى مواطن الحسن أو القبح وأرشدوهم إليه من هؤلاء القاضى الجرجانى إذ يقول : (أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعانى ، فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجاؤك كاستبطائك ، ولا هزلك بمنزلة جدك ولا تعريضك مثل تصريحك بل ترتب كلاًّ مرتبته ، وتوفيه حقه ، فتلطف إذا تغزلت ، وتفخِّم إذا افتخرت ، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف ، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمُدام ، فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به ، وطريق لا يشاركه الآخر فيه) . (١)

وقد أشار ابن الأثير إلى أن صاحب الصناعة اللفظية محتاجُ عند تأليفه لثلاثة أشياء :

(الأول : منها اختيار الألفاظ المفردة . . . فإنها تتخير وتنتقى قبل النظم .

الثانى : نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها لئلا يجيء الكلام قلقاً نافراً عن مواضعه ... .

---

(١) الوساطة لعلى بن عبد العزيز الجرجانى (٢٤) .

الثالث: الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعـــــه... ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه)[١].

ثم تحدث عن انقسام الكلمات إلى جزلة ورقيقة وعن مواضع كل منها فقـــال :

(فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروب ، وفي قوارع التهديد والتخويف وأشباهِ ذلك ، وأمّا الرقيقُ منها فإنه يستعملُ في وصف الأشــواق وذكر أيام البِعاد ، وفي استجلاب المودّات ، وملاينات الاستعطــــاف وأشباه ذلك)[٢] ثم بين مراده من الجزل والرقيق من الألفاظ فقــال :

(ولست أعني بالجزل من الألفاظ أن يكون وحشيّاً متوعّراً ، عليه عنجهية البداوة ، بل أعني بالجزل أن يكون متيناً على عذوبته في الفم ، ولذاذتــه في السمع ، وكذلك لست أعني بالرقيق أن يكون ركيكاً سفسفاً ، وإنما هــو اللطيف ، الرقيق الحاشية ، الناعم الملمس)[٣]

وأما الدلائلُ الدالّةُ على حسن الكلمة فليس هو الاستعمال لهـــا أو طولها أو قصرها ، أو إجازة اللغة لها فان لكل مقام مقالا ، ولكل حالـــة لبوساً فالجمال الصوتي مرجعه إلى النطق والسمع ، فالنطق للمخارج وخِفّتِها على اللسان وعذوبتها فيه والسمع للذاتها فيه ، واستمتاعه بها (فــــان حاسة السمع هي الحاكمة في هذا المقام)[٤]

---

(١) المثل السائر لابن الأثير (١/ ٢٤٥) .

(٢) المرجع نفسه (١/ ٢٧٥) .

(٣) المرجع نفسه (١/ ٢٧٥) .

(٤) المرجع نفسه (١/ ٢٥٩) .

وشاعرنا البحترى كان حريصاً على اختيار ألفاظه مما أكسب شعره خفة على اللسان وقبولاً فى الآذان ، وموافقة لحركات النفس ، ومطابَقَة للصورة التى يريد التعبير عنها ، وقد شَهِد له بذلك فحولُ النقاد ، فدارت خصومات حوله بين أهل عصره أو من جاء بعدهم ، كلٌّ ينصرُ قوله بالحجة والبرهانِ ، وقف فى صفّه من حَبّذ حسن العبارة على دِقّة الفكر ومتاهاته وكلٌّ من وصف شعَره أشار إلى هذه الحال وهذه الديباجة ، وقد تقدّم الحديث عن ذلك فى الفصل الأول من الباب الأول.

وقد سَخّر البحترى حسنُ عبارته هذا فى شعره عامة وفى شعره الحربى خاصة ، فإذا بحثنا فى النّغمِ الصوتى عنده وما وراءه من جمال وأقصد نغم الكلمات مفردة لا مركبة وجدناه متمثلاً فى مثل قوله فى وصف الفتح ابن خاقان :

يُبَجّلُ إجلالا ويُكبَرُ هيبةً * أصيلُ الحجى فيه تقىٌ وتواضعُ
إذا ارتدّ صمتاً فالرؤوس نواكس * وإن قال فالأعناق صورٌ خواضعُ
وتسودُّ من حمل السلاح ولُبْسِهِ * سرابيلُ وضاحٍ به المسك رادعُ
منيف على هام الرجال إذا مشى * أطال الخطى بادى البسالة رائعُ
وأغلب ماتنفك من يقظاته * رَبَايا على أعدائه وطلائعُ
جنان على ما جرّت الحرب جامع * وصدرٌ لما يأتى به الدهر واسعُ
يدٌ لأمير المؤمنين وعُـدّةٌ * إذا التاث خطبٌ او تغلب خالعُ
مُغامِس حرب ماتزال جيادُهُ * مطلّحةً منها أسيرٌ وظالعُ
جديرٌ بأن تنشق عن ضوء وجهه * ضبابة نقعٍ تحته الموتُ ناقعُ
وأن يهزم الصفَّ الكثيفَ بطعنةٍ * له عاملٌ فى إثْرِهـا متتابعُ
تذود الدنايا عنه نفس أبية * وعزم كحدِ الهندوانى قاطعُ

بعيد مَقيْلِ السّرّ لا يقبل التى * يحاولها منه الأريب المخـادعُ
ومُكتتمُ التدبير ليس بظاهـر * على سِرّه الرأىُ الذى هو تابـعُ
ولا يعلمُ الأعداء من فرط عزمه * متى هو مصبوبٌ عليهم فواقـعُ
خلائق ما تنفك توقف حاسداً * له نَفَسٌ فى إثرها متراجـعُ (١)

ففى هذه الأبيات جمال نغم، متمثلٌ فى المفردات ويعاونها التراكيب والوزن والقافية ، بيد أنّ جمال المفردات قد أضفى على الأبيات إشعاعاً خاصّاً فهى ألفاظ مألوفة مأنوسة (إجلالاً ، هيبةٌ ، أصيلُ الحجى تقىٌ ، تواضعٌ ، صمتاً ، نواكسُ ، صُوَرٌ ، خواضعُ ، سرابيل ، المسك ، الخ) وفيها ملاءمة للغرض فالموضوع مدح بالشجاعة وإبراز لأشهر صفات القائد ، فقد اختار ألفاظاً جامعة بين الجزالة والفصاحة ، محتوية لأشهر مفردات ما يوصف به القائد كقوله : يُبَجّلُ ، يُكْبَرُ ، الرؤوس نواكس الأعناق صور خواضع ، من حمل السلاح ، ولبسه سرابيل ، منيفٌ ، بادى البسالة ، ربايا وطلائع ، التاث ، خطب ، مغامس ، حرب ، جياده مُطَلّحَةٌ ، ضبابةُ نَقْعٍ ، ناقع ، الصفّ الكثيف ، عامل) .

ومثله قوله فى مدح اذكوتكين :

أباح حمى الديالم فى حروب * سَقَتْ هِيَمَ القنا حتى روينـا
إذا طلبوا لها الأشباه كانت * غرائبَ ما سمعن وما رُوينـا
وأعهدُ أرضهم أعدى سباعاً * وآشب دون عادية عرينـا
فتلك جبالُها عادت سهولا * وكانت قبلَ مغزاه حزونـا
وكانوا جمع مملكة فآبـوا * طوائفَ فى مخابيهم عِزينـا
ولم ينج ابنُ جستان لشىءٍ * سوى الأقدار غالبت المنونـا

(١) ديوانه (٢/١٣٠٣ — ١٣٠٥).

وكم من وقعةٍ قد رام فيها * ظهورَ الأرضِ يجعلُها بطونَا
يصدُّ عن الفوارسِ صدَّ قالٍ * عن العشرات يحسبها مِئينا
يلاوذ والأسنة تدّرِيه * شمالاً حيث وَجّه أو يمينا (١)

فقد جمعت بين الأُلْفِ والأُنْسِ ، وبين الجزالة والمناسبة للغرض مع ما فيها من الجرس الموسيقى وتكرار الحروف لما فيه من المناسبة التى توائم بين اللفظ والمضمون .

هذا والبحترى يختار كلماتِهِ اختياراً مُتَعَمَّداً ، لأنه يرى ذلك كما قال فى بيت له :

واللفظُ حَلْيُ المعنى وليس يُريكَ الصفرَ حُسْناً يريكه ذهبُهْ (٢)

فهو إذا عبر بكلمة لم يكن تعبيره بها خبط عشواء من مثل قوله :

سَحّتْ سَحَابَ المنايا فوق هامِهِمُ * صوباً من الموت دانى الودقِ والدِّيَمِ (٣)

فإنه قال :

سحّت ولم يقل صبّت لإفادة الكلمة معنيين :

فالسين والحاء صوتان مهموسان رخوان مرققان يفيدان بمقدار مدّهِما الشمولَ والانتشارَ فلو قال (صبّت) لما وُفّت بذلك المعنى ، ومثله قوله عن خيل ممدوحه :

ما انتهى الأعداء حتى ناقلت * حُصُن الخيل بأنباء الحُصُن
كلما احمرّ لها البأس ثَنَتْ * وهى مما وطئت حمر الثُّنَنْ (٤)

---

(١) ديوانه (٤ / ٢٢٠٩ — ٢٢١١) .
(٢) ديوانه (١ / ٢٠٩) .
(٣) ديوانه (٤ / ٢١٣٠) من قصيدة يمدح بها اذ كوتكين .
(٤) ديوانه (٤/ ٢١٥) من قصيدة يمدح بها أبا جعفر الطائى .

فإنه قال (ناقلت) ولم يقل (حَملت) من الحَمل ، لأن النقل فيه سرعة مع حمل ، وهو مراده ، فإن أعداء ممدوحه لم ينتهوا عن القتال حتى أبيدوا بسرعةٍ فائقةٍ كان نتيجتُها نقلُ الخيل لنسائهم الحصينات المُحَصّنَات بالقلاع .

وقال (احمرَّ) ولم يقل : يسود لكون العرب تصف الأمر إذا اشتد بالاحمرار .

وقال : (ثَنَت) ولم يقل : (رجعت) لأن الأولى تدل على التراخي في الرجوع لصبرها على الجِلَاد حتى ظهرت النتيجة ، وللمجانسة مع ما بعدها ، وقال : (حُمْرُ الثُّنَنْ) ولم يقل : (حُمْرُ الأقدام) لأن الثُّنَنَ مجانسة لما قبلها ، ولكونها أعلى من القدم مما يدل على كثرة الدماء التي وطئتها ، وقال قبلها (وَطِئَتْ) ولم يقل (داست أودَهَسَت) لأن الوطء يناسب حوافر الخيل ، والدوس أو الدهس يناسب أخفاف الابل ولأن الدوس يقتضي التكرار على المدوس حتى يتأثر أو يؤثر ، أما الوطءُ وأثرُه فيلحق لأول وهلة الموطوء وفيه دلالة على انتشار الدماء في كلِّ مكان ، مع ما في الكلمة من الشِّدَّة ، فالطاء حرف شديد مهموس .

ومما يحمد للبحتري حسنُ استخدامه لحروف الجر ، إذ كان قليل التكرار لها، وإن كررها فلا يتابع بينها بدون فواصل ، وان اختلفت ألفاظها ، (ذلك لأنها تحتاج إلى غيرها في التعلق والارتباط ، والذهن تلقائياً إذا سمع الحرف اتجه إلى متعلقه ، فإذا تتابعت لم يستطع أن يلاحقها في البحث عن متعلقاتها ، مما يشتت الفكرَ ، ويجعله يفقد الصلة بين الالفاظ ومعانيها) (١)

---

(١) في ميزان النقد الأدبي د / طه أبو كريشة (٢٦) الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ .

هذا وشعر البحترى كثيرُ التفاوت من حيث خشونَته أو نعومَتُه وغلظتَه أو ورقته وشدة جرس حروفه أو خفته ، فإنا نجدُه مرة يخشن ، ومرة يلين ، ومرة يغلظ ومرة يرق ، وخيرُ دليل على ذلك قوله فى وصف شجاعة بنى الفُصَيْص :

معاقلهم سمُر القنا وكنوزُهم * شريجان أسيافٌ وقمص حديد (١)
إذا غمرات الموت أدجت تكشّفت * بهم عن أسود زوحفت بأسود (٢)
هم أخمدوا نار العدو وأوقدوا * من الحرب ناراً غيرُ ذات خمود
بشهباءَ من ماء الحديد كأنّها * جبالُ شَرَوْرَى أضرمت لوقود
تُريك إذا ما الحرب غامت سماؤها * نجومَ صِعَادٍ فى سَمَاءِ صَعيد
فلم يبق من أعدائهم غير موغل * به الخوف أو نائى المحل شريد
يمزّقهم وقع الصفيح فموثَق * أسيرٌ ومسلوبُ الحشاشة مود (٣)

فانه قد استخدم كلماتٍ قويةَ الجرس ، ذات جهر شديد ، جمعت بين المهموس شديد الهمس والمجهور شديد الجهر أو متوسطه ، ومن حرفٍ مرقق ، وآخر مفخم ، وقد يجمع بين حرفين شديدى الجهر أو شديدى الهمس ، وكل ذلك فى كلماته التى ضمنها أبياتَهُ السابقة ومنها : (معاقل شريجان ، غمرات ، أدجت ، تكشفت ، زوحفت ، نار ، خمود ، بشهباء ، شرورى ، غامت ، صعاد ، صعيد ، مُوْغل ، يمزقهم ، وقع الصفيح ، موثق ، أسير ، مسلوب الحشاشة مود) فكلّها كلمات حربية شديدة الوقع كأنّه يحذر أعداء ممدوحه بها ، وهى مناسبة لمقام الحرب ، إذ وصف

---

(١) شريجان : نِصْفان أو لونان مختلطان . لسان العرب مادة : شرج
(٢) أدجت : أظلمت . لسان العرب مادة : دجا .
(٣) ديوانه (٢ / ٧٧٩) .

فيها كتائبَ قوم ممدوحه ، وما تحدثه من غبار قام مقام السحب ، وتلالؤ السيوف قام مقام النجوم في سماء سقفها من الصعيد لكثرة الغبار ، فقد أحسنَ اختيار هذه الألفاظ التي مَثَّلَتْ هذا الجو ، فقوله : (معاقلهم) دلالته توحي بجعل الرماح حصوناً يمتنع بها الفرسان ، وهذا من ثقتهم بأنفسهم ، وإدْلالهم بشجاعتهم كما أنه يبرز لنا أهمية هذه الرماح بالنسبة لهم .

وقوله : (أَدْجَتْ) فيه وصفٌ لهولِ المعركةِ وغمراتِ الموت ، تأكيداً على عِظَمِ هذا اليوم ، الذي غدت مصائبه كالظلمة المُدْلهِمَّة التي تحول الضياء دجى ، والنهار ليلاً .

وقوله (بشهباء) في وصف الكتيبة دليلٌ على كثرة عتاد فرسانها حتى ليخيل إلينا عند بريق سيوفهم ولمعان رماحهم وانعكاس ضوء الشمس على بَيْضهم ، أَنّنا أمام بحرٍ زاخرٍ ، يبدو لعين الناظر من بعيد ، فكان أقرب الألوان إليه الشُّهْبَة .

وهناك الكثير من الألفاظ التي تدل على اختياره لها ، كما تدل على تذوقه لدلالاتها ، مع ما توحيه من عِظَمِ الموقف لفخامتها وجزالتها .

وقد نجد ألفاظه بخلاف ما سبق رقيقةً ليِّنَةً تدل على انشراح ونشوة وفرح كقوله في مدح المعتمد على الله ووزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان :

مظفَّرٌ ما تكاد تسري منالآفاق إلا بِمُفْرِح بُرُدُهْ

أرسال خيل إذا أطَلَّ بها * على أقاصي ثغرٍ دنا أَمَدُهْ
إنْ رفعتْ للعدى قساطِلُها * أنجز صرفُ الزمان ما يَعِدُهْ
وأقْعَنَ جمعَ الشراةِ مُحْتَفِلاً * بالزاب والصّبحُ ساطعٌ وَقَدُهْ
غداة يومٍ أعيا على عُصَبٍ * من المُحِلِّيْنَ أن يَكِرَّ غَدُهْ

أين نجوا هاربين عارضَهمُ * باغ من الموتِ مشرفٌ رَصَــــدُه
باتوا وبات الخطِّيُّ آونـــةً * منشبةٌ فى صدورهم قِصَــــدُه
يختلطُ الزّاب فى دِمائهِـــم * حتى غَدَا الزّابُ مشرباً زَبَــدُه (١)

فإننا نرى خفة أغلبَ ألفاظِ هذه القصيدة وتتابعها دون تعقيد .

كذلك نلاحظ خُلُوَّها من الغريبِ،ولا يعنى هذا عدم وجود ألفاظ غريبة فى شعره الحربى ، فإن له منه بعض الشيء ولكنه لا يُعَدُّ،لغزارة شعره وكثرته ، ومنه قوله :

يرمى فما يَشْوى ويقتل من رَمَى * بسِهامِ لا هَدَفٍ ولا بِرْجَاسِ (٢)

فيشوى أى يصيب غير مقتل ، فهو قد أثبت لها الإصابة فى المقتل والبرجاسُ كلمةٌ مولّدة تعنى الغرض يكون فى الهواء ، فسهامه لا تستخدم لإصابة الهدف ، ولا لما يرمى فى الهواء فيتسابق الفرسان الى اصابته والذى دعاه إلى الاتيان بهذه الكلمة الغريبة هنا ، إنما هو واقع التسمية لذلك الغرض .

ب ـ التراكيب :

تراكيب شعر البحترى حسنةُ السبك ، جيدةُ التأليف .

وللتراكيب عنده دلالةٌ ظـاهرةٌ ، فإنه ينتقيها انتقاء فريداً بحيث لو وضع غيرها بدلاً عنها لم يف بالمعنى المراد ومن ذلك قوله :

فلم يَبْقَ من أعدائهم غير موغِلٍ * به الخوف أو نائي المحل شريــد
يمزقهم وقع الصفيح فموثَـــقٌ * أسيرٌ ، ومسلوب الحشاشة مود (٣)

---

(١) ديوانه (٢ / ٧٣٧ـ٧٣٨) وانظر مثلها (٢ / ٦٦٧ ، ٣ / ٢٠١٥ ، ٤ / ٢٢٠٠) .

(٢) ديوانه (٢ / ١١٦٥) من قصيدة مدح بها محمد بن عبد الله بن طاهر

(٣) ديوانه : (٢/٧٧٩)

فإنّه قد أظهر نتيجة لقاءاتِ كتيبةِ ممدوحيه الشهباء ، والتى جعلت أعداءهم فِرْقة قد بلغ بهم الخوف مبلغاً عظيماً وعبّر عن ذلك بقوله : (موغل به الخوف) فمثّل الخوف شخصاً ، ومثّل قلوبهم أرضاً قد سار فيها هذا الشخص حتى كاد يختفى ، فكذلك مبلغُ الخوف منهم ، ونتيجة لهذا الخوف فقد أبعدوا فى ديارهم لم يسكنوا بأطرافها كعادتهم ، فَشُرِّدوا شرّ مشرّد .

وفرقة قد قطّعتهم السيوف ، وقد عبّر عن ذلك بقوله : (يمزقهم وقع الصفيح) وهو أدل ، لأنّ التمزيق فيه شدة تقطيع ، وإمعان فى التفريق ونسب التمزيق للوقع لشدّتِه ، ولم ينسبه للسيوف لأنّ العبرة بما تحدثه ، ونتيجةً لهذا التمزيق فقد تفرقوا: ففرقةٌ وقعوا قتلى ، وفرقةٌ أُخذوا أسرى ، وعبّر عن الأسرى بقوله(موثق) وعن القتلى بقوله (مسلوبُ الحشاشة مودِ) للدلالة على شدة الحرب .

وأما جُمَلُ تراكيبِه فإنها تتراوح بين الخبرية والإنشائية ، وقد تكثر الخبريّةُ فى بعض قصائده ، وميعث هذا كونُهُ نظم هذه القصائد لغرض المدح من مثل قوله فى مدح المعتز بالله :

لقد زلزلت أرضُ الجبال بوقعةٍ * أسالت دما فى كل نشزٍ وأبطَحِ
كأنّ النسورَ الواقعات عشيةً * على نَقَدٍ حول الجِمارِ مُذبّحِ
ولو وقف المغرور لالتبست به * زنابير سرعان الخميس المُجنّحِ
إذاً لاكتسى كأسادِها قأمن الردى * متى يشرب الباقى بها يترنّحِ
لقد شردته الخيل كلَّ مشرَّد * وطرّحْنه يوم الوغى كُلَّ مَطْرَحِ
تَندّم لما أخلفته ظنونُه * وباتت خزايا مفسدٍ غيرِ مصلحِ
فراراً وعظم الجيش لم يمس منهم * قريباً وتلك الحرب لم تتلقحِ
ولم يأت موسى فى الموالى عليهم * سرابيل من نسج الحديد الموشّح (١)

---

(١) ديوانه (١/٤٥١-٤٥٢) .

فجُمَلهُ هذه كلها أخبار الهدف منها إبراز ماحلّ بالأعداء وبقائدهم خاصة وقد جمعت بين الجمل الاسمية والفعلية ، والفعلية أكثر وفائدتها أبلغ لأنها تفيد التجدد والحدوث ، فإن قوله :

تندَّمَ لمّا أخلفته ظنونهُ * وباتت خزايا مفسد غير مصلحِ

يفيد بأن ندمه ملاحق له يخطر ببالهِ كُلَّ يوم على فعلته الشنعاء ، وخروجه الغاشم على الخليفة وجنده وعلى إخفاقه فيما كان يؤمله من انتصار عليهم .

أما جُمَلهُ الإنشائية فتكثر في مطالع قصائده الحربية لما فيها من شده لانتباه المستمع فيتطلع لما وراء هذا النداء أو الأمر أو النهي ومن ذلك المطالع:

يا أخا الأزد ما حَفِظتَ الإخاء * لمحبٍّ ولا رعيت الوفاء (١)

وقوله :

أَمِنْكَ تأوّبُ الطيفِ الطروبِ * حبيبٌ جاء يُهْدى من حبيبِ (٢)

وقوله :

أَصَبا الأصائل إن برقة مُنْشِدِ * تشكو اختلافك بالهبوب السرمدِ (٣)

وقوله :

أقصرا قد أطلتما تفنيدى * ومن الجهل لومُ غير سديد (٤)

وقوله :

له الويل من ليل تطاول آخره * ووشك نوى حتى تزم أباعره (٥)

---

(١) ديوانه (١/١٣) يمدح بها أبا سعيد الثغرى .
(٢) ديوانه (١/٩٨) يمدح بها أبا المعمر الهيثم الغنوى .
(٣) ديوانه (١/٥٥٤) يمدح بها أبا محمد يوسف بن محمد الثغرى .
(٤) ديوانه (٢/٨٠٥) يمدح بها أحمد بن عبد العزيز بن الشلمغان .
(٥) ديوانه (٢/٨٧٦) يمدح بها أبا محمد يوسف بن محمد الثغرى .

وله جمل إنشائية تأتي عرضاً في بعض الأبيات من مثل قوله مخاطباً بني زُرارَة أعداء ممدوحه :

ألله : ألله : كفوا إن خصمكم * أبو سعيد وضربُ الأروسِ الجَدُلُ
تغنّموا السلم إن الحرب توعدكم * يوماً يعود به صِفّون والجملُ
الآن والعذر مبسوط لمعتذر * والأمن مستقبَلٌ والعفو مقتبَلُ
ولا يغرنّكم منه تبذلُهُ * بالإذن حتى استوى الأربابُ والخولُ (١)

فإن في كل بيت جمله إنشائية (كفوا ـ تغنموا ـ لا يغرنكم) ومراده التهديد لهم والتحذير من مغبة شغبهم وبث الرعب في نفوسهم ، كل ذلك جاء ثمرةً لاستخدامه هذه الجمل في هذا المقام .

كما يحمد له خلو عباراتِهِ وتراكيبه من التقديم أو التأخير الذي يؤدي إلى تعقيد الكلام تعقيداً تَضِلُّ فيه المعاني لكونه حريصاً على التناسق الداخلي المؤدي إلى جمال التعبير .

ومن أمثلة هذا التناسق الداخلي قوله في مدح أبي سعيد مخاطبا أعداءه :

بني زرارة نصحاً ماله ثمن * يرجى لديكم وقولاً كُلّه عَذَلُ
وإنما هلكت من قبلكم إرمٌ * لأنهم نصِحُوا دهراً فما قَبِلُوا
مستعصمين مع الأروى كأنكم * لا تعلمون بأن العُصْمَ لا تَئِلُ
أنذرتكم عارضاً تدمى مخايلُهُ * القطرةُ الفذّ منه عارضٌ هطِلُ

---

(١) ديوانه (٣/١٧٥٦ــ١٧٥٧) .

هذا ابن يوسف فى شُرْعان ذى لجب * فيه الظُّبا والقنا والكيد والحيلُ
غزاكُمُ بقلوب مالها خَلَلٌ * من خلفها وسيوفٍ مالها خِلَلُ
قد كان ناراً وعُظْمُ الجيشِ مفترقٌ * بالثغر إلا أُصَيْحَابٌ لَهُ قُلَلُ
فكيف وهو يسوق الليل فى زَجَلٍ * من عسكر ما لشىء غيره زَجَلُ
ولاّ كُمُ البغى ثم انساب نحوكم * بالمَشْرِفيّة فيها الثُّكلُ والهَبَلُ
وانحاز مثل انحياز الطود يتبعه * رأى يصغِّرُ فيه الحادثُ الجَلَلُ
جرَّ الرماح إلى درب الرماح فهل * لكم عليه بقاء أو به قِبَلُ (١)

لقد خلت تراكيبه من التقديم أو التأخير المُخِل ، فالصورة واضحة المعالم فى ذهن الأديب وفى ذهن مستمعه أو قارئه ، مع جمال فى المفردات والتراكيب : (نصحا ماله ثمن)،(قولاً كله عَذَلُ)،(مستعصمين مع الأروى) وفيه دلالة على امتناعهم واعتصامهم بالجبال ، ولكنه بدلاً من أن يقول (لا يغرّكم سكنكم بالجبال) أتى بهذه الكناية اللطيفة وبدلاً من أن يقول (أنذرتكم جيشاً شديد البطش) قال : (عارضاً تدمى مخابله)، ولم يقل (جيشاً تندى أو تسيل أسنته) وما شاكلها من التراكيب ، كلها قد أحسن اختيارها فأدت المعنى بدقة ويسر وسهولة ودون لبس أو غموض .

وأما المعاظلة المعنوية فتعنى (شدة الارتباط والتعلق بين مفردات الكلام الى درجة التصادم المعنوى الذى يحسه القارئ حين يفقد الاستراحة الذهنية بين معنى وآخر ... ولا تعارض بين هذا وبين أن يكون هناك ارتباطٌ وتلاحمٌ وتآزرٌ بين أجزاء الكلام وإلا كان مفككاً مبعثراً لا رابط له إذ أن هناك فرقاً بين الارتباط بهذا المعنى الثانى وبين الارتباط الذى

---

(١) ديوانه (٣/١٧٥٥–١٧٥٦).

تتوه فيه المعانى).[١]

والبحترى كان حريصاً على تجنب هذه المعاظلة ، وشعره خير شاهد على ذلك ، فإننا لا نجد له معنى قد تعسر فهمه لعدم حسن تركيبه ، وهذا لا يعنى أنه ليس له معان عميقة ، بل إن له الكثير من ذلك ولكنْ شتّان ما بين عمق المعنى و بين الغموض والتعقيد .

(١) في ميزان النقد الأدبى د / طه أبو كريشه (٢٨).

٢ ــ الصور البيانية :

الصورة البيانية تعنى ما استطاع أن يرسمه خيال الشاعر من صورة تقرّب لنا ما يريد الحديث عنه ، إما بالمجئ بصورة مشابهة لها عن طريق التشبيه أو الاستعارة أو عن طريق الرمز والتلميح والاشارة إلى بعض صفات هذه الصورة وهو ما عرف بالكناية ، وسأقوم ــ بحول الله ــ بدراسة هذه العناصر التى هى مدار رسم الصورة عند شاعرنا البحترى بادئاً بالتشبيه ثم الاستعارة ثم الكناية :

أ ــ التشبيه :

تكمن فائدة التشبيه فى (أنك إذا مثلت الشئ بالشئ فإنما تقصد به إثبات الخيال فى النفس بصورة المشبه به أو بمعناه وذلك أوكد فى طرفى الترغيب فيه أو التنفير منه)(١) وفى (إخراجه الخفى إلى الجلىّ وإدنائه البعيد من القريب)(٢)

وللبحترى كثير من التشبيهات الرائعة ، ويهمنا ماجاء منها فى شعره الحربى كمثل تشبيهه فرسان ممدوحه وتسابقهم للموت وإقدامهم على الأعداء وعدم خوفهم منه باليراع وهو ما يعرف بالحُبَاحِب :

وعصائبٍ يتهافتون إذا ارتمى * بهم الوغى فى غمرة هيجاء
مثل اليراع بدت له نار وقد * لفته ظلمة ليلة ليلاء (٣)

فتصور هذا اليراع وقد لفه الظلام من كل جهة ، فلمع أمامه ضوء نار ، فإنه يتجه إليها مسرعًا دون خوف أو رهبة لها وكذا هؤلاء الجند فإنهم

(١) المثل السائر (٢ / ١٣٠ــ١٣١) .
(٢) جواهر البلاغة لأحمد الهاشمى (٢٤٧) .
(٣) ديوانه (١ / ١١) من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغرى .

شجعانٌ بواسلُ لا يخافون غمرات الحروب وويلاتها فيرتمون فى المعمعة دون وجل أو خشية ، لا يهولهم ما يرون فقلوبهم مطمئنةٌ غير هَيّابة ولا يخالطها روع أو فزع،وإقدامهم لا يخالطه تردد ولا تفكير بالهرب أوالمصير ومنظر هذا اليراع منظرٌ مألوف نشاهده كلّ ليل ، خاصة من يسير منا فى دياجى الظلام وسط الفيافى والقفار .

وقد كرر البحترى هذه الصورة أعنى صورة الإقدام والمسارعة فى الاتجاه إلى العدو وحب فرسان ممدوحه لذلك فقال من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق :

يمشون تحت ظُبَا السيوف إلى الوغى * مشى العِطَاشِ إلى برود المشرب (١)

فقد شبّه شوقهم إلى لقاء العدو ، وقد حملوا السيوف مجردة من غمدها بلهفة قوم عطاش رأوا الماء بعد أن كادت أُنفسهم تتلف ، فهبوا إليه مسرعين لينقذوا حياتهم من الهَلَكة فصار مشيهم إقداماً دون تردد ، وسرعة دون تباطؤ ، مما يدل على استبسالهم وسرعة نجدتهم .

وقد ردد البحترى هذه الصورة فى موضع آخر عن طريق التشبيه الضمنى ،وإن كان عنى به ممدوحه ،إلا ان فيه تصويراً لجنوده ـ أيضا ـ لأنه لا يتحرك إلا بهم :

تَسَرّعَ حتى قال من شهد الوغى * لقاءُ أعادٍ أم لقاءُ حبائب (٢)

فقد شبهه فى إقدامه على الأعداء دون خشية أو رهبة ،ودون وهل أو اضطراب وهو مطمئنٌ البال ، رخىّ النفس ، مع سرعة فى الاتجاه ،وعزم على اللقاء شبهه بمن هو على موعد بأصحاب له ،قد طالت فرقته لهم ، فهو فرح بلقائهم ، مقبل نحوهم بوجهه هاش باشّ ، طليق مستنير ، مشتاق إليهم

(١) ديوانه (١/ ٨٢)
(٢) ديوانه (١/ ١٧٢) من قصيدة يمدح بها أبا سعيد .

هـذا وللبحترى فى الخيل عدة تشبيهات ، فقد شبهها فى مجال الإعداد للحرب بالحِبالِ المفتولة فقال :

أتى دونها نأى البلاد ،ونَصُّنا * سَوَاهِمَ خيل كالأعنة ضُمَّرِ (١)

فشبهها بأعنة الخيل مشيراً إلى ضمورها الشديد فى القوة ، فهو ضمور محمود .

وشبه الخيل فى مجال الاتجاه إلى الأعداء مرة بالقطا المتتابع بكدرته تحت ستار الظلام قاصدةً الماء فقال :

لقد بعثتَ عتاقَ الخيلِ ساريةً * مثل القطا الجُوْن يتبعن القطا الجُوْنَا (٢)

ففى هذا التشبيه عدة دلالات :

أولها: حرص القائد على السُّرى ليلاً ، حتى يباغت الأعداء

وثانيها : كونهم يمشون بنظام كما يطير القطا ، حين طَلَبِهِ الماء ليلاً ، فإنه يذهب جماعات متتالية دون تداخل .

وثالثها : السرعةُ فى السير مما يدل على قوة هذه الخيل وصلاحيتها للقتال .

ورابعها : كثرة ما علاها من غبار حتى صارت جُوْناً مع ظلمة الليل وفيه الإشارة إلى متابعة السير .

هذا وقد كرر البحترى الإشارة إلى سرعتها فى قوله :

بفوارسٍ مثلِ الصقور وضُمَّرٍ * مجدولة كَكَواسر العِقبانِ (٣)

---

(١) ديوانه (٢/ ٩٨١) من قصيدة يمدح بها أحمد بن دينار .

(٢) ديوانه (٤/ ٢٢٠١) من قصيدة يمدح بها أبا الحبيش بن خمارويه

(٣) ديوانه (٤/ ٢٢٥٣) من قصيدة يمدح بها المتوكل على الله .

فقد شبهها بالعقبان المنقضّة على صيدها ، فإنها تكون مسرعة إليه أشد ما سرعة وفي قوله : (كواسر) إيحاء بالشدة ، فإن العقاب إذا كان كاسرًا ، كان أشرس ما يكون ، فهذه الخيل شديدة الوطأة على الأعداء حينما تنقض عليهم .

وشبهها لسرعتها حال الاتجاه إلى الأعداء وتتبع آثارهم ومراقبة تحركاتهم بالجنادب في قوله :

في كلِّ دربٍ قد أبانَ جياده * تهوى هُوِيَّ جنادبٍ في حَرْجَفِ (١)

ويبدو أن من خصائص الجنادب الوثب ، فكأن جرى الخيل إنما هو وثباتٌ طويلة وهذا هو الذي يجعلها كأنها تطير في الهواء ، وإذا ما هبت الريح أجبرت الجنادب على تتابع الوثب لأنها لا تستقر مع الريح وبذلك تكتمل الصورةُ المرادةُ للخيل .

ومن بديع ماله من التشبيهات تشبيهُهُ رماحَ ربيعة إذا تقابلوا وكان كلٌ منهم قد أخذ كامل عدته ، فقد شبه هيئة الرماح المنهمرة من كل من الصفين المتقابلين على بعضٍ مرةً بعد مرة مع كثرتها بهيئة نخلِ سُمَيْحَةٍ — وهو حائط بالمدينة — إذا أمالت الرياح جانباً من نخيل هذا الحائط على الجانب الآخر ، متراكب سعفُهُما على بعض :

تُصَوِّبُ فوقهم حزقَ العوالي * وغابُ الخط مهزوزُ الكعوبِ

كنخلِ سُمَيْحَةَ استعلى ركيبٌ * تكفّيه الرياح على ركيبِ (٢)

ودلالة التشبيه على قوة الفريقين ظاهرة ، وعلى استكمالهما كامل العدة وعلى اعتمادهم على الرماح أكثر من غيرها ، لما تقوم به الرماح

---

(١) ديوانه (٣/ ١٤١٥) من قصيدة يمدح بها أبا محمد الثغرى .
والحرجف : الريح الباردة الشديدة .
(٢) ديوانه (١/ ١٠١) من قصيدة يمدح بها أبا المعمر الهيثم الغنوى .

من صدّ للأعداء ، ومن الفتّ في أعضادهم قبل التلاحم .

ومن تشبيهاته الحسية الدالة على كثرة القتلى من الأعداء وعمل السيوف فيهم قوله :

كأنهمُ تحت السيوف غرائبٌ * من البُدْنِ سيقت يوم عيدٍ إلى النَّحر (١)

فشبههم والسيوفُ عاملة فيهم بإبل الهدى التي يتقرب المسلمون بدمائها إلى الله تعالى أيام النحر ، ودلالة التشبيه ظاهرة في كثرة القتلى ، وكونهم قد صاروا جُثثاً هامدة ، قد انتشروا في ميدان المعركة انتشار الأضاحي وذلك لقوة المعركة وقوة جيش ممدوحه إذ عملوا في أعدائهم هذا العمل .

هذا وقد كرر الصورة مرة أخرى ، ولكنّها للقتلى بعد انتهاء المعركة حين وقوع النسور عليها ، فشبه جثثهم والحالة هذه بغنمٍ مذبحة يوم النحر حول الجمار في منى ، فما ابشعه من منظر وقد زاده الشاعر بشاعة حين شبه جثثهم بجِنْسِ النَّقَدِ من الغنم قصارِ الأرجل قباحِ الوجوه يُضْرَبُ المثل بها في الذِّلة فقال :

كأن النسورَ الواقعاتِ عشيةً * على نَقَدٍ حولَ الجمار مذبَّح (٢)

وفي البيت دلالة على فرح النسور بالمعارك وأنها تقع على القتلى حال خلوّ الميدان وفيه دلالة أيضا على كثرة القتلى وأنه لا يمكن دفنهم وفيه إبراز لمدى شناعة المعارك .

---

(١) ديوانه (٢ / ١٠٨٤) من قصيدة فخريه .

(٢) ديوانه (١ / ٤٥١) من قصيدة يمدح بها المعتز بالله .

وللبحترى تشبيهات مبتذلة لا يرقى بها إلى مستوى ما سبق لكثرة تواردها ووضوحها منها تشبيهه ممدوحه وهو فى ميدان المعركة كارّاً على الأعداء بالقمر المتلالئ وسيفَهُ بالكوكب اللامع بقوله :

وتراه فى ظلم الوغى فتخالُهُ * قمرًا يَكُرُّ على الرجال بكوكب (١)

والعجيب في الأمر أن العلوى صاحب الطراز يرى أن هذا التشبيه من أبدع التشبيهات الدالة على وضوح التشبيه ، وهو متابع فى هذا لابن الأثير الذى جعل البيت من بدائع التشبيهات فقال : (وفى هذا البيت تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء ، فانه شبه العجاج بالظلمة والممدوح بالقمر والسنان بالكوكب ، وهذا من الحسن النادر) . (٢)

وله أبيات أخرى يشبه القائد فيها بالقمر مرة ، وبالبدر أخرى ، وسيفه بالكوكب أو الشهاب وكلها متبذلة كثيرة التوارد على ألسنة الشعراء .

الاستعارة :

الاستعارة فن من فنون القول ، وصورة من صور البيان (ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبدا فى صورة مستجِدّة ، تزيد قدرُهُ نبلاً ، وتوجب له بعد الفضل فضلاً ، وإنّك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت بها فوائد حتى تراها مكررة فى مواضع ، ولها فى كل واحدة من تلك المواضع شأن مفرد ، وشرف متفرد . . . ومن خصائصها التى تذكر بها ، وهى عنوانُ مناقبها ، أنها تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ حتى تُخْرِجَ من الصدفة الواحدة عدة من الدر . . . حتى إنك لترى بها الجماد حيا ناطقاً والأعجم فصيحاً ، والأجسام الخرس مُبِيْنَةً ، والمعانى

---

(١) ديوانه (١/ ٨١) من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق .

(٢) المثل السائر (٢/ ١٥٢) . ورأى ابن طباطبا في عياره ١/ ٢٧٩

الخفيَّة بادية جلية) .(١)

وقد تفنن فيها الشعراء وأبدعوا ، فحسن بذلك شعرهم على مقدار إجادتهم فيها ، وللبحترى فيها شواردُ وبدائع ، فمن ذلك قوله في وصف السيف :

حَمَلَتْ حمائلُه القديمةُ بقلةً * من عهد عاد غضّةً لم تَذْبُلِ (٢)

فدلل على نقاء حديد هذا السيف بأنْ جعله أخضَر شديد الخضرة ، وهذا مما يحمد لمعدِنِ السيوف ، ولكنه بدلاً من أن يقول حديده أخضر ، قال : بقلة غضة لم تذبل ، وجاء بهذين القيدين إمعاناً في الوصف بالخضرة ، وهذا ما حدا بابن الأثير أن يقول عن هذه الاستعارة: (وهذا من الحُسْن على ما يشهد لنفسه)(٣)

ومنها وصفة للمركب الذى غزا به أحمد بن دينار الرومَ فقد قال فيه :

إذا عصفت فيه الجنوبُ اعتلى لها * جناحا عقابٍ في السماء مهجِّرِ (٤)

فقد مثل الشراع الذى أرسله الملاحون وقد ضربته الريح بجناحي العقاب ، وقيَّد هذا التشبيه بكونه في السماء وقت الهاجرة ، وذلك لأن الجوارح في مثل هذا الوقت ترتفع في الجو ،وتمد جناحيها مع إمالتها ، وهي تدور حول مكامن فرائسها ، وهكذا يبدو الشراعُ فقد قرّب هذه الصورة الحسية بصورة حسية مثلِها .

---

(١) أسرار البلاغة للامام عبد القاهر الجرجانى (٣٢–٣٣) .

(٢) ديوانه (٣ / ١٧٤٨) من قصيدة يمدح بها محمد بن على القمى .

(٣) المثل السائر (٢ / ١١١) .

(٤) ديوانه (٢ / ٩٨٢) .

ومن استعاراته ما جاء به ليدلل على قوة ممدوحه القائد الثغرى وعلى مدى صبره على القتال فى أصعب الأجواء وأشدها ضنكا حينما يضرب الشتاء بجرانه على الأرض فتتساقط الثلوج على قمم الجبال فتبدل سوادها وحمرتها بياضاً ناصعاً ، ولكن البحترى بدلاً من أن يفصح عن هذه المعانى بمثل هذا الكلام جاء بصورة مختصرة مشعة تعطى المراد وتوضح البغية وذلك فى قوله :

حين أبدت إليك خَرْشَنَةُ العليا من الثلج هامةً شمطاء (١)

فقد شبه هذه المدينة (خَرْشَنة) بالشيخ الكبير الذى غدا رأسه أبيض كالثُّغامة (٢) فحذف المشبه ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو الهامة الشمطاء على سبيل الاستعارة المكنية .

ومثلها تصويره جوّ المعركة وقد علاه الغبار فأظلم حتى غدا ليلاً مدلهمّاً ولكن جند ممدوحه كشفوا هذه الظلمة المدلهمّة بما صبّوه فوق رؤوس الأعداء من نبال أطلقوها من قِسيّهم فإذا اصطدمت بما قابلها من سهام الأعداء ودروعهم قدح شرراً جلّى هذه الظلمة :

كشفوا بالنبل كُشافَ أروِقَةَ الدجى * عن عارضٍ ملأ السماء بروقا (٣)

ففى البيت ثلاث استعارات : الأولى فى قوله : (أروقة الدجى) استعارة مكنية لأنه شبه الظلمة الناجمة من كثرة الغبار ببيت الشَّعْرِ أو الخيمة وحذف المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو (الرواق) والمراد به جانب البيت وما بين يديه ، والثانية فى قوله : (عارضٍ ملأ السماء بروقا) والثالثة

---

(١) ديوانه (١/ ١٧) .

(٢) الثُّغام : نبت أبيض الزهر يكثر فى الجبال .

(٣) ديوانه (٣/ ١٤٥٤) من قصيدة مدح بها أبا سعيد الثغرى .

فقد شبه كثرة الرماح غزارتها وتعاقبها مع تطاير شررها بالسحاب ذي البروق الكثيرة ، ثم حذف المشبه وذكر المشبه به (عارض ... بروقا) مكانه .

ومن بديع استعاراته وصفه لخيل ممدوحه التي أنهكها السير وقطع الفيافي والقفار حتى ضَمِرَت وجعله ادامتها الوَجِيْفَ — وهو نوع من السير وضربٌ من ضروبه — وما استلبه منها من الشحم واللحم وكأنها قد استعاضت به عن هذا فصار كسوة لها يعوضها ما فقدت من ذلك فقال :

قد طواهُنَّ طيُّهُنَّ الفيافي * واكتسين الوجيف حتى عرينا (١)

فقد شبه السير باللباس وجعل إدامته وكثرة ما سارت كالكسوة لها بيد أنها كسوةٌ في الظاهر تحتها عريٌ نجم عنها لما ذهب عنها من لحومها وشحومها ونحن إذا سمعنا هذا الوصف خيل إلينا أن هذه الخيل لن تستطيع السير وإنجاز البطولات بيد أن الشاعر أبطل هذا التخيل بقوله :

جلن في يابس التراب فما رُمْـ ـنَ طعاناً حتى وطئن الطينا

فقد أشار إلى أنها قد حولت تراب أرض الأعداء من اليبوسة إلى اللُّدُونَة لما أسالته من دماء عليه، ولما وَطِئته حين جَوَلاَنِهَا في الميدان، وبهذا فإن هذه الاستعارة دلت على وصف هذه الخيل بالقوة وبالمران والصبر على قطع هذه المسافات الشاسعة ودلت أيضاً على شجاعة هذا القائد الذي يقودها ومدى تحمله المشاق والصعاب حتى قطع هذه الأرضين وسار بها هذا السير المُكِل" .

ومن استعاراته الموحية التي تصوِّر ما لحق العدوَّ من الذلة والمهانة قوله :

حالي الذراعين والساقين لو صدقت * له المُنَىٰ لتمنّى أنَّه عُطُل (٢)

---

(١) ديوانه (٢١٦٧/٤) من قصيدة يمدح أبا سعيد الثغري .

(٢) ديوانه (١٧٥٩/٣) من قصيدة يمدح بها أبا سعيد .

فقد شبهه وهو مقيدٌ في يديه ورجليه بالفتاة التي قد زُيِّنت بالأساور والخلاخل، واشتق من الحُليّ اسم فاعل وهو (حالي) على سبيل الاستعارة التبعية ، ومما زاد الصورة إمعاناً في مشابهة النساء قوله : (او صدقت اه المنى لتمنى أنه عُطُل) ففيها إشعارٌ بخيبة آماله وضياع ما كان يرجوه ، وتحسره على ذلك ، وأنه لا ينفعه ، ولم يقل (لتمنى أنه طلق الوثاق قد خلي سبيله) ولكنه قال : (لتمنى انه عطل) تشنيعاً عليه وشماتة به ، لأن لفظة (عُطُل) من الألفاظ الخاصة بوصف النساء .

ومن استعاراته التي صور فيها ميدان الوغى ومعترك الأقران ، حين حمي الوطيس ، واشتعل لظى الحرب وحمي أوارها ، وقل تحت لهيبها صبرُ الأشاوس قوله :

بحسن الذكر عنهم والأحاديث إذا حدّث الحديد الحديدا
في مقام تخر في ضنكه البِيْضُ على البِيْض ركعاً وسجودا (١)

فقد مثل هيئة السيوف وهي في أيدي الفرسان بين يدٍ ترفع سيفاً وأخرى تخفض آخر فتوقعه على هام أحد الأعداء ، فتكون الخفضة قصيرة وهو السيف (الراكع) ويدٍ أخرى يطيش بها السيف من يد حامله فيسقط على الأرض أو يهوى فكأنما خرَّ ساجداً ، فقد مثل السيوف وهي في هذه الحالة بشخوصٍ متقابلةٍ ، وحذف المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه ، وهو الركوع والسجود على سبيل الاستعارة المكنية ، وفي قوله : (مَقامٍ تخرُّ في ضنكه) وصف لبشاعة الموقف وضيق ميدان الحرب ، فالسيوف تسقط منه سقوطاً ، مما يفيد شدةَ الحرب وصبرَ فرسان قومه الذين يفتخر بهم ، وهي جملة مؤكدة لقوله آخر البيت قبله (إذا حَدّثَ الحديدُ الحديدا) كما أن هذه

---

(١) ديوانه (١/ ٥٩٣) من قصيدة فخرية .

الجملة استعارة مكنية أيضاً ، قرينتها تبعية ، فقد جعل للحديد حديثاً ولكنه حديث مفزع مخيف يَصُمّ الآذان ، ويُرَوِّع قلوب الفرسان ، وفيه إشارة الى قوة الحرب وشجاعة من يدير رحاها .

جـ ـ الكنايــــة :

الكناية من فنون البيان و (مظهر من مظاهر البلاغة ، وغايـــــة لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته ، والسر في بلاغتها أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبةً بدليلها ، والقضيّة وفي طيِّها برهانُها) (١) وهي (وادٍ من أودية البلاغة وركن من أركان المجاز وتختص بدقة وغموض) (٢) وسِرُّ بلاغتها (أنها تضع لك المعاني في صورة المحسوسات) (٣)

والمراد بها (أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فـــلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكنْ يجيء إلى معنىً هو تاليـــــه وردِفه في الوجود فيومئ به إليه ، ويجعله دليلاً عليه) (٤)

وللبحتري كنايات لطيفة جاءت في عرض قصائده الحربية من مثـــل قوله في الفتح :

ومستشرِفٍ بين السماطين مشرف * على أعين الرائين يعلو فيرتبـــي
يغضـــون فضل اللحظ من حيث مابدا * لهم عن مَهيب في الصدور محبَّبِ (٥)

---

(١) جواهر البلاغة ـ أحمد الهاشمي (٣٥٤) .
(٢) الطراز (١ / ٣٦٤) .
(٣) جوهر البلاغة ـ أحمد الهاشمي (٣٥٤) .
(٤) دلائل الاعجاز (٦٦) .
(٥) ديوانه (١ / ١٩١ ـ ١٩٢) .

فإنّه وصف هذا القائد بأوصافٍ حقيقيّة ولكنه لم يرد مجرّد هذه الحقيقة إنما عنى ما هو أهم من ذلك، مما يمدح به القادة (فإنه كنى عن إكبار الناس للمدوح وهيبتهم إياه ، بغضّ الأبصار الذى هو فى الحقيقة برهان على الهيبةِ والجلالِ) (١) .

وهى كناية عن صفة فقد أثبت لممدوحه صفة الإجلال والاحترام .

ومثلها قوله فى وصف شجاعة فرسان أبى سعيد .

أبناءُ موتٍ يطرحون نفوسَهم * تحت المنايا عند كل لقاءِ (٢)

فقد دلل على شجاعة جند هذا القائد بأنْ نَسَبَهُمْ إلى الموت وجعل بينهم وبينه رحماً فجعلهم له أبناء، وفى هذه النسبة ما يدل على أنهم يحرصون على الموت اكثر من حرصهم على الحياة ، لأنهم خلقوا للموت لا لها ، ومن أجل ذلك فهم يطرحون أنفسهم طرحاً تحت المنايا مسارعة فى تحقيق ما خلقوا من أجله .

ومن كناياته اللطيفة وصفه لأرض اعدائه بكثرة الأسود والسباع فيها وكثرة الأشجار الملتفة حول أغيال السباع فقال :

وأعهدُ أرضَهم أعدى سباعاً * وآشب دون عادية عرينا (٣)

فكنى بهذا الوصف عن منعة أرضهم وقوتهم ويدل عليه قوله بعده فى بيان إبراز قوة ممدوحه وأنه أحال تلك ~~أحال تلك~~ الديار القوية المنيعة قاعاً صفصفاً .

فتلك جبالها عادت سهولاً * وكانت قبل مغزاه حُزونا (٤)

---

(١) جواهر البلاغة ـ أحمد الهاشمى (٣٥٤) .

(٢) ديوانه (١/١١) .

(٣ ، ٤) ديوانه (٤/٢٢١٠) من قصيدة يمدح بها اذكوتكين .

ومثله قوله بعده :

وكانوا جمع مملكة فآبوا * طوائف فى مخابيهم عِزِيْنَا (١)

فإنه وصفهم بتفرق الجمع بعد أن كانوا مملكة مهيبة الجانب قوية الجند، مُمَنَّعَة ، وبعد أن صب عليهم ممدوحه أذكوتكين لهيب حروبه التى قال عنها :

أباح حمى الديالم فى حروب * سقت هِيَمَ القنا حتى روينا
إذا طلبوا لها الأشباه كانت * غرائب ما سمعن وما روينا (٢)

ولكن الشاعر يقصد من وراء هذا المعنى الحقيقى معنى متواريا فيه يلحظ منه وهو أن الله أبدلهم ذلة بعد العز،وخوفاً بعد الأمن،فبعد أن كانوا مجتمعين كلمتهم واحدة مرهوبى الجانب صاروا مفرقين جماعات صغيرة،قد علاهم الذل والصغار ، وتسربلوا الضعف والهوان ، لا يأمنون على أنفسهم فاختفوا عن الأعين تحت سراديب الأرض وفى منعطفات الأودية ومستوعَرِ الشِّعاب .

ومن كناياته البديعة قوله فى وصف ميدان المعركة وأن الخيل قد جالت فيه وقد كان تراباً يابساً فما هى إلا جولات لها عليه حتى تحول التراب اليابس إلى ثرىً ظاهرٍ ندي،تخيس به حوافرها ، والحرب لم تنته بعد :

جُلْنَ فى يابس التراب فمارسـ ـن طعاناً حتى وطئن الطينا (٣)

(١) ديوانه (٤/ ٢٢١٠) وعزين جمع عزة أي عصبة من الناس وجماعات .
(٢) ديوانه (٤/ ٢٢٠٩).
(٣) ديوانه (٤/ ٢١٦٧).

فإنه كنى عن كثرة الدماء التى سالت فى المعركة بتحول التراب اليابس إلى طين ندى بسبب كثرة الدماء التى أسالتها فرسان هذه الخيل من رقاب الأعداء التى تساقطت واشلائهم التى تناثرت ، وخيولهم التى عقرت ، وللكناية دلالات منها استشعار الشاعر قوةَ ممدوحه ، لأن الذى يعمل ذلك فى أعدائه هو خيله الحاملة جنده ، وفرحُهُ بالنصر التى هذه مقدماته وأظهارُ شماتته بالأعداء على ما حل بهم .

٣ ـ القيم الصوتيــة :

جمال الشعر في إيقاعاته ونغماته ، وهي ما وُهِبَتْ حقاً للبحتري حتى قال عنه ابن الأثير (قينةُ الشعراءِ في الإطراب ، وعنقاؤهم فـي الاغراب)[١] وقال أيضا : (أراد أن يشعر فغنى)[٢] وقال : (وأمـا أبو عبادة فربَّ الألفاظ في ديباجتها وسبكها)[٣].

وقد سبقه إلى ما لَحَظَ القاضي عليّ بن عبد العزيز الجرجاني فقال في وساطته ـ بعد أن أورد شعرا للبحتري مشيرا به الى جمال صنعته مـع عدم تكلفه ـ :(ثم تأمل كيف تجد نفسك عند إنشاده وتفقد ما يتداخلك مـن الارتياح ، ويستخفك من الطرب إذا سمعته . . .)[٤]

هذا وليس المَقَامُ مقام حصر لمن أُعْجِبَ بشعره فقد ذكرنا جل ذلك قبل[٥] ويهمنا الحديث عن أهم عناصر القيم الصوتية المتوافرة في شعر البحتري وهـي :

أ ـ الوزن   ب ـ القافية   جـ ـ الموسيقى الداخلية

أ ـ الــوزن :

(ماهو إلا تقطيع موسيقى جذاب يجعله الشاعر أداة سحريــة يلاعب بها مشاعر ذوي الحس)[٦].

---

(١) المثل السائر (٣ / ١٥١).

(٢) المرجع نفسه (٣ / ٢٧٠).

(٣) المرجع نفسه (٣ / ٣١٥).

(٤) الوساطة (٢٧).

(٥) ص(٦٥) من الرسالة

(٦) الكامل في النقد الادبي كمال أبو مصلح (١٠٨).

وإذا نظرنا في أوزان شعر الحرب لدى البحتري وجدنا أكثرها من بحور الطويل والكامل ثم الخفيف والبسيط وهذه البحور مما يتناسب وشعر الحرب لأن شعر الحرب من الأمور الجادّة فوجب أن يحاكى بما يناسبه من الأوزان الفخمة الرصينة ، بيد أن له قصائد في الغرض نفسه جاءت من البحور الغنائيّة من مثل المتقارب والرمل والمنسرح (١) .

أما عن كيفية اختيار البحر المناسب فإن هذا مما اختلف فيه النقاد فإن منهم من ذكر بأن الغرض هو الذي يفرض نوع البحر وهذا ما أشار اليه حازم القرطاجني قديماً (٢) ولكنهم لا يعنون أنه يفرض عليه بحر الطويل مثلاً إنما يعنون بأن الغرض يفرض عليه وزنا فخماً لا غير .

ومنهم من نفى وجود هذه العلاقة بين الغرض والبحر وقد أشار إلى ذلك الدكتور شوقي ضيف في كتابه في النقد الأدبي (٣) .

ومنهم من قال (من الأفضل ترك الحرية للشاعر لأنه هو الذي يستطيع أن يدرك أيّ وزن من الأوزان أنسب لحالته النفسية وغرضه ، وهو الذي يستطيع أن يحدد الموقف الخاص دُون التّقيّد بما يملى عليه من الخارج وبالربط بين حالته وبين ما اهتدى اليه ، يستطيع أن يستوفي تجربته الشعرية ، ويستوعب ما يجيش في نفسه وخواطره ، ثم ليكن هذا الوزن على

---

(١) كنت قد أجريت دراسة على خمسٍ وخمسين قصيدةً حربيةً له منها ١٩ من الطويل و ١٦ من الكامل و ٧ من الخفيف و ٦ من البسيط و ٣ من الوافر وقصيدتان من الرمل وأخريان من المتقارب والمنسرح .

(٢) حازم القرطاجني أديب مغربي من علماء البلاغة والبيان توفي في تونس ٦٨٤ه ، ومن مؤلفاته : منهاج البلغاء وسراج الادباء وانظر ما أشار إليه في كتابه هذا (٢٦٦) تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ط (٢) ١٩٨١ دار الغرب الاسلام - بيروت .

(٣) في النقد الادبي د / شوقي ضيف (١٥٢) .

أى بحر من بحور الشعر) (١)

وهذا الأخير هو أقرب الآراء إلى طبيعة الشعر واحساس الشاعر مع أنه ينبغى ألا نغفل العلاقة بين الغرض والبحر الذى يناسبه فشواهد ذلك فى الشعر كثيرة .

من هنا نقول إنّ البحترى شاعر كان يحرص على جمال النغم فى كل ما يختار من بحور شعرية .

فمن بحور البحترى الطوال قوله فى مدح أبى الحسين بن صفوان العقيلى :

ماضى الحسام إذا حَدُّ الحُسَامِ نبا * ثَبْتُ الجنان إذا قلبُ الجبان هَفَا
ربُّ الغرائم لو رادى بأصغرها * ذوائب الهضب من رضوى لقد رجَفَا
سائل سُلَيْماً به إذ ماق جاهلُها * حَيْنًا ، فأدركه مكروه ما اقترفا
من حَيْنِهِم أن غلوا بغياً فغادرهم * فُرْطُ الغلو لأطرافِ القنا هَدَفا
أتوك يُزْجِيهِمُ للحَيْنِ جاهلُهم * مُسْتَقْدِمَاً بِهِمُ للبغى مزدلفا
فى كل يوم صدور السمر مُشْرَعَةٌ * تمرى نجيعاً على أعجازهم نُطَفا
أمطرت أرؤسهم ضرْبًا تركت به * مأثورة السمر منآد أو منقصفا
يستنزل القونس المحبوك منبتراً * من وقعه ويخوض النثرة الزَّغَفا
كأنّ وقع سيوف الهند سابحةً * فى هامهم خَشُّ نارتحتها سَعَفا
كم مُقْعَصٍ منهم تدمَى ترائِبُهُ * ولاجِجٍ فى وثاق الأسر قد رسفا
أولى لهم لو بغير الطاعة اعتصموا * لاستمطروا عارضاً من سطوه قَصَفَا (٢)

---

(١) فى ميزان النقد الأدبى د / طه أبو كريشة (٣٢) .

(٢) ديوانه (٣ / ١٤٣٤ – ١٤٣٥) .

فالقصيدة من بحر البسيط وهو (أخو الطويل في الجلالة والروعة)[1] وقوة البحر ظاهرة في جلجلته ، وحسن جرسه ، وما يظهر فيه من جلجلة مصاحبة لعنف كلام الشاعر ، مما يشد الاسماع ويحيرها ، أتعجب بموسيقاه ظاهرة الحسن أو بكلام الشاعر وألفاظه العنيفة .

ومما حسَّنَ نظمه اتصال ألف الوصل بحرف الروى (الفاء) الذى يشعرُ امتدادُ الصوت حتى انقطاعه بمآل أعداء ممدوحه ، وانمحاقهم حتى بادوا وهلكوا .

هذا عدَا ما في البحر من إبراز عواطف الشاعر الفَرِح النشوان بمآل هؤلاء القوم ، المُدِلِّ بما آل إليه أمرهم من شتات وفرقة إلى أن طلب من سامعه أن يسأل (سُلَيْمًا) عن مآلهم لما بغوا وجهلوا ، فالبحر طويل التفاعيل يعين على الحوار ويعطى الشاعر نَفَسًا أطولُ يتحدث فيه عما شاء وهو مجالٌ خِصْبٌ للتقريع والتوبيخ أو إسداء النصح ، أو التدقيق في الوصف .

وزيادةً في إيضاح خصائص البحور الطويلة وبيان مدى استثمار البحترى لها نورد مثالاً آخر لها من قصيدة وصف البحترى بها لوناً آخر من الحروب ، على بحر الطويل ، وبحر الطويل قرين للبسيط في الصلاحية لشعر الحرب ، وهو بحر الجلالة والفخامة بلا مدافع ، وبحر الملاحم دون شك ، ساعد على ذلك خفاء الجرس فيه ، مما جعله أصلحَ الأوزان للأوصاف الملحمية ، وذلك لأن انزواءَ الجرس خلف كلام الشاعر وعدمَ مصاحبته له ومزاحمَتِه لمعانيه يضفي على القصيدة جِدِّيَّة وجلالاً ، وتكون دندنته كالإطار الجميل يحيط بالصورة ، يَزِيْنُها ولا يشغل الناظر عن حسنها .[2]

---

(١) المرشد الى فهم اشعار العرب د / عبدالله الطيب (١ / ٤١٤) دار الفكر بيروت . ط / الثانية عام ١٩٧٠م .

(٢) المرجع السابق (١ / ٣٦٢)

وهذه القصيدة هى التى مدح بها أحمد بن دينار ، ويهمنا منها وصفه للمركب ولجند الممدوح وجند الأعداء ثم وصفه للمعركة الحربية .

قال فى وصف المركب :

غدوت على الميمون صُبْحاً وإنما * غدا المركب الميمون تحت المظفَّر
أطلَّ بعطفيه ومَرَّ كأنما * تَشَوَّفَ من هادِى حِصَان مشهَّر
اذا زمجر النُّوتِىّ فوق عَلَاته * رأيت خطيباً فى ذؤابة منبر
يغضون دون الإشتيام عيونَهم * وفوق السماط للعظيم المؤمر
إذا عصفت فيه الجنوب اعتلى لها * جناحا عُقَابٍ فى السماء مهجَّر
إذا ما انكفا فى هبوة الماء خلته * تلفع فى أثناء برد محبر

ثم بدأ فى وصف جند ممدوحه :

وحولَك ركابون للهول عاقروا * كؤوس الردى من دارعين وحُسَّر
تميلُ المنايا حيث مالت أكفُّهُمْ * إذا أصلتوا حَدّ الحديدِ المذكَّر
إذا رشقوا بالنار لم يك رشقُهم * ليقلعَ إلا عن شواءٍ مقتَّر

ثم وصف جند أعدائه :

صَدَمْتَ بهم صُهْب العَثَانِيْنِ دونَهم * ضرابٌ كإيقاد اللظى المتسعِّرِ
يسوقون أسطولا كأنّ سفينَهُ * سحائب صيفٍ مِنْ جَهَامٍ وممطر

ثم بدأ فى وصف المعركة :

كأن ضجيج البحر بين رماحهم * إذا اختلفت ترجيعُ عَوْدٍ مجرجر
تُقَارِبُ من زحفيهم فكأنّما * تؤلف من أعناق وحشٍ مُنَفَّر
فما رمتَ حتى أجلت الحرب عن طُلى * مقطعة فيهم وهامٍ مُطَيَّر
على حين لا نقعٌ يطوِّحُهُ الصَّبا * ولا أرض تلفى للصريع المقطَّر

ثم تحدث عن فرار قائد الأعداء أمام ممدوحه :

وكنت ابن كسرى قبل ذاك وبعده * مليّاً بأن توهي صفاة ابن قيصـــــر
جدحت له الموت الذُّعاف فعافه * وطار على ألواح شُطْبٍ مسمّـــــر
مضى وهو مولى الريح يشكر فضلها * عليه ومن يولَ الصنيعة يَشْـــكُرِ
إذا الموج لم يبلغه إدراك عينه * ثنى في انحدار الموج لحظة أَخْـزَر
تعلّق بالأرض الكبيرة بعدما * تقنّصه جريُ الردى المتمطّـر (١)

فالشاعر قد اختار لوصف هذه الغزوة بحرًا فخم التفاعيل يناسب جلالها وخطرها ويتناسب والصور التى ألَّفها خيالُ الشاعر ، فقد تحمَّل هذا البحر صوراً مركَّبةً عنيفةً تعجز عن تحمُّلها البحورُ قصيرةُ الوزن .

ومن ذلك تصويرُهُ القائد مهيبَ الطلعة الذى لا يتمكن الفرسان من النظر إليه :

يغضُّون دون الإشتيام عيونَهُمْ * وفوقَ السماطِ للعظيم المؤمَّـــر

وصورة الفرسانَ وقد جعل الهولَ ذلولاً لهم مع وصفهم بحب الموت حتى كأنّه خمر قد عاقروها وهم ما بين متسربلٍ درعه وآخر حاسر :

وحولَك ركّابون للهولِ عاقروا * كؤوس الردى من دارعين وحُسَّـر

وفى قوله : "رَكَّابون للهول" إشعار بأن هذه الصفة قد صارت (غريزة وطبيعة فيهم ، وما كان ذلك إلا من هذه الكثرة التى تفيدها صيغة المبالغة : فَعَّال) (٢)

ثم وصفهم (بأن المنايا تسير فى ركابهم ، كأنّها لا تُحْدِثُ إلا بأيديهم ، فهى مرتبطة بهم ارتباط المسبب بالسبب ، وهنا يجعلها الخيال

---

(١) ديوانه (٢ / ٩٨٢ ـــ ٩٨٥) .
(٢) الخيال الشعرى فى شعر الوصف عند البحترى د / طه أبو كريشه (١٧١) .

شيئاً محسوساً متحركاً يرى بجوار أكف هؤلاء الجند ، وهم يجعلون السيوف والرماح فى كل اتجاه)(١) :

تميل المنايا حيث مالت أكفهم * اذا أصلتوا حد الحديد المذكّر

حقاً إنها صورة مرعبة ، مخيفة للأعداء ، نتيجتها حتمية .

والصورة الرابعة : وصفه لجند الأعداء بشدة البأس والشجاعة وقد رسم لهم صورة مخيفة حينما وصفهم بصُهْب العثانين ، فهى صورة لم يتعودها العرب ، وتوحى لديهم بالشر ، لأن صهبة الشعر تستدعى حمرة فى الوجه :

صدمت بهم صُهْبَ العَثَانِيْنَ دونَهُمْ * ضِرابٌ كإيقاد اللَّظى المتسعِّر

ومما زاد الصورة إمعانا فى الشرّ والشدّة قوله : (صَدَمْتَ) فيبدو فيها(شدّة اللقاء ، وثقل الالتحام . . . فاللقاء تصادمي والمعركة متلاحمة ، والواقع شديد الوطأة على الأعداء بعد أن أصابتهم صدمة هؤلاء الجند)(٢)

أما البحور القصيرة فلم أجد له عليها قصائد حربية لعدم مناسبتها الشعر الحربى ، بيد أنّ له شعراً على بحور غنائية كالرَّمل والوافر والمتقارب والرمل أقصر من الوافر . ومثاله على بحر الرَّمل قوله فى وصف معارك قادها أبو جعفر الطائى :

ما انتهى الأعداءُ حتى ناقلتْ * حُصُنُ الخيل بأنباءِ الحُصُنْ

كلما احمرّ لها البأس شنتْ * وهي مما وطئتْ حُمْرُ الثُّنَنْ

سكّنتْ من شغب بغداد وَقَدْ * كان جَيَّاشَ النواحي فسكنْ

---

(١) الخيال الشعرى فى شعر الوصف البحترى د / طه أبو كريشة (١٧١) .

(٢) المرجع السابق (١٧٢) .

وعلى دارات خفّان وقد * أخلف الهيصم ما كان يظـــــن
شاهراتٍ خلفه مأشـــــورة * من سيوفٍ ما تقى منها الجُنَــنْ
تَرَكَ الرّيفَ وعلّى يبتغــي * فى أبانين عِياذاً وقطَـــــن
يَحْسَبُ الأرطى زها الجيش ومَنْ * تنهشُ الحيّةُ يُفزعُهُ الـــرَّسَنْ
ولو استأنف رشداً لاطَّـــبى * عطفَ منّانٍ إذا استعطِفَ مَنْ (١)

فهذه القصيدة من بحرِ الرَّمَل ، ونغَمُ الرَّمل

وموسيقاه خفيفة رشيقة ، فهو بحر متدفّقٌ متقطّع (مسرعُ النَّغَمَــات متلاحقها مع وقفةٍ قويّةٍ سرعان ما يتبعها إسراع وتلاحق) (٢) ويغلب عليه أسلوب الخطابة مع رنين ظاهر الأثر فى نغمته ، وتلاحق عجزة بصدره .

وفيه دلالة ظاهرة على العاطفة المصاحبة له ، وكل ذلك ظاهـــرٌ فى هذه الأبيات فالتلاحُقُ والوقفات السريعة فى مثل قوله : (حتى ناقلت ، ثنت ، مما وطئت ، سكنت وقد . . .) والرنين ظاهر فى كل فقرة ، ومن أمثلته : (كلّما احمَرّ) بترددِ حرف الراء فى الفم ، (شاهراتٍ ، من سيوفٍ) فالتنويـــنُ يُـدَوّى ويَلِجُ فى الاسماع وفيه إحساس ظاهـــر بنشوة النفس وسعادتها بالظفر والانتصار حتى تكاد ترقص طرباً .

ودلالته على العاطفة العنيفة هنا ظاهرة ، وتبدو فى وصفه شدة البأس بالاحمرار : (كلما أحمَرّ لها البأس ، وفى تصويره كثرة الدماء المراقــة إلى أن تلطخت بها الخيل : (ثنتْ وهى مما وطئَتْ حمرُ الثنن) وفى فرحِهِ بنتائج هذه المعارك المحموده من تسكين الشَّغَبِ والغلبةِ على الأعداء ، وفى الشماتة بهم :

---

(١) ديوانه (٤/٢١٥٦ ، ٢١٥٧) .
(٢) المرشد لفهم أشعار العرب د / عبد الله الطيب (١/٣٣٢) .

شاهراتٍ خلفه مأثـــــورةٌ * من سيوفٍ ما تقى منها الجنـــــن

وفى التهكم بالعدو الفار :

ترك الريف وَوَلّى يبتغى * فى أبانينَ عياذاً وقَطَـــــنْ

ب ـ القافـية :

أكثر قوافى البحترى الحربية على رويّ الباء[١] والنـــون[٢] ويليهما الدال[٣] والراء[٤] واللام[٥] والميم.[٦]

وقافية الباء من القوافى شديدة الجرس ، مما أكسبها مناسبة لشعر الحرب ، ومثلها قافية الميم ، وتزيد قيمتهما الصوتية إنْ أتيا فى بحور طويلة كالطويل والبسيط والكامل .

وقد نظم البحترى على روى الباء عشرة قصائد خمس على بحر الطويل وثلاث على (الكامل) واثنتان إحداهما على (البسيط) والأخرى على المتقارب .

هذا وله ثلاث قواف على الهمز[٧] وقافيتان على الجيم[٨] وأخريان

---

(١) ديوانه (١/ ٧١ ، ٧٨ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٢٢ ، ١٧٧ ، ١٨٤ ، ١٩٠ ، ٢١٩ ، ٢٨٩) .

(٢) ديوانه (٤/ ٢١٥٣ ، ٢١٦١ ، ٢١٨١ ، ٢٢٠٠ ، ٢٢٠٧ ، ٢٢٥١ ، ٢٢٦٦ ، ٢٢٧٠ ، ٢٢٧٥) .

(٣) (١/ ٥٠١ ، ٥٣١ ، ٥٤٤ ، ٢/ ٦٦٧ ، ٦٧٤ ، ٧٣٥ ، ٨٠٥) .

(٤) ديوانه (٢/ ٨٧٦ ، ٩٧٠ ، ٩٨٠ ، ٩٨٦ ، ١٠٠٤ ، ١٠٨١) .

(٥) ديوانه (٣/ ١٥٩٩ ، ١٦٨٠ ، ١٧٣٧ ، ١٧٥٤ ، ١٨٧٤ ، ٣/ ١٩٠١)

(٦) (٣/ ١٩٤٠ ، ١٩٦٥ ، ١٩٨٣ ، ٢٠١٥ ، ٤/ ٢٠٨٠ ، ٢١٢٧) .

(٧) ديوانه (١/ ٥ ، ١١ ، ٥٨) .

(٨) (١/ ٣٩٩ ، ٤١١) .

على الفاء (١) وأربعٌ على الحاء (٢) والسين (٣) والعين (٤) والقاف. (٥)

أما قوافي قصائده الحربية من حيث الإطلاق والتقييد فأكثرها مطلقة .

أما القوافي المقيّدة منها فقليلة ، لا يتجاوز عددها السبع من بين قصائده الخمس والخمسين التي أجريت عليها الدراسة .

والملاحظ أنه لا يأتي بالقوافي المقيّدة إلا من بحر خفيف التفاعيل كبحر الرمل ، فقد أتى منه بقافيتين إحداهما شديدة الجرس (٦) والأخرى خفيفة ورويها النون . (٧)

كما قد يصل قوافيه شديدة الجرس كالباء والراء واللام والدال بهاءوصلٍ مقيدة ، تزينُ القافية وتحببها إلى النفس ، إذا ما علمنا أنها من ذوات البحور الطويلة ، أو التي كثيراً ما يتحاماها الشعراء ، وقد أُدخل هذه الهاء على خمس قصائد حربية من الطويل . (٨)

ومن الأمثلة على القوافي الذُلُلِ التي استخدمها البحتري في شعره الحربي قافية الراء ، فقد نظم عليها قصيدته التي وصف بها المركب البحري وجندَ البحر والمعركة البحرية وقد تقدم سردُ أبياتها عند الحديث عن الوزن (٩)

---

(١) ديوانه (٣/١٤١١ ، ١٤٣٢).

(٢) ديوانه (١/٤٥٠).

(٣) ديوانه (٢/١١٦٥).

(٤) ديوانه (٢/١٢٥٣).

(٥) ديوانه (٣/١٤٤٥).

(٦) ديوانه (٢/٦٦٧).

(٧) ديوانه (٤/٢١٥٣).

(٨) ديوانه (١/٢١٩، ٢/٧٣٥ ، ٨٧٦، ٣/١٦٨٠، ١٨٧٤).

(٩) ص (٤٦٠-٤٦١) من الرسالة .

والراء التى جعلها رويا لهذه القصيدة حرف مجهور مرقق بين الشدة والرخاوة ، بيد أنه اكتسب التفخيم مما سبقه من حروف مفخمة أو مرققة شديدة الجهر مع تشديدها من مثل قوله : مظفّر ، مشهّر ، مؤمّر ، مهجّر محبّر ، وحشّر، المذكّر ، مقتّر ...) .

وفى هذه القافية إيحاء بصوت البحر المدوى حين تلاطم أمواجه وما يحدث لها حين ذلك من دوى ممتد ، ولا أدلّ على ذلك من قوله حينما شبه صوت البحر بين أرماحهم بصوت الجمل الهائج :

كأنّ ضجيج البحر بين رماحهم * إذا اختلفت ترجيع عَوْدٍ مُجَرْجِر

وصوت الجمل عند الهيجان فيه هذه المدّة المدوّية ، ومثلها قوله :

صدمت بهم صهب العثانين دونهم * ضراب كإيقاد اللظى المتسعّر

فصوت اللظى المتسعر فيه هذا الدوى المسرع المتتابع ومثلهما قوله :

تقارب من زحفيهمُ فكأنما * تقارب من أعناق وحشٍ منفّر

فصوت الوحوش عند نفرانها فيه هذا الدوى والرجفان والحفيف.

ومثل هذه القافية قافيةُ النون المقيَّدة ، فالنون من القوافى الذلل السهلة ، والتقييد يزيد فى وقعها فى السمع ، وإن صاحبت بحراً رنّاناً كبحر الرمل ازدادت جمالاً ، وقد سبق أن أوردنا قصيدة من هذا البحر قافيتها نونية عند الحديث عن الوزن(١) ، فلو عدنا إليها ودرسنا خاصية هذه القافية لرأينا فيها جمالاً ورنّة ، وبتعاضدها مع البحر والتقييد اكتسبت رنيناً كرنين طبول الحرب كقوله :

مكّنت من شَغْب بغدادَ وقد * كان جياش النواحي فسكنْ

شاهرات خلفه مأثورةً * من سيوف ما تقي منها الجُنَنْ

---

(١) ص : (٤٦٢) من الرسالة

فإذا سمعنا قوله : (الحُصُنْ ، الثُّمُنْ ، فسكنْ ، يظنّْ ، الجُنَنْ قَطَنْ . . .) أيقنا بميزة هذه القافية ووقعها على الأذن حين سماعها وحكايتها لما كان من شغب انتهى إلى هدوء .

ج ــ الموسيقى الداخلية :

إنّ جمال الكلمة المفردة ، وحسن جرسها يزداد بما جاورهـــا من كلمات ، وبما انضمت إليه من تراكيب ، وقد تقبح ويُشْمَأَزّ منها ، وَمِـنَ التركيب كلّه لعدم تلاؤمه ، ومناسبة بعضه بعضاً وهذا ما يعبر عنه بالموسيقى الداخلية أو الايقاع ، وقد وضحها الدكتور شوقي ضيف بقوله : (ووراء هذه الموسيقى الظاهرة ــ أى موسيقى الوزن ــ موسيقى خفيّة تنبع من اختيـــار الشاعر لكلماته ، وما فيها من تلاؤم فى الحروف والحركات ، وكأن للشاعـــر أذنا داخلية وراء أذنه الظاهرة ، تسمع كُلّ شَكْلَةٍ وكُلّ حرفٍ وحركةٍ بوضـــوح تام ، وبهذه الموسيقى الخفية يتفاضل الشعراء ، ولعل شاعراً عربيّاً لـــم يستوف منها ما استوفاه البحترى ، ولذلك كان القدماء يقولون : إن شعره صنعةٌ خفيّةٌ ، فشعره أصواتٌ جميلةٌ وغناءٌ مطربٌ . . . فهو بلبلُ الشعـــر العربى يصدح دائماً بأنغامه) .(١)

ومن قديم قال القاضى الجرجانى : (واذا أردت أن تعرف موقع اللفظ الرشيق من القلب وعِظَمَ غَنَائِهِ فى تحسين الشعر ، فتصفّح شعر جريـــر وذى الرُّمة فى القدماء والبحتريّ فى المتأخرين) (٢)

---

(١) فى النقد الأدبى د / شوقى ضيف (٩٧) ط دار المعـــارف الخامســـة .

(٢) الوساطة للقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى (٢٤ ــ ٢٥) .

وبعد أن ضرب أمثلة لهذا من شعر البحتري عقّب عليها بقوله :

(ثم انظر هل تجد معنى مُبتَذلاً ولفظاً مشهّراً مستعملاً وهل ترى صنعة وإبداعاً أو تدقيقاً وإغراباً ، ثم تأمّل كيف تجد نفسك عند إنشاده ، وتفقد ما يتداخلك من الارتياح ويستخفك من الطرب إذا سمعته . . .) (١)

والشاهد من قوله هو إشارته إلى ما يتداخل السامع من الارتياح ويستخفه من الطرب وهما أمران عائدان إلى مافي شعره من جمال الايقاع.

وشعر الحرب عند البحتري مليء بهذه الموسيقى التي نجمت عن حسن اختياره لألفاظه وقِصَر مفرداتها ، وترديده بعض المفردات أو الجمل أو الحروف من مثل قوله في مدح أبي الحسين إسحاق بن إبراهيم المصعبي :

وعلى الأمير أبي الحسين سكينة * في الروع يسكنها الهزبر الأغلب
ولِحَوْزَةِ الاسلام حين يهزّها * هولٌ يراع له النفاق ويرهب
تلك المحمّرةُ الذين تهافتوا * فمشرّق في غيّه ومغرّبُ
والخُرّمية إذ تجمّع منهمُ * بجبال قُرّانَ الحصى والأثلبُ
جاشوا فذاك الغورُ منهم سائلٌ * دُفَعًا وذاك النجدُ منهم مُعْشِبُ
يتسرّعون إلى الحقوف كأنّها * وفرٌ بأرض عدوّهم يتنهّبُ
حتى إذا كادت مصابيح الهدى * تخبو وكاد مُمَرُّه يتقضّبُ
ضرب الجبال بمثلها من رأيه * غضبانَ يطعن بالحمام ويضربُ
أَوْفَى فظنّوا أنه القدرُ الذي * سمعوا به فمصدّق ومكذّبُ
ناهَضْتَهمْ والبارقاتُ كأنّها * شُعَلٌ على أيديهم تتلهّبُ
وقفت مشكور المكان كريمَةً * والبِيْضُ تطفو في الغبارِ وتَرْسُبُ

---

(١) الوساطة للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (٢٧) .

ما إن ترى إلا توقّدَ كوكبٍ * فى قَوْنسٍ قد غارَ فيه كوكبٌ

فمجدّلٌ ومرمّلٌ وموسّدٌ * ومضرّجٌ ومضمّخٌ ومخضّبٌ

سلبوا وأشرقت الدماءُ عليهم * محمرّةً فكأنّهم لم يسلبُوا

ولو انهم ركبوا الكواكبَ لم يكن * لمجدّهم من أخذ بأسِكَ مهربُ (١)

فهذه القصيدة الحربية من بحر الكامل، وبحر الكامل مشهور برنينه ولكامل البحترى (رنينٌ قَلَّ أن تجد نظيره عند غيره من الشعراء ، نغم رنان تَنْسَابُ معه الألفاظُ انسياباً فإذا عنّت الصورة الجميلة أو الخاطر الشعرى الرائع وافاك ذلك كالبرق الخاطف حتى تكاد تسأل نفسك ، أَيِدْقٌ هذا أم أنا مسحور ؟) (٢) وقد ملئت هذه القصيدة بالرنين المنبعث من (استغلاله الثلاثيّات من الكلمات واستعمال المصادر المنونة ، وألفات المد وحروف الاشباع ، كلّ ذلك فى سلالةٍ وخفةٍ ورشاقةٍ) (٣)

فمن استغلاله للثلاثى من الكلمات قوله (هَوْلٌ ، وَفْرٌ ، شُعَلٌ)

ومن استغلاله للكلمات المنونة قوله : هولٌ ، وفرٌ ، مجدّلٌ ، مرمّلٌ ، موسّدٌ مضرجٌ ، مضمّخٌ ، مخضّبٌ .

ومن استغلاله لألفاتِ المدّ : يَسْكُنُهَا ، يهزُّها ، جاشوا فذاك ، كأنّها ، حتى إذا كادت مصابيح الهدى ، الجبال بمثلها ...)

ومن استغلاله لحروف الأشباع قوله : إذْ تجمع منهمو ، فى غيِّهِ ، من رأيهِ على أيديهمو ، كريمَهُ ، قد غار فيهِ ، وأشرقت الدماء عليهمو ، والقافية كلها مشبعة والباء إذا أشبعت أحدثت رنيناً يصاحبه دَوِىّ كأنه دَوِىّ قذائف تَصُبُّ عليهم صبّاً .

---

(١) ديوانه (١/ ٧٤ — ٧٦) .

(٢ ، ٣) المرشد الى فهم اشعار العرب د / عبد الله الطيب (١ / ٢٦٨) .

ومما زاد من حسن موسيقى هذه الأبيات استخدامه الفعل المضارع المضعّف بكثرة ، وما فيها من المحسنات البديعية .

فمن استخدامه الفعلَ المضارع المضعّف المضمومَ الذى حسن موسيقى الأبيات وجمّل قافيتها قوله :

يتسرّعون إلى الحتوف كأنّها * وفرٌ بأرض عدوّهم يتَنَهّبُ

حتى إذا كادت مصابيحُ الهدى * تخبو وكاد مُمَرُّه يتقضّب

فـ(يتسرّعون)يفيد الشجاعة المتناهية التى لا تفارقهم أبدا كلّما سارعوا إلى حتف عادوا إلى آخر مثلِهِ ، كالغنائم التى يكرعليهاالفرسان بين آونةٍ وأخرى بحثاً عنها ،فازداد البيت بهذا التضعيف المتقطّع المصاحب لحركة الراء المضعّفة مع ما صاحبه من مدٍّ صاحب واو الجماعة ومثله : يتنهّب ، يتقضّب ، فالفعلان مضعّفان مضمومان اكتسبا بالتضعيف حالين ، فالأول كأنّه فحيحُ أفعى لكون التضعيف وقع فى حرف حلقى،والثانى كانه صوتُ مخنوق قد شُدّ خناقه مع ما صاحب التضعيف من الفم الذى يعطى دفعه من الهواء بعد انغلاق وانقطاع .

كما جاءت بعض أفعاله المضارعه غير مضعفة لكنها أفادت موسيقى بديعة جاءت نتيجة العطف وتوافق الحركات والسكنات فى مثل قوله :

ضرب الجبال بمثلها من رأيه * غضبان يطعن بالحمام ويضرب

ووقفت مشكور المكان كريمه * والبيض تطفو فى الغبار وترسب

ومن توافق كلماته فى الوزن وقرب المخارج قوله :

فمجدل ومرمل وموسد * ومضرج ومضمخ ومخضب

فبدت موسيقاه بديعة جميلة توافق فى الوزن وقرب فى المخارج

مع ما فيها من تضعيف جعل كل كلمةٍ أشبه بقرع طبول الحرب ، أو دقات المطارق والسيوف على رؤوس القتلى ، مع ما أضفاه هذا التقسيم من موسيقى بديعة .

أما ما جاء فيها من محسنات بديعية جاءت دون تكلف أو عناء ففي مثل قوله : " سكينةٌ في الرّوعِ بسكنها " إذ جمع بينهما جناس الاشتقاق ، وقوله : " فمشرّق في غيه ومغرّب " اذ طابق بين مشرق ومغرب " وقوله : " فذاك الغور " وذاك النجد ، فبينهما طباق إيجاب وقوله : " سلبوا . . . لم يسلبوا " بينهما طباق سلب ، وقوله : « يطعن في الحمام ويضرب فيه الجمعُ بين النظراء وعطفُهما على بعضهما .

والقصيدة مليئة من مثل هذا البديع العذب السائغ ، الذى حسّن منه وقوعُه ختاماً للأبيات ، فيشدُّهُ الأذهان بحسن نغمه مع نغم القافية المدوى الرّنان .

وهناك أمثلة أخرى للموسيقى الداخلية في شعر الحرب عند البحترى من مثل قوله :

عقّاد ألويةٍ تَظَلُّ لها طُلَىٰ * أعدائهِ وكأنّها لم تعقـدِ
مغموسةٍ بالنّصر تشدو عن يدٍ * مملوءة ظفراً تروح وتغتدى
بثّ الفوائدَ في الأباعد والدنى * حتى توهمناه مخروق اليـدِ
يعطى على الغضب المتعتع والرضا * وعلى التهلل والعبوس الأربـدِ
كالغيث يسقى الخابطين بأبيض * من غَيْمهِ وبأحمرٍ وبأسـودِ
يستقصر الليل التمام إذا انتحى * بالخيل ناحية العدو الأبعـدِ
لا ناهلُ الأجفان إن كان الكرى * خِمْساً لصادية العيونِ الـورّدِ (١)

---

(١) ديوانه (١/ ٥٤٥–٥٤٦) من قصيدة يمدح بها أبا محمد يوسف ابن محمد الثغرى .

فتراكيبه : عقّاد ألويةٍ ــ لم تعقد ، تروح وتغتدى ، فــى الأباعد والدنى ، الغضب المتعتع والرضا ، بأبيضٍ من غيمه وبأحمــر وبأسود ، ناحية العدو الأبعد ، ــ قد جاءت كلها متوائمة متوازنــة زاد من حسنها ما فيها من بديع جاء منسابا دون تكلف بين طباق ــ وهــو الغالب عليها ــ وبين جمع نظير ، وجناس اشتقاق .

ولعل حرصه على هذه المحسنات البديعية التى جاءت ــ فــى الغالب ــ من غير افراط ، خاصة الطباق والمقابلة والجناس وردّ العجــز على الصدور ومراعاة النظير والموازنة بين شطرى البيت هو الذى أضفى عليها الغنائيةَ الرّنانة التى أطربت آذان مستمعيه ، فزادت من إعجابهم بشعــره وبحسن موسيقاه ، وحسن سَبْكه كمثل قوله :

تتثنى الرماح والحرب مشبوب * لظاها تثنى الخــــــيزران
كلما مال جانب من خميــس * عدلته شواجــر الخرصــان
فلجت حجة الموالى ضرابــا * وطعانا كما التقى الجمعــان
فقتيل تحت السنابك يدمى * وأسير يراقب القتل عــــانى
جلبتهم إلى مصــارع بغــى * عثرات الشــقاء والحرمــان
كيف لم يقبلوا الأمان وقد كا نت حياة لمثلهم بالأمــان (١)

فقد كرر تراكيبه وزاوج بينها ــ تتثنى تثنى الخيزران ــ كلمــا مال جانب ــ عَدّلته،ضِراباً وطعاناً ، فقتيل يدمى ــ وأسير عانى ، الشقاء والخذلان ــ الاسراف والطغيان لم يقبلوا الأمان ــ لمثلهم بالأمــان ، لما فى التكرار والمزاوجة من جمال وإبداع وشد لأسماع مستمعيه .

---

(١) ديوانه (٤ / ٢٢٧٣–٢٢٧٤) من قصيدة يمدح بها المعتزبالله .

هذا والبحترى صاحب طريقة بديعة فى المحسنات ، فإنه وإن تعمدها فى شعره إلا أنها — فى الأغلب — تأتى من غير تكلف مُشِين ، وهو لم يأت بها لذاتها ، بل أتى بها وسيلةً إلى حسن النغم وجمال الأسلوب ، وبما أنها (وسيلة فإنها تظل مقبولة مادامت لم تتحول إلى غاية)(١)

ومن أكثر ما للبحترى من بديع : الطباق والجناس ومراعاة النظير ورد الأعجاز الى الصدور .

فأما الطباق فقد أكثر منه ، ورد ده فى عدة من قصائده كثيرا ، وقد سبق له شواهد فى قصيدته التى منها قوله :

عقّاد الوية تظل لها طُـلَى * أعدائه وكأنها لم تعقـد

ومن أروع طباقاته التى جاءت من غير تكلف قوله :

أحسن الله فى ثوابك عن ثغـر مضـاع أُحسنت فيـه البـلاء
كان مستضعفا فعزّ ، ومحروماً فأجـدى و ومُظلِماً فأضاء(٢)

فقد طابق بين مستضعفا وبين عز ، وبين محروما وبين أجدى وبين مظلما وبين أضاء .

ويبدو أن البحترى يقصد بالطباق إلى ما جاء عفو الخاطر مما يزيد المعنى حسناً ينشرح به الصدر ، وتبتهج به النفس ، ويرتاح له الفؤاد .

ويلاحظ كثرته فى بعض القصائد ذوات البحور السلسه قصيرة الوزن ، حسنة الإيقاع من مثل قصيدتيه :

---

(١) فى ميزان النقد الأدبى ، د / طه أبو كريشه (٣٤) .
(٢) ديوانه (١٦/١) من قصيدة مدح بها أبا سعيد .

أبكاءٌ في الدار بعد الدار * وسُلُوّاً بزينبٍ عن نَـوَار (١)

وقولـــه :

هم أُوْلَى رائحون أو غادونا * عن فراقٍ ممسونَ أم مصبحونا (٢)

وأما الجناس فإن له فيه باعاً لا ينكر وطريقة لا تُدْثَر ، وهو أنـه يأتي منه بما يخف على السمع ويبهج النفس، وأكثرُ ماله من الجناس جنـاس الاشتقاق فقد أكثر منه لأنه أخف أنواع الجناس ويصدر عن غير تكلف،وله مـن الجناس التام أبيات قلائل لا تقارن كثرة بماله من سابقه ، وإن جاء به فـي قصيدة كان حسنَ الموقع جميل الإيراد ومنه قوله :

ما انتهى الأعداء حتى ناقلت * حُصُن الخيل بأنباء الحُصُـن (٣)

(فـا لحصن الأولى جمع حصان بالكسر ،وهو الفرس العتيق ، والثانية جمع حصان بالفتح وهي المرأة العفيفة) (٤).

ومن بديع جناس الاشتقاق قوله في أبي سعيد :

في كل درب قد أبات جيادَهُ * تهوى هُوِيّ جنادبٍ في حرجـفِ
جازت على الجوزات وانكدرت على * قاعٍ من الصفصاف قـاعٍ صفصـفِ
صبحن من طَرَسُوسَ خرشنةَ التي * بعدتِ على الأملِ البعيدِ الموجِـفِ
وتركن ماوة وهي مأوىً للصدى * مشفوعة بصدى الرياح العُصَّـفِ (٥)

---

(١) ديوانه (٢/٩٨٦) مطلع قصيدة يمدح بها أبا جعفر الطائي .
(٢) ديوانه (٤/٢١٦١) مطلع قصيدة يمدح بها أبا سعيد .
(٣) ديوانه (٤/٢١٥٦) من قصيدة يمدح بها أبا جعفر .
(٤) الحاشية (٢٧) من ديوانه (٤/٢١٥٦).
(٥) ديوانه (٣/١٤١٥) من قصيدة يمدح بها أبا سعيد .

فقد جانس في كل بيت من هذه الأبيات لكنّها جناسات سلسة القياد جاءت من غير تكلف أو تعسف ، فزادت موسيقى البيت جمالاً وروعة وهو ما يحرص عليه عند التجنيس .

وأما رَدّ الأعجاز على الصدور فقد أكثر منه البحتري لما يضفيه على الشعر من جمال وحسنٍ بديعي وربط لأول البيت بآخره، وصدره بعجزه وله قصائد قد أكثر فيها من هذا الصبغ البديعي ومنها قصيدته التي مدح بها مالك بن طوق التغلبي ومطلعها :

لَامَتْ على أنّها في الدمعِ لم تلمِ * لكنْ على أنّ فيضَ الدمعِ لم يَدُمِ

ومما جاء فيها من هذا الصبغ ظاهراً قوله :

شفيتَ سقمَهُمُ لما لقيتَهُمُ * بسقم ملحمةٍ تَشْفِي من السقم
حطَّمت منكبهم لم حللت بهمْ * بمكنب منك أضحى غير منحطم
أورثتهم ندماً عن غِبِّ ما فعلوا * إن كنت أبقيت فيهم موضع الندم
كأنما كان في عُرنينه شَمَمٌ * فعاد أُجدع بعد الطُّول والشّمم (١)

ومن بديع ماله في هذا قوله :

يرجُفُ الحِلْفُ في صدور قَنَاهم * وتحنُّ الأرحام فيهم حنينا (٢)

فقد رد أول العجز إلى آخره فازداد البيت موسيقى وجمالاً .

---

(١) ديوانه (٤/٢١٢٧ — ٢١٣٠) .

(٢) ديوانه (٤/٢١٦٤) من قصيدة يمدح بها أبا سعيد .

٤ ـ شعر الحرب والبناء الفنى للقصيدة عند البحترى :

لم تأت القصيدة عند البحترى مستقلة بشعر الحرب بل كانت مختلطة بالأغراض الأخرى كالمدح أو الرثاء أو الفخر ، وما ذاك إلا لأن هذا هو منهج متقدمى الشعراء العرب ولهذا جاءت القصيدة الواحدة متعددة الأغراض ، وقد اقتضى ذلك أن يكون لكل قصيدة مقدمات يُمَهِّد بها الشاعر لأغراضه وقد تطول هذه المقدمات أو تقصر .

فلهذا كانوا يحرصون على تحسين افتتاحيات هذه المقدمات وقد عرف هذا بحسن الابتداء أو براعة الاستهلال وهو أول مايقع فى السمع من كلام الشاعر فينبغي أن يعتنى به وقد (سئل بعضهم عن أحذق الشعراء ، فقال : من يتفقد الابتداء والمَقْطَع) (١) وينبغى للشاعر : (أن يحترز فى اشعاره ومفتتح أقواله مما يتطير منه ، ويستجفى، من الكلام والمخاطبة والبكاء ووصف إقفار الديار ، وتشتيت الألاف ونعى الشباب وذم الزمان لاسيما فى القصائد التى تتضمن المدائح والتهانى) (٢) فـ (إذا كان الابتداء حسناً بديعاً ومليحاً رشيقاً كان داعية إلى الاستماع لما يجىء بعده من الكلام) (٣) وقد عنى البحترى بمطالع قصائده فحسَّنها ورصَّعها ، وأتى لكل غرض بما يناسبه .

وقد أفرد الآمدى جزءاً من موازنته للحديث عن ابتداءات البحترى فأثنى على جمالها وحسنها ، وخفتها على السمع ، وفضلها على الكثير من

---

(١) الصناعتين لأبى هلال العسكرى تحقيق البجاوى وأبى الفضل (٤٣٤) ط دار احياء الكتب العربية الأولى ١٣٧١هـ -١٩٥٢م.

(٢) المرجع نفسه لأبى هلال (٤٣١).

(٣) المرجع نفسه لأبى هلال (٤٣٧).

مطالع أبى تمام ، مع ماله من الابتداءات الجياد [١] ، ومن مطالع البحتري الفذة الجميلة في قصائده الحربية قوله :

١ــ قَليْلٌ لها أني بها مغرم صبٌّ * وإن لم يقارف غير وَجْدٍ بها القلبُ [٢]

٢ــ أَصَبَا الأصائل إن برقة مُنْشِدِ * تشكو اختلافَكَ بالهُبُوب السرمد [٣]

٣ــ فيما ابتداركما الملامَ ولوعا * أبكيتُ إلا دمنةً وربوعا [٤]

٤ــ أأفاق صَبٌّ من هوى فأُفيقا * أم خان عهداً أم أطاع شفيقا [٥]

٥ــ أهلا بذلكم الخيالِ المُقْبِلِ * فعل الذى نهواه أم لم يفعل [٦]

٦ــ كفى الملامَةَ أو دومي على العذل * ما اللوم أكثرُهِمَّاتى ولا عذلي [٧]

٧ــ أقْصَرَ حميد لاعزاء لمُغْرم * ولا قَصْر عن دمعٍ ولو كان من دم [٨]

٨ــ طفقتْ تلوم ولات حين ملامِهِ * لا عند كبرته ولا إحجامِهِ [٩]

٩ــ أترى الزمان يعيدُ لى أيامى * بين القصور البيض والآطام [١٠]

١٠ــ هذى المعاهد من سعاد فسلِّم * واسأل وإن وجمت ولم تتكلم [١١]

---

(١) الموازنه (١/ ٤٤٠، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٥٤، ٤٦٢) .

(٢) ديوانه (١/ ١٢٢) مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن طولون .

(٣) ديوانه (١/ ٥٤٤) مطلع قصيدة يمدح بها أبا سعيد .

(٤) ديوانه (٢/ ١٢٥٣) مطلع قصيدة يمدح بها أبا سعيد .

(٥) ديوانه (٣/ ١٤٤٥) مطلع قصيدة يمدح بها أبا سعيد .

(٦) ديوانه (٣/ ١٧٣٧) مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن علي القمي .

(٧) ديوانه (٣/ ١٩٠١) مطلع قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني

(٨) ديوانه (٣/ ١٩٤٠) مطلع قصيدة يرثى بها حميداً الطوسي وأبناءه .

(٩) ديوانه (٣/ ١٩٨٣) مطلع قصيدة يمدح بها أبا نهشل .

(١٠) ديوانه (٣/ ٢٠١٥) مطلع قصيدة يمدح بها المعتز بالله .

(١١) ديوانه (٤/ ٢٠٨٠) مطلع قصيدة يمدح بها الهيثم الغنوى .

ولا يعني الإجادة في الكثير من المطالع عدمُ الاساءة في بعضها فإن له مطالع متوسطة وله بعض المطالع التي لا تصلح مستهلاً ، كما روي أن البحتري أنشد يوسف بن محمد قوله :

لك للويل من ليل تطاول آخرُهُ * ووشكِ نوىً حتى تزمّ أباعِرُهْ (١)

فقال له أبو محمد : الويل لك والحرب . (٢)

ومثله قوله في مدح أبي مسلم :

دموع عليها السكب ضربةُ لازم * تُجَدِّدُ من عهد الهوى المتقادم (٣)

فكان الأولى به عدم تصدير البيت بالدموع في مقام المدح ، لأن ذلك لا يحسن إلا في مقام الرثاء أو الشكوى فقط .

وعند الانتهاء من عرض هذه المقدمات والدخول في غرض من أغراض القصيدة فإن الشعراء يختلفون حينئذ بهذا الانتقال بين محسن ومسيء ، والإحسان هو ما عرف بحسن التخلص .

ولما كان الانتقال من غرض إلى غرض ضرورة كان حسن التخلص مقياساً لمقدرة الشاعر يتفنن فيه ويتصرف فيه تصرفاً بديعاً إلى أن أصبح باباً من أبواب البديع عُنِي به متأخرو الشعراء ، فكان لهم فيه بدائع ، وأتوا منه بغرائب بخلاف متقدمي الشعراء فإنهم ينتقلون من الغرض الى الغرض الآخر اقتضابا أو بقولهم : دع ذا ، وعدِّ عن ذا ، وشاعرنا البحتري لم يكن مثلهم في هذا اذ كان يحرص على التخلص البديع غالبا الا في قصائد لا تعد شيئا مع كثرة شعره ، وقد لحظ هذه الظاهرة متقدمو النقاد .

---

(١) ديوانه (٢/٨٧٦) .

(٢) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (١٨٤) دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٩٨٢م ، وفي الصناعتين (٤٣٢) لكنها تروى للبحتري مع أبي سعيد وزاد (فغيّره وجعله «له الويل») .

(٣) ديوانه (٣/١٩٦٥) .

قال ابن الأثير : (والشعراء متفاوتون في هذا الباب ، وقد يُقَصِّرُ عنه الشاعر المغلق المشهور بالإجادة في إيراده الألفاظ واختيار المعاني كالبحتري فإنّ مكانه من الشعر لا يجهل ، وشعره هو السهل الممتنع الذي نراه كالشمس قريباً ضوؤها بعيداً مكانها ، وكالقناة ليّناً مسُّها خشناً سنانها ، وهو على الحقيقة قينة الشعراء في الإطراب ، وعنقاؤهم في الإغراب ، ومع هذا فإنه لم يوفق في التخلص من الغزل إلى المديح بل اقتضبه اقتضاباً) (١)

ثم ذكر له أمثلة على ذلك عقب عليها بقوله : (وله مواضع أخرى يسيرة بالنسبة إلى كثرة شعره) (٢)

ومن أمثلة ذلك من شعره الحربي قوله : واصفاً مالاقت إبلهُ من جَهْدٍ وضَنَى من أثر السُّرى ليلاً وتخلص بذلك إلى مدح ممدوحه ...)

والعِيْسُ تنصل من دجاه كما انجلى * صبغ الشباب عن القذال الأشيب

حتى تجلى الصبح في جنباته * كالماءِ يلمع من وراء الطُحْلُب

يطلبن مجتمع العلا من وائل * في ذلك الأصل الزكي الأطيب (٣)

ومن بديع ماله فيه قوله :

خل عنك الناس لا تغرر بهم * واعتمد بحر الامام المعتمِدْ (٤)

وقوله في مدح يوسف بن محمد :

---

(١) المثل السائر لابن الأثير (٣/ ١٥١) .

(٢) المرجع نفسه (٣/ ١٥٣) .

(٣) ديوانه (١/ ٨٠) من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق .

(٤) ديوانه (٢/ ٦٦٨) .

أدارهُمُ الأولى بدارَةِ جُلْجُلِ * سقاك الحيا روحاته وبواكـــرُهْ
وجاءك يحكي يوسف بن محمد * فروّتك ريّاه وجادك ماطـــرُهُ (١)

ومن تخلصه من وصف الربيع الى الغزل قوله فى زهر عليه طل :

إذا عطفته الريحُ قلتُ التفاتةٌ * لِعَلْوَةَ فى جاديّها المتعصفر (٢)

ومن بديع ماله قوله فى مدح الهيثم الغنوى عند حديثه عـــن الدّهـــر :

واغترّ أهلَ البذ من شُرُفَاتِهِمْ * حتى أصابَهُمُ بسيف الهيثـــم (٣)

أما عن ختام القصيدة وهو داخل تحت عناصر بنائها فإن البحترى لم يكن محسناً للختام فى أغلب قصائده ، فقد كان يقف فجأة دون تمهيد ، وهذا عيب ظاهر .

لكننا قد نجده أحياناً يمهد لنهاية القصيدة بأحد ثلاثة أشياء :

أولها : وهو الأكثر الثناء على قصيدتـــه وأنها تكســـو الممدوح فخراً يبقى إلى الأبد .

وثانيها : الدعاء للممدوح .

وثالثها : ختم أبيات القصيدة بحكمة .

كما قد يختمها بالعود إلى مدح الممدوح مرة ثانية ، ولكنّ هـذا لا يشعرنا بنهاية القصيدة .

ومن أمثلة ختامه الحسن قوله :

---

(١) ديوانه (٢/٨٧٦) .

(٢) ديوانه (٢/٩٨١) .

(٣) ديوانه (٤/٢٠٨٢) .

ليس حَوْلَ القريض بالغ ما فيـــــك بوصف فيكتفي بالقصيـد
غير أن القريض أجمع شـــيءٍ * لمقـيمٍ من العـلا وشَـرُوْد (١)

وقولــه :

تهنيك جلوتُها فخذها عاتقاً * فوقَ المنصَّة شمسه الأعـــراسِ
قد قلت لما أن نظمت حُليَّهـا * والشعر يبعث فطنة الأكيـاسِ
لو للفحول تَعِنُّ لافتخروا بها * ولجَـرْوَلٍ لحَبَا بنى شَمَّاسِ (٢)

ومن ختامه غير الحسن قوله في وصف فارٍ :

حتى لو ارتشف الحديد أذابه * بالوقد من أنفاسه الصُعَـدَاء (٣)

وقولــه :

واذا تأملت الزمان وجدتــه * دولاً على أيديهمُ تتقلَّبُ (٤)

وقولــه :

وملأت أحشاء العدو بلابـلاً * فارتدَّ يحسد فيك من لم يَحْسُدِ (٥)

---

(١) ديوانه (٢/٨١٣) من قصيدة يمدح بها أحمد بن عبدالعزيز الشلمغـان .

(٢) ديوانه (٢/١١٧٤) من قصيدة يمدح بها محمد بن طاهر .

(٣) ديوانه (١/١٢) من قصيدة يمدح بها أبا سعيد .

(٤) ديوانه (١/٧٧) من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم المصعبي .

(٥) ديوانه (١/٥٤٩) من قصيدة يمدح بها أبا محمد الثغرى .

ثانياً : الخصائص الفنية من حيث المضمون

يشمل الحديث عن المضمون : التجربة الشعرية والعاطفة والأفكار .

١ ـ التجربة الشعرية :

التجربة الشعرية أو التجربة الأدبية (تعبير مستحدث في مصطلحات النقد الأدبي الحديث ، وإن كان مضمونها لم يغب عن النقاد في النقد العربي القديم) (١)

و (تعني في النهاية معايشة كاملة لاحساس معين من بدء ملاحظته الى تخلقه فنيا الى تشكله النهائي) (٢)

وأهم عناصرها التي تتحد في النهاية فتكون ثمرة هذه التجربة (عناصر الذات والموضوع والخيال والعاطفة والاحساس والفكر والموسيقى والصورة واللغة وتقنية البناء) (٣)

وقد قسم النقاد التجربة الشعرية الى أربعة أنواع :

ـ التجربة الشخصية . ٢ ـ التجربة التاريخية .

ـ التجربة الاجتماعية . ٤ ـ التجربة الخيالية .

والتجربة في شعر البحتري الحربي تجربة شخصية واجتماعية له استنبطها من الواقع الذي عاشه أو حُكِيَ له فدبَّجه قصائد عَبَّرَ بها عما ضميره .

) في ميزان النقد الأدبي د / طه أبو كريشة (١٧)

٣،) عن اللغة والأدب والنقد رؤية تاريخية ورؤية فنية د / محمد أحمد العَزَب ط(١) المركز العربي للثقافة والعلوم (٣٦٧) .

ومن أمثلة التجربة الشعرية ونضجها لدى البحترى قوله فى مدح أبى سعيد :

طلعتْ جيادك من ربا الجودى قدْ * حمّلن من دُفَعِ المنون وسوقا
بالطالبين ثأر الله عند عصابة * خلعوا الامام وخالفوا التوفيقا
يرمون خالقهم بأقبح فعلهم * ويحرفون كتابه المنسوقا
فدعا فريقاً من سيوفك حتفهُم * وشددت فى عُقَدِ الحديد فريقا
ومضى ابن عمرو قد أساء بعُمْرِه * ظنّاً يُنَزِّق مُهْرَه تنزيقا
ركبَتْ جوانحَهُ قوادمُ روعه * يحذفنه حذفَ المرير الفُوقا
فاجتاز دجلةَ خائفاً وكأنّها * قَعْبٌ على باب الكُحَيْلِ أُريقا
لو خاضها عِمْلِيقٌ أوعوج إذا * ما جَوَّزَتْ عوجاً ولا عِمْلِيقا
لولا اضطراب الخوف فى أحشائه * رسب العبابُ بِهِ فمات غريقا
خاض الحتوف من الحتوف معانقاً * زَجِلا كفِهْرِ المنجنيق عتيقا
يجتابُ حَزْنَةَ سهلِها ووعورِها * والطيرُ هَانِ مرادُهُ ودُقُوقَا
لو نَفَّسَتْهُ الخيلُ لفتة ناظر * ملأ البلاد زلازلاً وفتوقا
لثنى صدورَ السُّمرِ تكشف كربةً * ولوى رؤوس الخيل تفرج ضيقا
ولبكّرت بكرٌ وراحت تغلب * فى نصر دعوته إليه طروقا
حتى يعودَ الذئبُ ليثاً ضيغما * والغصنُ ساقاً والقرارةُ نِيقا
هيهات مارسُ قُلْقُلاً متيقظاً * قلقاً إذا سكن البليدُ رشيقا
مستسلفاً جعل الغبوق صبوحه * وقرى صبوح غدٍ فكان غبوقا
لله ركضك إذ يبادرك المدى * ومُبَرِّسبقك إذْ أتى مسبوقا
جاذبتَهُ فُضُلَ الحياة فأفلتت * من كفه قمناً بذاك حقيقا
فرددتَ مهجتَه وقد كَرِع الردى * ليحف منها منهلاً مطروقا
لبس الحديد خلاخلاً وأساوراً * فكفينه التسويرَ والتطويقا (١)

(١) ديوانه (٣/١٤٥٠ — ١٤٥٢).

ونلاحظ أن هذه التجربة تتفاوتُ فى الوفاء بالغرضِ أو القصور عنه،

فأما الوفاء فنجده فى مثل حديثه عن فِرَارِ قائد الأعداء فإنه وصف شدة خوفه ورهبته وحذره على عمره وصورّ ذلك بصور بديعة منها: أنه جعل لقلبه قوادمَ وجوانحَ تشبيهاً له بالطائر شديد الطيران ومنها استصغاره لعباب دجلة مع عظمته فعبره دَهِشاً كأنَّه لبنٌ أريق من قعب، ومنها أنه جعل عدم غرقه لاضطراب الخوف فى إحشائه وهذا سبب بديع أوجده له .

وأما قصرها فانه قد يجترئ أحيانا فتبدو معانيه التى يوردها قاصرة عن الوفاء بغرضه الذى دخل فيه ومثال ذلك أنه أعطانا نتيجة المعركة ببيت واحد ، وكان بإمكانه أن يفصل فيها ويطيل ، وهو قوله :

فدعا فريقاً من سيوفك حتفُهُمْ * وشددت فى عُقَدِ الحديد فريقا

ومن الملاحظ على تجارب البحترى أنه حيثما كانت تصله أخبار المعركة يأخذ منها ما يبنى عليه تجربته الشعرية فيصور هذه التجربة ويصل بين أغراضها ويمثلها كأنه رآها رأى العين ، وكثيراً ما يشير إلى وصول هذه الأخبار ثم يصف بعض ما سمعه منها ويضفى عليها من خياله مايجعلها قريبة من الواقع من مثل قوله فى مدح الخليفة المعتمِد على الله :

مُظفر ما تكاد تسرى من الـآفاق إلا بمفرح بُرُدُهْ

أرسال خيل إذا أطَلَّ بها * على أقاصى ثغرِنا أمَدُهْ

إن رفعت للعدى قساطلها * أنجز صرفُ الزمان ما يعدُهْ

...ـن جمع الشراة محتفلاً * بالزاب والصبح ساطع وَقَدُهْ

...ة يوم أعيا على عُصَبٍ * من المحلِّين أن يكرَّ غَدُهْ

... نجوا هاربين عارضهم * باغ من الموت مُشْرِفٌ رَصَدُهْ

...وا وبات الخلى آونةً * مُنَشّبَةً فى صدورهم قِصَدُهْ

يختلط الزاب فى دمائهم * حتى غدا الزَّابُ مشرباً زَبَــدُه (١)

فانه سمع بأخبار هذه الوقائع فوصف خيل ممدوحه المتجهة إلى الأعداء ووصف جمع الشراة ووقت التقاء جند ممدوحه بهم ثم وصف الحرب وشدة يومها وما دار فيها كلّ ذلك بصور بديعة مثلتها رأى العين .

٢ ـ العاطفة :

(يقصد بالعاطفة الحالة التى تتشبع فيها نفس الأديب بموضوع أو فكرة أو مشاهدة يؤثر فيه تأثيراً قوياً يدفعه إلى التعبير عن مشاعره والإعراب عما يجول فى خاطره) (٢)

ونوع هذه العاطفة المصاحبة لشعر البحترى الحربى عاطفة دينية ترى أن هذه الحروب الدائرة بين الاسلام والكفر أو بين الخليفة والخارجين عليه نصر للاسلام وعِزُّله ، وقد ظهرت هذه العاطفة فى عدد من قصائده من مثل قوله مادحاً المهتدى بالله .

توالى سواد الريش من عند صالح * إليك بأخبار يَسُرُّ قدومُهَا
محلقةً ينبى عن النصر نطقُها * وقبلك ما قد كان طالَ وجومُهَا
تخبّر عن تلك الخوارج أنه * هوى مكرهاً تحت السيوف عظيمُهَا
أرى حوزةَ الاسلام حين وليتَها * تخرَّمَ باغيها وحيط حريمُهَا
تدارك مظلوم الرعية حقّه * وخلّى له وجهَ الطريق ظلومُهَا
ويصبحَ أهل العيشِ حين هداهم * أخو سطوات ما يُبَلُّ سليمُهَا
وقد أعطت الروم الذى طولبت به * بأبريقَ لما خُبِّرت من غريمُهَا (٣)
هل الدين إلا فى جِهَادٍ تقودُنَا * إليه عجالاً أو صلاةٍ تقيمها (٤)

---

(١) ديوانه (٢/٧٣٧ ـ ٧٣٨).
(٢) فى ميزان النقد الأدبى د / طه مصطفى أبو كريشه (٤٤).
(٣) ابريق: نهر فى بلاد الروم .
(٤) ديوانه (٣/٢٠٢٠ ـ ٢٠٢١).

أو قوله في أبي سعيد :

وفي يوم منويل وقد لمس الهدى * بأطفاره أوهمّ أن يتناولا

دفعت عن الاسلام مالو يصيبه * لما زال شخصاً بعدها متضائلا

لئن أخروه عن مساعيك إنه * ليَقدُمُ أيامَ الرجالِ الاوائلا

تلافيت ألفاً في ثمانين منهمُ * وشجّعتَهم حتى رددتَ الجحافلا (١)

أو قوله فيه أيضا :

أحسن الله في ثوابك عن ثغـ * ـر مضاع أحسنت فيه البلاءَ

كان مستضعفاً فعزّ ومحرو * ما فأجدى ومظلما فأضاءَ

لثوابيته فكنت لأهليـ * ـه غنى مقنعاً وعنهم غناءَ

لم تنم عن دعائهم حين نادوا * والقنا قد أسال فيهم قناءَ (٢)

بيد أن هذه العاطفة الثائرة الجياشة قد تتبدل وترق مع بقائها على قوتها إذا كانت في وصف الحروب الدائرة بين القبائل لحزنه على تقتيلهم بعضهم كمثل قوله في حروب ربيعة فيما بينها :

أما لربيعة الفرس انتهاءٌ * عن الزلزال فيها والحروبِ

لكل قبيلةٍ خيلٌ تداعى * إلى خيلٍ معوّدة الركوبِ

كدأب بني المعمر حين زاروا * بني عمرو بمصميةٍ شَعُوبِ

تبالوا صادق الأحساب حتى * نفوا خور الضعيف عن الصّليبِ

صريح الخيل والأبطال أغنى * عن الهجنات والخِلْطِ المشوبِ

وكانوا رقعوا أيام سلم * على تلك القوادح والندوبِ

إذا ما الجرح رُمّ على فسادٍ * تبيّن فيه إفراط الطبيبِ

---

(١) ديوانه (٣/١٦٠٤) .

(٢) ديوانه (١/١٦) .

رزيةُ هالك جلبتْ رزايــا * وخطبٍ بات يكشف عن خطوبِ
يشق الجيبَ ثم يجيء أمرٌ * يصغّر فيه تشقيق الجيوب

...

فهل لابني عدى من رشيد * يرد شريد حلمهما العزيب
أخاف عليهما إمرارَ مرعى * من الكلإ الذى عِلْقاه موبى
وأعلم أن حربهما خبالٌ * على الداعى إليها والمجيب
كما أسرى القطا ابيات عمرو * وسال لِمُهلكِه وادى قضيب
وفى حرب العشيرة مؤيداتٍ * تضعضع تالدَ العزِّ المَهيبِ (١)

أو قولِه مستشفعاً لأخواله ربيعه من قصيدة وصف فيها جيش المتوكل الذى وجّهه إليهم واستسلامهم له:

أربيعةَ الفرسِ اشكرى يدَ منعمٍ * وَهَبَ الاساءةَ للمسىء الجانى
روّعتمُ جاراته فبعثتُم * منه حمّيّةَ آنفٍ غيرانِ
لم تكرَ عن قاصى الرعيّة عينُهُ * فينامَ عن وتر القريب الدانى
ضاقت بأشهد أرضها لما رمى * ساحاتها بالرّجْلِ والفرسانِ
بفوارسٍ مثلِ الصقور وضُمَّرٍ * جرد ولقٍ كلكواسرِ العِقْبانِ
لما رأوا رهج الكتائب ساطعاً * قالوا الأمان ولاتَ حين أمانِ
يتلون من حرّ الحديد وخلفَهُمْ * شُعَلُ الظبا وشواجرُ الخِرْصانِ
يومٌ من الأيام طالَ عليهم * فكأنه زمنٌ من الأزمان
أيدت بالنصر الوشيك واتبعوا * فى ساعةِ الهيجاءِ بالخِذلانِ
راموا النجاة وكيف تنجو عصبةٌ * مطلوبةٌ بالله والسلطانِ
جاءتك أسرى فى الحديد أذلةً * مشدودة الأيدى إلى الأذقانِ
فافكُكْ جوامعَهُم بمنّك إنها * سُمِرت على أيدى ندىً وطعانِ

---

(١) ديوانه (١/٩٩ ــ ١٠٢).

الك فى بنى غُنْمِ بن تغلبَ نعمةٌ * فَهَلُمَّ أخرى فى بنى شيبـــانِ
أعمامُ نَتْلَةَ أمِّكُمْ وهى الـــتى * شَرُفَتْ وأخوة عامرِ الضحيانِ (١)

فعاطفته هنا غير عنيفة وانما جاءت استعطافيةً حزينةً ، تطالب الصفح والعفو من ممدوحه عن ربيعة وذلك لأنهم أخواله وأقرباء ممدوحه .

وتقاس هذه العاطفة (بمقدار ما فيها من ثبات وسمو وقـــوة وصدق) (٢) وتتمتع قصائد البحترى الحربيه بهذه المقاييس الأربعة ، فأمـــا ثباتها فبمقدار ما فيها من أثر يدفع قارئها إلى الانتباه لكل حرف فيهـــا وإلى تيقظ وجدانه فيظل قلبه متوثباً ، وكلما عاد إليها مرة بعد أخرى وجد انفعالاً واعجاباً بها من مثل قوله فى وصف حروب ربيعة من قصيدة مدح بها أبا المعمر الهيثم الغنوى :

كدأب بنى المعمر حين زاروا * بنى عمرو بمُضْمِيَةٍ شَعُـــوبِ
تبالوا صادق الأحساب حتى * نفو خور الضعيف عن النَّجيب
صريحُ الخيلِ والأبطالِ أغنى * عن الهُجُنَاتِ والخلط المشوب
وكانوا رقَّعوا أيام سِـــلْمٍ * على تلك القوادح والنـــدوب
إذا ما الجرحُ رُمَّ على فسادٍ * تبيّنَ فيه إفراط الطبيـــب
رزيةُ هالكٍ جلبت رزايـــا * وخطبٌ بات يكشف عن خطـــوب
يشقُّ الجيبُ ثُمَّ يجيءُ أمرٌ * يصغِّرُ فيه تشقيق الجيـــوب
وقبر عن أيامن برقعيـــد * إذا هى ناحرت أُفُقَ الجَنُـــوب

---

(١) ديوانه (٤/٢٢٥٢ — ٢٢٥٤) .
نتله هى نتلة بنت جناب بن كليب من بنى تغلب وهى أم العباس بن عبد المطلب وعامر الضحيان سيد ربيعة ح ٢١ (٤/٢٢٥٤) ديوان البحترى .

(٢) فى ميزان النقد الأدبى د / طه أبو كريشة (٤٤) .

يُسَحّ ترابه أبداً عليها * عِهاداً من مراق دمٍ صَبيب
إذا سُكِبَتْ سماءٌ ثمّ أجلَتْ * ثَنَتْ بسماءِ مُغْدِقةٍ سَكُوب
ولم أرَ للتراتِ يَعُدْنَ عهداً * كَمِثلِ المَشْرَفيّةِ مِنْ قَريب
تُصَوِّبُ فوقهم حِزَقُ العوالي * وغابُ الخطِّ مهزوزُ الكعوب
كنخل سُمَيْحةَ استعلى ركيبٌ * تكفّيه الرياحُ على ركيب
فمن يسمع وغى الأخوين يذعرْ * بصكٍّ من قراعهما عجيب (١)

فثبات العاطفة وما فيها من شد للانتباه فى متابعة مادار بين هذين القبيلين من قتال شديد العُرام أمرٌ ظاهر ، ومثله ما فيها من إيقاظ للوجدان الغافل عن نتائج هذه الحروب الشديدة فى التحذير من كثرة الفتن والقلاقل بين القبائل ، والحرص على لَمّ الشمل بصلح تطيبُ به القلوب لا مداهنةَ أو غشّ فيه .

ومما يدلُّ على ثباتها ما يتداخلك عند قراءتها من انفعالٍ وإعجاب بحسنِ الصُّورَةِ وجمالِ التشبيه حين شبه كثرةَ الحروب بينَهُمْ بالسُّحُب التى تغطّى الجوّ ثم تمطر فتنقشع وتصويره كثرة الرماح بنخل سُمَيْحَةَ إذا أمالته الرياح فركب بعضُه بعضاً ، وحين وصف شدةَ قراع السيوف جاء بوصف يخيف سامعه ، ويجعله يُعجب من شجاعتهم وبسالتهم .

وأما قوتها فظاهرة بما فيها من قوة وتلهُّب ينبئ عن نضج التجربة لديه ، ومدى انفعالاته حتى يجعلك تشاركه فى أحداث القصيدة وما يشيع فيها من صورٍ حيةٍ ، فتتابع تنقلاته بك بين ميدان القتال وبين ملاحقة الفارّين وبين مصير الاعداء وشتاتهم ومن ذلك قوله فى رثاء القائد المشهور يوسف بن محمد الثغرى وتهديد مَنْ قتلوه من الروم :

---

(١) ديوانه (١/٩٩ — ١٠١) .

فلا ثأر حتى تطلعَ الخيلُ مرتقى * خويتٍ بأُسْدٍ في السَّنَوَّرجُون
وحتى تصيب المرهفات بساطحٍ * شفاءَ النفوس من طَلَىً وشؤون
وحتى تَحُشَّ النارُ ما بين أرزنٍ * وأرضِ جواخٍ من قرى وحصون
وحتى ينالَ السيفُ موسى فيختلي * جُزارَةَ عِلْجٍ بالتُّخُوم سمين
أ أللهَ ترجونَ البقاءَ وقد جرتْ * دماءٌ لنا فيكم قُضِيْنَ لحين
فأينَ أميرُ المؤمنين فإنه * كفيلي على ماساءكم وضميني
ستأتيكم الجردُ الخناذيذ تقترى * جنوبَ سهولٍ في الفلا وحزون
عوابس تخشى الرّوعَ في كل مَاقِطٍ * مُنَاقِلةً فيه بأسدِ عرين
ما والبَ ثأرٍ من فتىً غير واهن * ولا وكلٍ في النائبات مَهين
مَعاركُ حربٍ لا يزال موكّلاً * بقطابِ رحىً للدارعين طحون
وسائسُ جيشٍ يرجحُ الحزم والحجَىٰ * إلى شدة من جانبيه ولين
رأى الموت رأى العين لاستَرَدُّونَهُ * وما موت شاكٍ مثلُ موتِ يقين
وقيل انجُ من غمّائها فأبت له * سجيةُ شِكْسٍ في اللقاء حرون
ولما استخفوا للنَّجَاءِ توقّرتْ * جوانبُ ثبتٍ للسيوفِ ركين
وقيل كتفيه والرماحُ شوارعٌ * بثُغْرَةِ نحرٍ واضحٍ وجبين (١)

فان قيل هذا رثاء وعاطفة الرثاء قوية ، وبخاصةً إذا كان الشاعر مخلصاً فيه — فلنأخذ صورةً أخرى جاءت فيها العاطفةُ قويةً ، تولدت من محبته ممدوحه وإعجاب الشاعرِ بشجاعة قومه ، وذلك قوله في بني المفضيض :

---

(١) ديوانه (٤/٢١٨٣ — ٢١٨٥) .

معاقلهم سمر القنا وكنوزهم * شريجان أسياف وقُمص حديدِ
اذا غمرات الموت أدجت تكشفت * بهم عن أسود زوحفت بأسود
هم أخمدوا نار العدو وأوقدوا * من الحرب نارًا غيرَ ذات خمودِ
بشهباءَ من ماءِ الحديد كأنها * جبالُ شَرَوْرَى أُضرمتْ لوقُودِ
ثُرياهُ إذا ما الحرب غامت سماؤها * نجوم سعادٍ فى سماء صعيدِ
فلم يبقَ من أعدائهم غيرُ موغلٍ * به الخوف أو نائى المحلِّ شريدِ
بمزّقهم وقعُ الصفيح فموثَقٌ * أسيرٌ ، ومسلوبُ الحشاشةِ مودى (١)

فإعجابه بهم وبشجاعتهم جعلَهُ يتصور كتائبَهُم ذاتَ العدد والعتاد وقد لمعت سيوفهم واهتزت رماحهم وتلألأت بَيْضهم ، تحت غبار جعل السماء أرضاً لسماكته وكثافته، وتصور نهاية لقائهم لعدوهم ومآل أعدائهم بين قتيل وأسير أو ذليل وهارب ، فقوة العاطفة فتقت لديه هذه الصورة الحية لمعركة خياليه .

وأما صدق هذه العاطفة (فيبدو فى هذا التجاوب الذى يحدث بين القارئ وبين ما يقرأ من أدب ، يبدو فى الأثر الذى تتركه القصيدة مثلاً فى نفس القارئ ، حتى يخَيَّلَ إليه أنه لو قال شعراً لما عدا ما يقرأ) . (٢)

بقى أن نتحدث عن نوع العاطفة المصاحبة لروح الشاعر وهو يصف المشاهد الحربية وهى عاطفة الفَرِح النشوان بهذه الانتصارات التى حققها ممدوحه أو جنده على الأعداء فَرَحٌ بالنصر وفَرَحٌ بخذلان الأعداء وتشتيتهم وتفريقهم كمثل قوله فى مدح أبى سعيد الثغرى :

---

(١) ديوانه (٢/٧٧٩) .
(٢) فى ميزان النقد الأدبى د / طه أبو كريشة (٤٥) .

ما انفك سيفك غادياً او رائحاً * فى حصد هامات وسفك دماء
حتى كفيتهم الذى استكفوك من * أمر العدى ووفيت أى وفاء
مازلت تقرع باب بابك بالقنا * وتزوره فى غارة شعواء
حتى أخذت بنصل سيفك عنوة * منه الذى أعيا على الخلفاء
أخليت منه البذ وهى قرارة * ونصبته علماً بسامراء
لم يبق منه خوف بأسك مطمعاً * للطير فى عود ولا إبداء
فتراه مطرداً على أعواده * مثل اطراد كواكب الجوزاء
مستشرقاً للشمس منتصباً لها * فى أخريات الجذع كالحرباء
ووصلت أرض الروم وصل كثير * أطلال عزة فى لوى تيماء
فى كل يوم قد نتجت منيةً * لحماتها من حربك العشراء
سهلت منها وعر كل حزونة * وملأت منها عرض كل فضاء (١)

أو قوله فى مدح أذكوتكين :

أباح حمى الديالم فى حروب * سقت هيم القنا حتى روينا
إذا طلبوا لها الأشباه كانت * غرائب ما سمعن ولا رُوينا
وأعهد أرضهم أعدى سباعاً * وأشب دون عادية عرينا
فتلك جبالها عادت سهولاً * وكانت قبل مغزاه حزونا
وكانوا جمع مملكة فآبوا * طوائف فى مخابيهم عزينا (٢)

---

(١) ديوانه (١/٩–١١) .

(٢) ديوانه (٤/٢٢٠٩ — ٢٢١٠) .

٣ ـ الأفكـــــــار :

الأفكار هي : المعاني التي تترجم عنها الصياغة الفنية ولهـــــا مقاييس كثيرة أهمها ما يلي :

أ ـ الأفكار بين التلاؤم والتفكك :

التلاؤم هو (أن يكون هناك تلاق بين الأفكار الجزئية بحيـــث يوجد خيط رفيع يصل بينها ، حتى تبعد عن التنافر والتضارب) (١) فتتلاءم جزئياته ويشتبه أوله بآخره وقد حث عليه الأدباء والنقاد القدمـــاء فقال عبد القاهر مشيراً إلى هذا الاتحاد والاتساق : (أن تتحد أجـــزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثان منها بأول ، وأن تحتاج في الجملة الى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً ، وأن يكون حالك منها حال الباني يضع بيمينه هٰهنا في حالٍ ما يضعه بيساره هناك ، نعم ، وفي حالٍ ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولَيْن) (٢)

وقال أبو هلال العسكري : (ينبغي أن تجعل كلامك مشتبهـــاً أوله بآخره ومطابقاً هاديه بعجزه ولا تتخالف أطرافه ولا تتنافر أطراره ، وتكون الكلمة منه موضوعةً مع أختها ، ومقرونة بلفقهـــا فإن تنافـــــر الألفاظ من عيوب الكلام ولا يكون ما بين ذلك حشو يستغني عنه ويتم الكـــلام بدونه) (٣).

هذا وحديث النقاد القدامى هو حديث النقاد المحدثين عـــن الوحدة العضوية التي تعني تناسق الأفكار وتتابع المعاني وارتباط بعضهـــا ببعض وموافقة الصور الخيالية لمعناها .

قال العقاد : (ينبغي أن تكون (القصيدة) عملاً فنياً تامـــاً

---

(١) في ميزان النقد الأدبي د / طه أبو كريشه (٤٠) .
(٢) دلائل الاعجاز ـ عبد القاهر الجرجاني (٩٣)
(٣) الصناعتين لأبي هلال العسكري (١٤١ / ١٤٢)

يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسه ، كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها واللحن الموسيقي بأنغامه بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبه أخلَّ ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها ، فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ، ولا يغني عنه غيره في موضعه إلا كما تغني الأذن عن العين أو القدم عن الكف أو القلب عن المعدة ، أو هي كالبيت المقسّم لكل حجرة منه مكانها وفائدتها وهندستها ولا قوام لِفَنّ بغير ذلك . . .) (١)

ومن أمثلة التوائم التي جاءت في شعر البحتري الحربي قوله :

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها * تذكرتِ القربى ففاضتْ عيونُها (٢)

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى هذا التوائم الظاهر في هذا البيت بين الشرط والجزاء وترتيبهما على بعض ، في كتابه دلائل الاعجاز . (٣)

ومن أهم عناصر المواءمة : التقسيم وعطف المتناسبات على بعضها من مثل قوله في وصف يوسف بن محمد :

رأيتُ أبا يعقوب والناسُ ذو حِجًى * يؤمّله أو ذو ضلالٍ يحاذِرُهْ

هو الملك المرجوّ للدين والعلا * فللهِ تقواه وللمجدِ سائرُهْ

له البأسُ يخشى والسَّماحَةُ ترتجى * فلا الغيثُ ثانيه ولا الليث عاشِرُهْ

وثور النواحي والندى يستخفّه * لنا ، وأميرُ الشرقِ والجودُ آمِرُهْ

إذا وقعتْ بالقرْب منه مُلِمّةٌ * ثنى طَرْفَهُ نحوَ الحُسَامِ يشاورُهْ

---

(١) الديوان في الأدب والنقد لعباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني ط ٣ (١٣٠) .

(٢) ديوانه (٢/١٢٩٩) من قصيدة يصف بها حروب ربيعة فيما بينها ويمدح المتوكل لاصلاحه بينها .

(٣) دلائل الاعجاز (٩٣) .

إذا خرس الأبطال فى خُمُسِ الوغى * علت فوق أصواتِ الحديدِ زَماجِرُهْ

إذا التهبتْ فى لحظِ عينيه غضبةٌ * رأيت المنايا فى النفوس تؤامِرُهْ (١)

فوصف ممدوحه بالشجاعة والكرم والتقى وطلب الرفعة والصبر وحب معالى الأمور وزاد هذه الصفات حسناً أن واءم بينها وكرّرها وحلّل جزئياتِها ، فإنه لما جعله المرجوَّ للدينِ أشار إلى تقواه ، ولمّا وصفَه بِحُبِّ العلا نسبه إلى المجد ، ولما وصفه بالشجاعة جعل الناس تخشاه أجود شيء تاليا له بالجود أشجع شيء بالغا عشر شجاعته . ونفى أن يكون البدر وهو ، ولما وصفه بالكرم جعل الناس ترجوه ونفى أن تكون الغيث وهو ثم أشار إلى حالات برهنتْ على شجاعته كثنيه طَرْفَهُ إلى سيفه كلّما شعر بالخطار ، مما يدل على قربه منه وعلى شدة احتراسه ، ووصفه بالصبر وعدمِ الجزعِ فى حومات الوغى ، وشدة البطش وقوة الضرب وكثرة القتلى .

ومن إحسانه فى التعبير الآخذ بعضه بأعناق بعض قوله فى وصف معركة قادها ممدوحه :

ولقد لَبِسْتَ عساكراً بعساكرٍ * بالغورِ فيهم سادةُ الوَسْواسِ

فرَمَوْا ، وجالُوا بالقنا ، وتثاقَفُوا * بسيوفهم ، من بعد طول دِعَاسِ

وتحافَسُوا من كان طاح سلاحه * والنفس تتلفُ عند كلِّ عِفاسِ

والخيلُ تجمرُ بالفوارس ، والقنا * يَخْلُجْنَ خَلْجَ البئرِ بالأمْرَاسِ

والموتُ يأشِرُ بالسيوفِ كأنّها * برقٌ يلوحُ على ظهور تِراسِ

وترى المنية كالحاً أنيابُها * ثكلى تمخّضُ مُطْفِلاً بنِفَاسِ

فقتلت جيشَهُمُ وجئت بسبيهم * وتركتَهُمْ بالغور كالأكْداسِ (٢)

---

(١) ديوانه (٢/٨٧٧ - ٨٧٨) .

(٢) ديوانه (٢/١١٧١ — ١١٧٢) من قصيدة يمدح بها محمد ابن طاهر .

فقد تدرج من خلط العسكرين ببعضهما فبدأ بالترامي بالنبال ، فلما اقتربوا من بعضهم تطاعنوا ، وبعد مداعسة طويلة لما التحموا تضاربوا بالسيوف ، ثم من سقط سلاحه أو انكسر فصار أعزل عافس وطارح من صار مثله من الأعداء ، والخيل فى هذه الاثناء تسير مسرعةً بالفرسان فى حركات قوية بين روحةٍ وجَيْئَةٍ ، والموت يتقادح مع كلّ شرارةٍ سيف عند ما تصطدم السيوف بالأتراس ، والمنيةُ قد كَشّرت عن أنيابها كهيئة الثكلى التى فقدت زوجها وهى حامل قد طرقها المخاض فهى تولول من عدة آلام ، والمنية أيضا تقع يميناً وشمالاً فتصيب هذا ، وتخبط ذاك ، ونتيجة لهذه الصور التى أوقعها القائد بأعدائه ، أن قتل جندهم وغنم أموالهم .

ففى هذه الأبيات تدرج بديع لو سقط منها بيت اختلَّ هيكلُ القصيدة .

هذا وللبحترى قصائدُ وإن كانت حسنة الأبيات دقيقة الوصف إلا أننا نحسُّ عدم ترابط أفكارها ، وإمكان التقديم والتأخير فيها دون تغير يلحظ ـ كما يلحظ فيها تداخل أغراضها ، وعدم التلاؤم بينها من مثل قصيدته فى مدح أبى سعيد :

أتراك تسمع للحمام الهتف * شجوا يكون كشجوك المستطرف (١)

فإنه بدأها بشكوى الفراق والوقوف على الأطلال ، ثم قفز الى مقدمة من سبعة أبيات جاءت كالمقدمه لمدح ممدوحه ، وصف فيها جيشه وفتيانه ، وتخلص بذلك إلى أن تحدث عن قائدهم ، وهو تخلص محمود لمدحه ، ثم تحدث عن غزواته ، ثم عاد بالخطاب إلى ممدوحه مرة ثانية فوصفه بالشجاعة ، ثم مدح أباه ، وبه كان ختام القصيدة .

---

(١) ديوانه (١٤١١/٣) .

فلو جعل المدح متصلاً ، وأخر وصف الغزوات بعده ثم جاء بخاتمة مشعرة بنهاية القصيدة لكان أولى .

ب ـ الأفكار بين الوضوح والغموض :

يعد شعر الحرب في مقدمة الأغراض التي تحتاج إلى الوضوح والظهور في المعاني لأنه بمثابة تقديم (تقرير) وافٍ بما كان في حومة الوغى) ومعاني شعر الحرب عند البحتري جلها واضح لا غموض ولا لبس فيها ، ومن أمثلة ذلك قوله مخاطباً المعتز بالله :

هنتاك ـ أميرَ المؤمنين ـ كفايةٌ * من الله في الأعداء نابهةُ الذكر
أتاك هلال الشهر سعداً فبوركا * على كل حال من هلالٍ ومن شهرِ
أتاك بفتحَيْ مواليك مبشِّراً * بأكثرَ نعمى أوجبت أكثرَ الشكرِ
بما كان في الباهاتِ من سطو مفلحٍ * وما فعلت خيل ابن خاقان في مصرِ
وإد بار عبد وسٍ وقد عصفت به * صدورُ سيوفِ الهند والأسلِ السمرِ
لئن كان مستغوى شهودٍ لقد عدت * على قومه بالأمس راغيةُ البكرِ
بطعن دِرَاكٍ في النُّحُورِ يحطُّهُمْ * نشاوى وضربٍ في جماجمِهِمْ هَبْرِ
فلست ترى إلا رؤوساً مطاحةً * يجيد الموالي نحرها أو دماً يجري
ولم تحرزِ الملعونَ قلعتُهُ التي * رأى أنَّها حرزٌ على نُوَبِ الدَّهْرِ
مضى في سوادِ اللَّيْلِ والخيلُ خلفَهُ * كراديسَ من شَفْعٍ مُغِذٍّ ومن وَتْرِ
قضى ما عليه مفلحٌ من طلابِهِ * فلم يبق إلا ما عليَّ مِنَ الشِّعْرِ
سيأتي به مستأسراً أو برأسِهِ * بنو الحربِ والغالون في طلبِ الوِتْرِ
سراةُ رِجَالٍ من مواليك أكَّدوا * عرى الدين إحكاما وبتُّوا قوى الكُفْرْ
إذا افتتحوا أرضا أعدُّوا لمثلِها * كتائبَ تفرى من أعاديك ما تفري (١)

---

(١) ديوانه (٢/١٠٠٥ ـ ١٠٠٦) .

وقد أعان على وضوح معانى شعره خلوه من التعقيد اللغوى ، وبعده عن المعاظلة بين الألفاظ ، وعدم إكثاره من المضمرات أو التقديم والتأخير أو الحذف .

وهذا لا يعنى خلو شعره من الغموض لكنه نادرٌ فقد لا تجد له فى العديد من قصائده بيتاً غامض المعنى معقد التصوير ، ومما لـــه قولـــه :

يغدوا الورى ، وَهُمُ غاشوا سرادِقِهِ * صنفين من مضمرى خوف وراجينا
والناس بين أخى سبق يبين به * وفاترين عن الغايات وانينـــا
كما رأيتَ الثلاثاءاتِ واطئــــةً * من التَّخَلُّف أعقابَ الأثانينا (١)

فإن فحوى الأبيات يدور حول إثبات صفة الكرم لممدوحه وأن الناس بين راجين لكرمه وخائفين من شدة بطشه ، ثم أتى بحكمة مؤداها أن الناس المتسابقين إلى تحصيل معالى الأمور هم الفائزون والسابقون ، ومن قصر من تحصيل هذه الأمور فهو من الفاترين ولعله يقصد بذلك أن من قصد ممدوحه فإنه من الفائزين ومن قصَّرَ عنه كان من الفاترين ، ومع مافى هذا البيت من التعقيد فإنه لن يبلغ غموض البيت بعده فهو تشبيه معقد غير واضح غرضه فيه مع مافيه من مخالفة القياس عند جمعه الثلاثاء على الثلاثاءات ، وطول الكلمة مما زاد فى التعقيد .

ومثله قوله من قصيدة يمدح بها الموفق :

كأن الردى يُسْقَى المُضَلَّلُ صرفَهُ * من السيف دينٌ أَرْهَقَ الوقت واجبُهُ (٢)
إذا أَتْبَعَ الرمحَ المُرَكَّبُ رأسَــهُ * عليه بلعن قلت إنّ وراكِبُـــــهُ

---

(١) ديوانه (٤ / ٢٢٠٤) من قصيدة يمدح بها خمارويه .

(٢) ديوانه (١ / ٢٢٢) ورواية الديوان ببناء الفعل للمعلوم بضم (الرمح)

===

فتعقيد البيت الأول بالتقديم والتأخير فيه وبالاعتراض الطويل فيه ، وترتيب الكلام : كأن الردى دين أرهق واجبُه الوقتَ بعد حذف الاعتراض منه فان أدخلنا الاعتراض عليه كان ترتيبه : كان الردى - وهو يسقى المضلل من السيف صرفه - دين أرهق واجبه الوقت فطول الاعتراض مع فصله بين المشبه والمشبه به أى بين المبتدأ والخبر زاد فى التعقيد والغموض . وتعقيد البيت الثاني من الحذف والاعتراض ، وقد بينته في هـ : ٢ ص : ٤٩٨

وقد يجلب الغموض تكلفه الاستعارة أو الجناس ونحوهما - وهذا قليل فى شعره أيضا - كقوله فى ذم أعداء ممدوحه وبيان مصيرهم :

حتى إذا ما الشقاق المحض أشعثهم * لمتَ بالسيف منهم شعثة اللِّمَمِ (١)

أو قولـه :

وقائعٌ وسمَتْ أنفَ الشقاقِ وقد * عاش الشقاقُ زماناً غير موتسم
كأنّما كان فى عرينه شَمَمٌ * فعادَ أجدَعَ بعد الطُّولِ والشَّمَمِ (٢)

وعدم الغموض ووضوح الأفكار كانا سبباً فى إسفافه أحيانا إلى أن يَرِكّ أسلوبه وتتبذل صوره كقوله فى المعتز :

تَخَاضَعَتِ الوجوه لحُرِّ وجهٍ * يَدُلُّ على خلائقه الحسان

=== و (رأسه) ولكننى أرى أن المعنى لا يستقيم بهذا الضبط وأن الأولى بناء الفعل للمجهول وبقاء ضم (الرمح) لا على أنه فاعل بل أنه نائب فاعل ورفع رأسه على أنه نائب فاعل لاسم المفعول (المركب) لأن معنى الكلام : اذا أتبع العدوُّ الرمحَ ، - المركبَ رأسَهُ عليه - بلعن قلت لعن الله الرمح وراكبه بمعنى مركوبه أى ومن ركبه الرمح ، وهذا كلام تمجه الأسماع .

(١) ديوانه (٤/ ٢١٢٨) من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق .

(٢) ديوانه (٤/ ٢١٣٠) من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق .

لَرَدَّتْ بهجةَ الدنيا إليها * وعاد كعهده حُسْنُ الزمانِ
وأضحى المُلْكَ أزهر مستنيرا * بأزهر من بنى فهرٍ هِجَانِ (١)

جـ ـ الأفكار بين العمق والسطحية :

يبدو العمق جلياً فى أكثر مطالع قصائده ففيها من المعانى والصور التى يصف بها صبوته وكَلَفَهُ ويترجم لك عن زفرات نفسه وآلامها لفراق محبوبيه وطول هجرانهم له ، وفى شكواه من الشيب أو وصفه لطروق الطيف وكذا حينما يتحدث عن فرار فارٍّ أو صلبِ مصلوبٍ أو عن مقدار الخوف ومبلغه فى قلوب الأعداء ، فإنه يأتى منه بمعانٍ عميقةٍ بعيدةِ الغورِ من مثل قوله فى قصيدة حربية مدح بها أحمد بن طولون :

وذو أُهَبٍ للحادثاتِ بمثلها * يُزال الطخىُ عنا ويُسْتَدْفَعُ الكُرَبُ
سيوف لها فى عمر كل عِدًى رَدًى * وخيلٌ لها فى دارِ كُلِّ عِدًى نَهْبُ
علت فوق بَغْرَاسٍ فضاقت بما جَنَتْ * صدورُ رجالٍ حين ضاق بها الدَّرْبُ
وَثابَ إليهم رأيُهُم فتبيَّنوا * على حال فوتٍ أنّ مركبَهُمْ صَعْبُ
وكانوا ثمودَ الحِجْرِ حقَّ عليهمُ * وقوعُ العذابِ والخَصِيُّ لهم سَقْبُ
تحنّى عليهِمْ والمواردُ سهلةٌ * وأُفْرِجَ عنهم بعد ما أعضل الخَطْبُ
ولو حَضَرَتْهُ أنثياهُ استَقَلَّتَا * إلى كُلْيَتَيْهِ حين أزعجه الرُّعْبُ
فما هو إلا العفوعَمَّتْ سماؤه * أو السيفُ عريانُ المضاربِ لا يَنْبُو
وما شكَّ قومٌ أوقدوا نارَ فتنةٍ * وسرتَ إليهم أنّ نارَهُمُ تَخْبُو
ألم يروسيما الطويل وجمعَهُ * وما فعلتْ فيه وفى جمعه الحَرْبُ
وخارجَ باب البحر أُسْدٌ خفيّةٌ * وقد سَدَّ قُطْرَيْهِ على الغَنَمِ الـزَّرْبُ
تحيّرَ فى أمريه ثم تحببت * إليه الحياة ماؤها عَلَلٌ سَكْبُ

---

(١) ديوانه (٤/٢٢٧٧) .

وقد غَلِظَتْ دونَ النّجَاةِ التى ابتغى * رقابُ رجالٍ دونَ مامُنِعَتْ غُلْـبُ
تَكَرَّهَ طعمَ الموتِ والسيفُ آخــذٌ * مُخَنَّقَ ليثِ الحرب حاصِلُهُ كَلْـبُ
ولو كانَ حُرَّ النَّفْسِ والعيشُ مدبِرٌ * لَمَاتَ وطعمُ الموتِ فى فَمِهِ عَذْبُ (١)

هذا وقد تكون معانيه سطحيّةً لخلوّها من الصور والمعانى القيّمة وأكثر ما تظهر هذه السطحية عند دعائه لممدوحه فى ختام قصائده كقوله لأبى سعيد :

خلق الله يا محمد أخلاقَــكَ مجـــداً فى طيء وسـناءَ
فإذا ما رياح جودك هبت * صار قول العذال فيه هبــاء (٢)

د ــ الأفكار بين التقليد والتجديد :

معانى شعر البحترى عامة ــ فى الأغلب تقليدية ، قد اقتفى فيها آثار السابقين من وقوفٍ على الأطلال وتشبيب ونسيب وبكاء على الشباب وتأوُّهٍ من المشيب ووصف للطيف أو الخمرة وساقيها أو الربيع وبهائه ، ثُمّ مدحٍ بأشهرِ الصفاتِ على النهجِ القديمِ ، بيد أنّ إفراد عدد من أبيات القصيدة لوصف موقعة من مواقع ممدوحه مع أعدائه وما أحدثه فيهم من قتل وسلب ونهب ، يعدُّ هو من أكثر من طرقوه ، وذلك أمر شاع عن شعراء الدولة العباسية كبشّار وأبى نُواس ومسلم وأبى تمام .

هذا وشعره الحربى ــ فى أغلبه ــ تقليدى جاء محتذيا على مثال سابق وما يدلنا على ذلك هو المنهج الذى سار عليه فى تعدد أغراضها كما أسلفنا (٣) ، هذا من حيث الشكل .

---

(١) ديوانه (١/١٢٣ ــ ١٢٥) .
(٢) ديوانه (١/١٩) .
(٣) الرسالة ص (٤٧٦)

أما من حيث المعانى فهناك معان مشتركة مثل الوصف بالشجاعة وتشبيه الشجاعَ بالأسد والجندَ بالليوث أو بالصقور وتشبيه الخيل بالعقبان ووصف ضُمُورها ووصف القائد بإصابة الرأى وتحمّلِ السُّرى وما شاكله فهذه صفات عامة متداولة بين جميع الشعراء .

ومن التقليد ما عرف بالسَّرَقِ وقد سجل النقاد على البحترى سرقة عدد من معانى أبياته ، فمن شعره الحربى الذى اتهم به بالسَّرَقِ قوله فى وصف الخيل :

كوعولِ الهضابِ رُحْنَ وما يَملِكْنَ إلاّ الصُّمَّ الرِّماحِ قرونا (١)

"قال الآمدى : " وهذا من نادر المعانى ولا أعرف مثله إلا قولَ نصر بن الحجاج بن عِلاطٍ السُّلَمىّ ولعله أُخِذَ منه :

ترى غابةَ الخطىّ فوق متونهم * كما أشرفت فوق الصِّوارِ قرونُها

... (٢).

وقوله مفتخراً بقومه :

قومٌ إذا شهدوا الكريهة صيّروا * كُمَمَ الرِّماحِ جَماجِمَ الأقرانِ (٣)

قال الآمدى : (أخذه من قول مسلم بن الوليد :

يكسو السيوفَ رؤوسَ النّاكِثينَ بهِ * ويجعل الهامَ تيجانَ القنا الذُّبلِ

وأخذه مسلم من قول جرير :

كأن رؤوس القوم فوقَ رماحِنا * غداةَ الوغَى تِيجَانُ كسرى وقيصرا

(٤)) .

---

(١) ديوانه (٢١٦٧/٤) .
(٢) الموازنة للآمدى تحقيق سيد صقر (٣١٥/١) .
(٣) ديوانه (٢٣٦٦/٤) .
(٤) الموازنة للآمدى (٣١٩/١) .

وقوله من نفس القصيدة :

قومٌ ترى أرْمَاحَهُمْ يومَ الوَغَىٰ * مَشْغُوفَةً بِمَوَاطِنِ الكِتْمَانِ (١)

قال الآمدى : (أخذه من قول عمرو بن معد يكرب الزبيدى :

والضاربين بكل أبيض مرهف * والطاعنين مجامع الاضغان

إلا أنّ قولَ عمرو (والطاعنين مجامع الأضغان) فى غاية الجودة والإصابة ، لأنهم انما يطعنون الأعداء من أجل أضغانهم ، فاذا وقع الطعن فى موضع الضغن فذلك غاية كل مطلوب) . (٢)

وهناك أمثلة عديدة غير هذه أحصاها عليه الآمدى وغيرها ، ولكن ذلك لا يؤثر فى شاعرية الشاعر إن لم يكن مَسْخاً للبيت المسروق منه كقوله فى وصف قائد :

لا يبرح الحزم يستوفى صريمته * أقامَ مُتَئِداً أم سار مُعْتَزِماً (٣)

أخذه من قول أبى تمام :

بكل صعبِ الذُّرَىٰ من مُصْعَبٍ يَقِظٍ * أقامَ مُتَّئِداً أم سار مُعْتَزِمَا (٤)

أما ما كان غير ذلك فليس معيبا جداً ، ولا يعنى هذا أن أكثر شعره تقليدٌ أو مسبوق إليه ، بل إن له معانى جميلةً ، وصوراً بديعةً ،

---

(١) ديوانه (٤/٢٣٦٥) .
(٢) الموازنه (١/٣١٦ — ٣١٧) .
(٣) ديوانه (٣/٢٠٤٦) ورواية الديوان : أقام مبتدئا ...)
(٤) ديوانه (٢٦٧)

وروايته : إن حَلّ مُبْتَدِئا ... والذى أشار إلى السرق الآمدى فى الموازنة (١/٣٣١) .

جئنـا على بعضها عند الحديث عن الصُّور البيانية ، خاصه عند مـا يصف المنهزمين أو المصلوبين ، فإنه يبدع أيما إبداع ، ولإعجاب الخالديَّيْن بما له فيه فقد ذكر له الكثير من ذلك .(١)

ومن الجديد له في شعر الحرب مقطعان من قصيدتين يعدان مما لم يسبق إليهما ، كما أشار إلى ذلك النقاد (٢) وهما وصفه للأسطول الحربي والمعركة الحربية ، وما يتبع ذلك من وصف الفرسان ، والثانيه وصفه شَجَّةً لحقت ابراهيم بن المدبر ، أُسِرَ على أثرها ثم هرب من السجن فوصف كل ذلك .

أما وصفه الحرب البحرية وقد تقدم ذكرها (٣) فكلها جديدة لم يسبق الى معانيها ولا مانع من أن نعرض لبعض ما فيها من مثل تشبيهه صوت البحر بين الرماح المتعاقبة بخوار الفحل الكبير ، اذا تردد في حنجرته ، ووصفه ميدان المعركة ببيتين فقط وكان ينبغي أن يطيل فيه فذكر بأن نتيجة المعركة قد ظهرت بسرعة ، فهام مطيَّرة ، وأعناق مقطَّعة وأشار إشارة لطيفةً إلى أن ميدانَ المعركة البحرية ليس كميدان المعركة البريةِ ، إذْ لا غبار في ميدان المعركة البحرية لأنها على الماء ، ولا أرض تقع عليها الجثث فتسيل عليها الدماء .

---

(١) الأشباه والنظائر تحقيق د/ السيد محمد يوسف ط لجنة التأليف والنشر - القاهرة (٢١٤ — ٢١٦) .

(٢) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ، عالم الكتب (٢/ ٦٣) وأخبار البحتري (١١٤) .

(٣) ص : (٤٦٠) من الرسالة .

ومن الجديد فيها أيضا ــ وصفُهُ لفرار قائد الأعداء بأنه كــان شديد الحَنق على الموجةِ التى تعترض طريقَهُ ، أو لا تدفعُه إلى أن تبلّغَهُ مَدّ بصره ، وأنه كان ينظر إليها نظرةَ أخزَرٍ ، وهو ضيّق العينِ لشــدّةِ الغضبِ ، كلّ هذا لمبلغ الخوف منه .

وأما قصيدته التى مدح فيها إبراهيم بن المدبر وكان قد أســره الزنج ثم هرب من أسره فمطلعــها :

قد كان طيفك مرة يُغْرَى بى * بعتادُ رَكْبىَّ طارِقاً وركابـــى (١)

فقد وصف فيها ابن المدبر بالشجاعة ثم اعتذر عما أصابه وأنه لو أراد الحياة لفَرَّ ، ولكنّه رَضِىَ بالأسرِ فكانت الضربةُ بوجهِهِ لا بعرْضِهِ ، ثم وصف هُرُوبَهُ من السجن ثم عاد فمدح شجاعته .

وأما من حيث معانى الحرب وصورها فى الأبيات المفـــردة فلــه أبيات جديدةٌ لم يجىء فيها مقلّداً خاصّةً حينما يصف فارّاً أو مصلوباً أو عند وصفه السجن ومَنْ فيه .

فمن وصفه الفارّ قوله :

ومضى ابن عمرو قد أساء بعُمْرِهِ * ظَنّاً يُنزِّقُ مهرَهُ تَنْزِيقَـــــــا
ركبتْ جوانِحُهُ قوادِمَ رُوْعِـــهِ * يَخْذِفْنَهُ خذفَ المَرِيرِ الفُوقَـــا
فاجتاز دِجْلَةَ خائِضاً وكأنّهـــا * قعبٌ على نَهْرِ الكُحَيْلِ أُرِيقَـــا
لو خاضها عِمْلِيقُ او عوجٌ إذاً * ما جَوّزَتْ عوجاً ولا عِمْلِيقَـــا
لولا اضطرابُ الخوفِ فى أحشائِهِ * رَسَبَ العُبَابُ بِهِ فماتَ غَرِيقَـــا
خاضَ الحتوفَ إلى الحتوفِ مُعَانِقاً * زَجِلاً كَفِهْـــرِ المِنْجَنِيقِ عَتِيقَا (٢)

---

(١) ديوانه (١/٢٨٩) .

(٢) ديوانه (٣/١٤٥٠–١٤٥١) من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغرى .

فقد جعل لقلبه قوادِمَ وجعل هذه القوادم تحت جوانحِهِ وهما يداه ، وجعل اعتماد هذه الجوانح على هذه القوادم فطارت به لأن القوادم قوةٌ للجوانحِ – كما قيل – فطارت به طيراناً سريعاً ، يدفعنه فى الفيافى والقفار متجاوزاً بِهِمَا الأنهار والبحارَ كما يخذف الجَلِدُ الشجاعُ السَّهْمَ مع الشَّقِّ مستعيناً بالوتر ، فهذه صورة فريدة .

والصورة الثانية فى كونه قد تجاوزَ دِجْلَةَ مع عظمها ولولا ما بلغ به الخوف لغرق وهلك لكنّ هذا الخوف كان سبباً فى إنجائِهِ كأنّه كان يرفعه فوق الموج .

وفى البيت الاخير تشبيه صوت هذا الفار – وقد أنهكه الفرار فصار له صوت مدو – بصوت حجر المنجنيق الصلد .

ومن وصفه للمصلوب قولـه :

فهو كالشاعر استبدت به الفكرة فيما أضل بُعْدَ الوجـــــودِ
وكأنَّ امتدادَ كفّيه فوق الجذعِ فى محفِـلِ الردى الشهــودِ
طائرٌ مَدَّ مستريحاً جناحيهِ استراحـــاتِ متعبٍ مكـــدودِ (١)

فالصورة الأولى فى تشبيه المصلوب وقد أطرق برأسه مع تغميض عينيه بالشاعر الذى شَرَدَ فكره بحثاً وراء معنى بريدُ تَسْطِيْرَهُ ، فكأنّما غاب عمن حوله لا يفكر إلا فى الوقوع على هذه الفكرة وهذا المعنى .

---

(١) ديوانه (٢/٨١٠ – ٨١١) من قصيدة يمدح بها أحمد ابن عبد العزيز بن الشلمغان .

والصورة الثانية فى تشبيهه امتداد كَفَّى المصلوب بطائرٍ قد استطاب الحَوْمَ فى السماء فمدَّ جناحيه على استقامتهما وأرخى العِنَان للريح تدفعه ، ثم زاد الصورة إيضاحاً بأن شبَّهَ استراحة هذا الطائر باستراحةِ عاملٍ قد أنهكه التعب فمدَّ يديه على البطحاء ليستريح من عناء عملـه .

هـ ـ الأفكارُ بين المبالغةِ والاقتصاد :

معانى شعر البحترى مقتصِدَةٌ فى الغالب لأنها لا تتجاوز المدح فى الشجاعة ووصف فروسيةِ القائدِ وإرهابه لأعدائه وخوفِهِمْ منه ، ووصف ما حَلَّ بالأعداء وما لحقهم من ذُلٍّ وصَغَارٍ ووصفِ ميدانِ المعركةِ ، وهذا لا يعنى خُلُوَّ شعرِهِ من المبالغاتِ ، لكنَّها لا تتجاوزُ حَدَّ المعقولِ ولا تصل إلى الإسراف والغُلُوِّ ، ومن مبالغاته قولُه فى وصفِ موقعة :

لقد زُلْزِلَتْ أرضُ الجبال بوقعة * أسالت دماً فى كلِّ نشزٍ وأَبْطَحِ (١)

فقد جعل الدم يسيل فى كل منخفض من الأرض ومرتفع ، وفى كُلِّ جبل وواد من هذه المنطقة ، والواقع أن الموقعة لم تتجاوز بعض هذه المنطقة ولكنها مبالغة لا تتجاوز حَدّ المعقول ، فقد تسيل الدماء من جَرّاء جراحِ من هزِم من الجرحى الذين اختفوا بين الشعاب وفى حرجات الأودية ، وجندُ ممدوحه يتتابعونهم فيها للقضاء عليهم .

ومن مبالغاته المذمومة وصفه لخطرات فكر القائد ، وبادرات رأيه بأنها كشفت ما استكنّ وراءَ حُجُبِ الغيب كقوله :

[illegible]استعان بخَطْرَةٍ من فِكْرِه * عَنَنٍ فسترُ الغيبِ ليس بِمُسْتَجَفِ (٢)

---

(١) ديوانه (١/ ٢٨٩) .

(٢) ديوانه (٣/ ١٤١٥) من قصيدة يمدح بها يوسف بن محمد الثغرى .

هذا والغالب على قصائده الاقتصادُ فى الوصف ، وعدم التهويل وتجاوز الحد فى رسم الصورة وتخيُّلها ، فإنْ وصف شدَّةَ الحربِ قال :

وعوانٍ يُحَلُّ تحتَ وَغاهَا * عقدةُ الفارسِ الشجاعِ النَّجيدِ
يخرسُ الدَّارعُونَ فيها فما يسـ * ـمع فيها إلا كَلَامُ الحديدِ (١)

فانحلال عُقْدَةِ الإزارِ أمرٌ يكون عند كل حركة ولكن انحلالَ عقدِ إزار الفارس الشجاع النجيد دليل على قوتها وكثرة حراكه فيها وكناية عن أهوالها ، وكذا خَرَسُ الدارعين وعدمُ كلامهم ، وعدمُ سماعِ أيِّ صوتٍ إلا صوتُ تقارُعِ الحديد ، ففيه دلالة على انبهار الفرسان وعدم استطاعتهم الكلام حيث تَجِفُّ حلوقهم وتيبس شفاههم فلا يستطيعون الكلام .

وإذا وصف خوف الأعداء من ممدوحه قال :

علم الرومُ أن غزوكَ ما كان عقابا لهم ولكن فناءُ
بسباءٍ سقاهم البينَ صِرْفاً * وبقتلٍ نَسُوا لديه النساءُ (٢)

أو قوله :

ربما وقعةٍ شعلت بها الرومَ فباتوا أذلةً صاغرينَا
قد أمنا أن يأمنوك على حالٍ ولو صيَّرُوا النجوم حُصُونَا
فزَّعُوا باسمك الصبى فعادت * حركاتُ البكاءِ منه سكونَا (٣)

كل هذا دليل على فزعهم وخوفهم منه ، غير مبالغ فيه لأنه ممكن الوقوع أو بالأحرى هو أمر واقع .

وبهذا نأتى إلى ختام الحديث عن خصائص شعر البحترى المرثى .

---

(١) ديوانه (٢/ ٧٧٠) من قصيدة يمدح بها أبا نهشل الطوسى .
(٢) ديوانه (١/ ١٨) من قصيدة يمدح بها أبا سعيد .
(٣) ديوانه (٤/ ٢١٦٥–٢١٦٦) من قصيدة يمدح بها أبا سعيد .

الفصل الثاني

الخصائص الفنية لشعر الحرب عند المتنبي

خصائص الشكل :

- الألفاظ والتراكيب .
- الصورة البيانية .
- القيم الصوتية .
- البناء الفني لقصيدة الحرب عند المتنبي .

خصائص المضمون :

- التجربة الشعرية .
- العاطفة .
- الأفكار .

الخصائص الفنية لشعر الحرب عند المتنبي

تحدث النقاد عن خصائص شعر المتنبي عامة ، ولكننا هنا سنتحدث عن الخصائص الفنية لشعر الحرب فقط وذلك فيما يلي :

أولا : الخصائص الفنية من حيث الشكل :

١ ــ الألفاظ والتراكيب :

أ ــ الالفاظ :

سبق الحديث عن مقاييس الألفاظ في الفصل السابق[1]، واتضح لنا من خلال ما درسنا أن أفضل نظم للألفاظ هو ما ابتعد فيه الناظم عن حوشي الألفاظ وغريبها ، مع إتقانه نظم كل كلمة مع أختها ، مجتنباً التكرار المجتلب ، وادراكه موافقتها للغرض والمقام .

ولقد (اهتم المتنبي بألفاظه وانتقائها ووضعها اهتماماً عظيماً بحيث إننا لن نبالغ إذا قلنا إن له صنعة خاصة بألفاظه وله ما يشبه المعجم الكامل من المصطلحات والكلمات ، وظل هذا الاتجاه عنده الى آخر حياته)[2] ومع أن صنعته هذه قد يكون في بعض جوانبها ما يخالف المشهور من اللغة إلا أنه يقدم على ذلك غير عابئ بهذه المخالفة مادام يجد له مستنداً من اللغة ولو كان شاذاً ، وهذا ماجعل بعض النقاد يصفه بقوله : (وأبو الطيب كالملك الجبار يأخذ ما حوله قهراً وعنوة أو كالشجاع الجريء يهجم على ما يريده ، لا يبالي مالقي ولا حيث وقع)[3]

(١) ص : (٤٢٨) من الرسالة .
(٢) الصنعة الفنية في شعر المتنبي د / صلاح عبدالحافظ (٥٧) ط (١) عام ١٩٨٣م دار المعارف مصر .
(٣) العمدة (٩٨) .

وقد كان صاحب ثروة لغوية كونت معجمه الشعرى فى كل قصائده وتمثلت فى إكثاره من أسماء السلاح وأدوات الحرب من خيل وفرسان أو ذكره مظاهرها من غبار وقدح وتصادم سلاح وأصوات وضوضاء أو وصف لنتائج المعركة وما فى ميدانها من قتلى وجرحى أو هُرّاب و مستسلمين وأسرى وغير ذلك مما له علاقة بالحروب .

وبالبحث فى ألفاظ شعره الحربى نجد لها خصائص معينة تتمثل فى الآتى :

جزالتها :

كان المتنبى حريصاً على اختيار الألفاظ الجزلة فى شعره عامة وفى الشعر الحربى خاصة ، وهذه الجزالة مما يتناسب وهذا المقام ، كما قال ابن الأثير : (فالجزل منها يستعمل فى وصف مواقف الحروب ، وفى قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك) (١)

فهى ألفاظ (متينة السبك قوية الأركان عظيمة البنيان) (٢)

وقد ساعده على انتقاء الجزل نفسيته الثائرة على كل شيء ، والطامحة الى كل علياء ، وكذا نشأته بين الأعراب وأخذه منهم الفصاحة والشجاعة والقوة والفروسية .

(ويكفى أن تقرأ أية قصيدة حربية نظمها المتنبى فى لظى الحرب وتحت أسنة الرماح وبين صليل السيوف ، وفى انسكاب الدماء الغزار حتى ترى هذه الروعة الشعورية العميقة الدفاقة ، وكأن المعركة بأهوالها وشدائدها حاضرة أمام ناظريك) . (٣)

---

(١) المثل السائر (١/٢٧٥) .

(٢) الحرب فى شعر المتنبى د/ محمود حسن أبو ناجى (٢/١٩٥) .

(٣) المرجع نفسه (٢/١٩٧) .

ومن ذلك قصيدته فى وصف قلعة الحدث ، وما دار عندها ، وهى قصيدة كلها أُلفاظ جزلة وأول ما يقابلنا فيها ويقرع أسماعنا منها قوله فى مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتى العزائمُ * وتأتى على قدر الكرام المكارمُ
وتعظم فى عين الصغير صغارها * وتصغر فى عين العظيم العظائم
يكلف سيف الدولة الجيش همه * وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم (١)

فإن المطلع جزلٌ فخمٌ ، اختار له من الكلمات أفخمها (قدر ، عزم ، عزائم ، كرام ، مكارم ، تعظم ، عظيم ، عظائم ، يكلف ، الجيش ، عجزت ، الجيوش الخضارم)

وقد زاد فى فخامتها وعظم جرسها تقارب اشتقاق كلماتها ومافيها من جناس كقوله : (عزم وعزائم ، كرام ومكارم ، صغير وصغارها ، تصغر تعظم ، عظيم ، عظائم) .

فإذا ما جئنا إلى وصفه جيش الأعداء نجده يقول :

أتوك يجرون الحديد كأنَّهم * سروا بجياد مالهن قوائمُ
إذا برقوا لم تُعْرَفِ البيضُ منهم * ثيابُهم من مثلها والعمائمُ
خميس بشرق الأرض والغرب زحفُهُ * وفى أذن الجوزاء منه زمازمُ
تجمع فيه كل لَسْنٍ وأمةٍ * فما تفهم الحدَّاثَ الا التراجمُ (٢)

فإنه عدل عن استخدام (جاؤوك) بدلا من (أتوك) و(يسحبون) بدلا من (يجرون) و (بخيول) بدلا من (بجياد) و(لمعوا) بدلا من (برقوا) و (مشيه) بدلا من (زحفه) وما ذاك إلا لحرصه على الجزالة

---

(١) ديوانه (٤/ ٩٤ — ٩٥) مطلع قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٢) ديوانه (٤/ ٩٩ — ١٠٠) من القصيدة نفسها .

وشدة الأسر .

ومما أضفى عليها الجزالة إكثاره من ذكر عدد الحرب ، ووصف شدة الهول كقوله عن الأعداء من قصيدة يمدح بها سيف الدولة :

فأتتهم خوارق الأرض ما تحـ ... ـمل إلا الحديدَ والأبطالا
خافيات الألوان قد نسج النقـ ... ـع عليها براقعاً وجِلالا
حالفته صدورُها والعوالي ... لتخوضن دونه الأهوالا
ولتمضن حيث لا يجد الرمـ ... ـح مداراً ولا الحصانُ مجالا
تجمع الرومَ والصقالبَ والبلـ ... ـغُرَ فيها وتجمعُ الآجالا
وتوافيهم بها في القنا السمـ ... ـر كما وافت العطاشُ الصِّلالا (١)

ففي أبيات قلائل ذكر (الحديد ، والأبطال ، والنقع والبراقع والجلال ، والعوالي ، والخوض والأهوال ، والرمح ومداره ، والحصان ومجاله ، وجند الروم وأصنافهم ، والآجال والقنا السمر) .

هذا وللمتنبي ألفاظ رقيقة لكنها لا تمثل الظاهرة العامة ومن ذلك قوله من قصيدة يمدح بها سيف الدولة على انقاذه أحد الثغور من إغارة الدمستق :

---

(١) ديوانه (٣/٢٥٥ ــ ٢٥٨) الجلال : جمع جُلّ وهو ما كان على ظهر الدابة تحت السرج ــ الصِّلال : جمع صِل وهي ، الأمطار المتفرقة يقع منها الشيء بعد الشيء وكذا بقايا الماء اللسان (١١/٣٨٣) .

وغرَّ الدمستقَ قولُ العدا ... ة أن علياً ثقيلٌ وصِبْ
وقد علمت خيله أنه * إذا هم وهو عليلٌ ركِبْ
أتاهم بأوسع من أرضهم * طوالَ السبيب قصارَ العُسُبْ
تغيب الشواهق في جيشه * وتبدو صغاراً إذا لم تغبْ
ولا تعبر الريح في جوّه * إذا لم تخط القنا أو تثبْ
فغرق مدنهم بالجيوش * وأخفت أصواتهم باللجبْ
فأخبث به طالباً قهرهم * وأخبث به تاركا ما طلبْ
نأيتَ فقاتَلَهم باللقاءِ * وجئتَ فقاتَلَهُم بالهرب (١)

فالغالب على هذه القصيدة رقة الألفاظ وسهولة مخارج حروفها وليس هذا لخفة البحر وقِصَرِ تفعيلاته ، فقد تكون هذه الألفاظ الرقيقة في قصيدة من بحر الطويل كقوله :

هنيئا لأهل الثغر رأيك فيهم * وأنك حزبَ الله صرتَ لهم حزبا
وأنك رعتَ الدهر فيها وريبه * فإن شك فليحدث بساحتها خَطْبا
فيوماً بخيل تطرد الرومَ عنهم * ويوماً بجود تطرد الفقرَ والجَدْبا
سراياك تترى ، والدمستق هارب * وأصحابه قتلى ، وأمواله نهبى
أتى مرعشاً يستقرب البعدَ مقبلاً * وأدبر إذا أقبلت يستبعدُ القربا
كذا يترك الأعداء من يكره القنا * ويقفلُ من كانت غنيمته رعبا (٢)

أنها ألفاظ مألوفة مأنوسة :

يغلب على ألفاظ أبي الطيب في شعره الحرص ألفها وأنسها وعدم غرابتها ووحشيتها وإن كان المعهود عنه التفاصح ليدل على براعته

---

(١) ديوانه (١/ ٢٢٩ — ٢٣١) .

(٢) ديوانه (١/ ١٨٧ — ١٩٠) .

اللغوية إلا أن قصائده الحربية تقل فيها الألفاظ الغريبة الوحشية .

ومن أمثلة هذه الألفاظ المألوفة المأنوسة قوله من قصيدة يمدح بها على بن إبراهيم التنوخى :

كأن سخاءك الاسلام تخشى * إذا ما حلت عاقبة ارتداد
كأن الهام فى الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد
وقد صغت الأسنة من هموم * فما يخطرن إلا فى فؤاد
ويوم جلبتها شعث النواصى * معقدة السبائب للطراد (١)

فإن كل ألفاظ هذا المقطع الحربى مألوفة مأنوسة مثلا (الهام ــ الهيجا ــ عيون ــ طبعت ــ سيوفك ــ رقاد ــ صغت ــ الأسنة ــ هموم ــ يخطرن ــ فؤاد ــ جلبتها ــ شعث النواصى ــ معقدة السبائب للطراد) فهذه كلمات ثلاثة أبيات ومع ألفها وأنسها قامت بوصف الغرض الحربى خير قيام .

ــ ملاءمتها للغرض :

ملاءمة الألفاظ للغرض الذى أنشئت من أجله القصيدة أو المعنى الذى يراد التعبير عنه من ضروريات الإبداع ولقد كان المتنبى متحرياً لذلك فى شعره الحربى فى أغلب أحواله فألفاظه موحية مشعة ، تعبر أدق تعبير عما يريد نقله من مشاعر وخواطر وانفعالات تكاد تسمع منها قعقعة السلاح ودقات الطبول .

ومن ذلك قوله فى قصيدته التى مدح بها سيف الدولة حين غزا بنى كلاب :

---

(١) ديوانه (٢/ ٨٠ ــ ٨٣) .

بغيرك راعيا عبثَ الذئاب * وغيرك صارماً ثَلَمَ الضِّراب
وتملك أنفس الثقلين طُرّاً * فكيف تحوز أنفسها كلاب
وما تركوك معصية ولكن * يعاف الورد والموت الشراب
طلبتهم على الأمواه حتى * تخوّف أن تُفَتِّشَهُ السحاب
فبتَّ لياليا لا نوم فيها * تَخُبُّ بك المسومةُ العِراب
يهز الجيش حولك جانبيه * كما نفضت جناحيها العُقاب
وتسأل عنهم الفلواتِ حتى * أجابك بعضها وهم الجواب (١)

فالألفاظ جزلة تناسب الغرض الذى جاء بها من أجله لأنها فى إبراز قوة سيف الدولة (— عبث — صارماً — ثَلِمَ — الضراب — طراً — تخوّف — تُفَتِّشه — تخبُّ — مسومةً — عِرابُ — يَهُزّ — نفضت — عقاب) فكلها (ألفاظ جزلة رصينة ، فيها النبرة العالية بحيث تكاد تسمع رنينها وجهارتها) (٢)

وفيها مناسبة للمعنى (فإن قوة الحامى تبرزه كلمةُ (راعياً وصارما) — وعدم ورود الماء خوفا من الموت تبرزه كلمة (يعاف) والحركة الدافقة التى أراد إثباتها لجيش سيف الدولة تصورها الكلمات (لا نوم — تخب — تهز — كما نفضت جناحيها العقاب) (٣)

ومثله قوله فى موالى سيف الدولة وخيله :

كلما صبحتْ ديارَ عدوٍّ * قال تلك الغيوثُ هذى السيول
دَهِمته تطايرُ الزردَ المحـ * ـكمَ عنه كما يطير النسيل
تقنص الخيلَ خيلُه قنص الوحـ * ـش ويستأسر الخميسَ الرعيلُ

---

(١) ديوانه (١/٢٠٤ — ٢٠٥) .
(٢ ، ٣) فى ميزان النقد الأدبى د / طه أبو كريشة (٨١)

ثم عاد إلى الحديث عن سيف الدولة :

وإذا الحرب أعرضت زعم الهو * لُ لعينيه أنه تهويـــلُ
وإذا صحَّ فالزمانَ صحيحُ * وإذا اعتل فالزمانُ عليــلُ
وإذا غاب وجهه عن مكانٍ * فبه من ثناه وجه جميــلُ
ليس إلاك يا عليُّ همامٌ * سيفُهُ دونَ عرضِهِ مسلولُ
كيف لا يأمن العراقُ ومصرُ * وسراياك دونها والخيــولُ
لو تحرَّفت عن طريق الأعادى * ربط السدرُ خيلَهُم والنخيــلُ
ودرى من أعزه الدفع عنه * فيهما أنه الحقيرُ الذليــل
أنتَ طول الحياة للروم غازٍ * فمتى الوعد أن يكون القفــولُ
وسوى الروم خلفَ ظهرك رومٌ * فعلى أى جانبيك تميــلُ
قعد الناسُ كلهم عن مساعيـ * ـك وقامت بها القنا والنصولُ (١)

فإنه أراد أن يثبت قوة موالى سيف الدولة فأفاده فـى (صبحت ــ السيول ، دهمته تطايرُ) وأراد أن يثبت قوة خيله فقال : (تقنص) دلالة على تسلطها وقهرها لخيل الأعداء وجيوشهم .

وأراد أن يثبت قوة سيف الدولة فقال : زعم الهول ، فجعل الهول هو المتكلم استخذاء له وقال : زعم ولم يقل " قال " لأن زعم تثبت خلاف ما قال هذا الهول ، فإنه هول عظيم ولو زعم أنه تهويل ومع هذا يستخذى ويضعف أمامه وقال : همام ليثبت أنه ملك عظيم قويّ الشكيمة عالى الهمة. وقال : " لو تحرّفت " فكأنه صخرة عاتية وقفت فى وجوه الأعداء فلا يمكن أن تتحرك إلا بشىء من الثّقل بمقدار ثقل الكلمة وأن ذلك لا يمكن أصلاً .

---

(١) ديوانه (٣/ ٢٧٥ ــ ٢٧٧).

وأراد أن يثبت له ديمومة الجهاد فقال (طول الحياة) فأدت الكلمة معنى الاستمرار فى هذا الجهاد المقدس .

— ملاءمة جرس الألفاظ للغرض :

لأبى الطيب عناية بذلك فإنه حريص على أن تتواءم موسيقى الكلمة وجرس حروفها مع الغرض الحربى الذى مصدره القوة والجبروت ومن ذلك قوله :

فلله وقتٌ ذوب الغشّ نارُهُ * فلم يبق إلا صارمٌ أو ضُبَارِمُ
تقطّع مالا يقطَعُ الدرعَ والقَنَا * وفرّ من الأبطال من لا يصادمُ
وقفت وما فى الموت شك لواقف * كأنك فى جفن الردى وهو نائمُ
تمر بك الأبطال كلمى هزيمةً * ووجهُك وضاحٌ وثغرُك باسمُ
تجاوزتَ مقدار الشجاعة والنهى * إلى قول قوم أنت بالغيب عالمُ
ضممت جناحيهم على القلب ضمة * تموت الخوافى تحتها والقوادمُ (١)

فالجرس القوى ظاهر فى مثل : صارم — ضبارم — تقطع — فر — مالا — يقطع — يصادم — كلمى — — وجهك — ثغرك وضاح — باسم — الشجاعة — النهى — ضممت — ضمة — الخوافى القوادم . . .) فكلها كلمات ذات موسيقى فخمة أكثر فيها من الأحرف المفخمة الصاد ، والضاد والطاء ، ومما زاد فى جزالتها وقوع مدّ بعدها — صارم — ضبارم — أبطال — يصادم — وضاح — . . .

ومما قوى موسيقا ألفاظ الأبيات السابقة وجعلها جزلة عدة أشياء منها : الصياغة التى وردت فيها تلك الكلمات وما فيها من تضعيف جاء فى مثل قوله : ذوّب ، الغشّ ، تقطّع ، فرّ ، شكّ . . .

---

(١) ديوانه (٤/١٠١—١٠٥) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

ومنها عطف النظير على نظيره في مثل : صارم ، ضبارم ، الدروع والقنا ، كلمى ، هزيمة ، وجهاء ، شعراء ، الشجاعة ، النهى .

أو تكرار اللفظة نفسها أو ما قاربها في الاشتقاق : تقطّع ، يُقَطّع مالا ، من لا ، وقفت ، اواقف ، الموت ، الردى ، ضممت ، ضمة .

تلك هي أشهر الخصائص العامة لكل ألفاظه بيد أن هناك خصيصته لبعض الألفاظ ومنها ما أشار اليه الثعالبي من (استعماله ألفاظ الغزل والنسيب في أوصاف الحرب والجدّ ، وهو أيضاً مما لم يسبق إليه ، وتفرد به وأظهر فيه الحذق بحسن النقل ، وأغرب عن جودة التصرف والتلعُّب بالكلام) (١) .

ومن ذلك قوله :

أعلى الممالكِ ما يبنى على الأسل * والطعن عند محبيهن كالقُبَلِ (٢)

(فقد عهدنا حديث القبل في مواقف الغرام بين العاشقين ، فإذا شبه بها الطعن في الحرب الذي قد يصيب المحارب ، فليس لذلك من وجه إلا التلذذ بها في سبيل الوصول إلى عزة الملك وهيبة السلطان) (٣)

وقوله :

شجاع كأنّ الحرب عاشقةٌ له * إذا زارها فدته بالخيل والرَّجْلِ (٤)

(فقد تخيّل أن بقاء المحارب الشجاع دون هلاك ، إنما سببه هو أن الحرب تعشقه ، وتحرص على بقائه حياً ، فإذا زارها فإنها تحميه

(١) يتيمة الدهر (١/ ١٩٣) .

(٢) ديوانه (٣/ ١٤٣) .

(٣) الخيال الشعرى عند أبي الطيب المتنبي د / طه أبو كريشة (٦٢/ ٦٣) .

(٤) ديوانه (٣/ ١٤٤) .

أتاهم بها حشو العجاجة والقنا * سنابكها تحشو بطون الحمالق

فليت أبا الهيجا يرى خلف تدمر * طوال العوالي في طوال السمالق

بكلّ فلاةٍ تنكرُ الأنسُ أرضَهَا * ظعائن حمرُ الحَلْيِ حُمْرِ الأيانقِ

وملمومةٍ سيفيّة ربعيّةٍ * يصيح الحصى فيها صياحُ اللقالقِ

بعيدة أطراف القنا من أصوله * قريبة بين البَيْضِ غبرُ اليلامقِ (١)

فإن قوافي هذه الأبيات كلّها فيها غرابة ، فالحمالق جمع حِمْلاق وهو بطن جفن العين ، والسمالق جمع سَمْلق وهي المفازة المستوية الأرض المترامية الأطراف ، والأيانق جمع أينُق جمع ناقة ، واللقالق جمع لقلق وهو طائر كبير يكثر في العراق ، واليلامق جمع يلمق وهي الأقبية .

٢ ـــ استكثاره من قول(ذا) ومما ورد منها معيناً ـــ كما يرى بعض النقاد ـــ (٢) قوله من شعره الحربي :

أفي كل يوم ذا الدمستق مقدم * قفاه على الإقدام للوجه لائم (٣)

والواقع أنها في شعره الحربي قليلة ولا تمثل ظاهرة يعاب عليها ، كما أن بعض أماكنها التي تأتي فيها لائقة بها كاستخدامه لها في البيت السابق فإنها هنا جاءت للتحقير ، ومن الزيادة بالتحقير الضنُّ بنطق اللفظ كاملاً .

---

(١) ديوانه (٣/٦٥ ـــ ٦٧) .

(٢) منهم الثعالبي في اليتيمة (١/١٦٣) وما ذكره القاضي الجرجاني في وساطته على لسان الخصوم (٩٥ ـــ ٩٧) .

(٣) ديوانه (٤/١٠٥) .

٣ — تكراره اللفظ على حاله لغير ما سبب معنوى أو آخر يقتضيه ومما ورد له منه فى شعر الحرب قوله :

لك الخير غيرى رام من غيرك الغنى * وغيرى بغير اللاذقية لاحق (١)

وقوله :

وكلكم أتى مأتى أبيه * فكل فعال كلكم عجاب (٢)

وقوله في بدر بن عمار :

جواب سائلى أله نظير * ولا لك فى سؤالك لا ألا لا (٣)

وهذا يؤدى إلى تعقيد المعنى ويدل على تكلف .

بيد أن هذه المعائب لا تذكر مع محاسنه المتقدمة .

ب — التراكيب :

جل تراكيب المتنبى فى شعره الحربى حسنة التأليف جيدة السبك أعانها على ذلك فخامة ألفاظها (فجمع بين الفصاحة والجزالة وبين العذوبة والرشاقة) (٤) من مثل قوله :

له عسكرا خيل وطير إذا رمى * بها عسكراً لم يَبْقَ إلا جماجمُهْ
أجِلَّتُهَا من كل طاغ ثيابه * وموطنها من كل باغ مَلَاغِمُهُ
فقد ملّ ضوءُ الصبح مما تغيرُهُ * وملّ سوادُ الليل مما تزاحمُهْ
وملّ القنا مما تدق صدورهُ * وملّ حديدُ الهندِ مما تلاطمُهْ
سحابٌ من العقبان يزحف تحتها * سحاب إذا استسقت سقتها صوارمُهْ (٥)

فتراكيبه فى هذه الأبيات بليغة مكونة من كلمات فصيحة لا يمكن أن ينوب غيرها عنها (له عسكرا خيل وطير) ، (إذا رمى بها عسكراً)

---

(١) ديوانه (٣ / ٩٠) من قصيدة يمدح بها الحسين التنوخى .
(٢) ديوانه (١ / ٢١٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٣) ديوانه (٣ / ٣٤٦) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٤) الصنعة الفنية فى شعر المتنبى د / صلاح الحافظ (٢٧٩) .
(٥) ديوانه (٤ / ٥٤-٥٦) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(لم يَبْقَ إلا جماجِمُهْ) فقال (له عسكرا) ولم يقل : له (أنصار أو جند أو جيش) وقال : (إذا رمى بها) ولم يقل : (إذا هاجم أو أتى) وقال (لم يبق) ولم يقل (لم يترك) .

وهكذا لو تتبعنا بقيّة تراكيب هذه القصيدة .

هذا وتتراوح جمل المتنبى بين الخبرية والانشائية ، والجمل الخبرية أكثر لأن القصائد تسجيل لوقائع مضت وأحداث انتهت فمجال الأخبار فيها أرحب كقوله :

١ — سراياك تترى ، والدمستق هارب * وأصحابه قتلى وأمواله نهبى

٢ — أتى مرعشاً يستقرِبُ البعدَ مقبلاً * وأدبر إذ أقبلت يستبعد القُرْبَا

٣ — كذا يترُكُ الأعداءَ من يكرهُ القَنَا * ويقفُلُ من كانت غنيمتُهُ رُعْبَا

٤ — وهل رَدَّ عنه باللقان وقوفه * صدورَ العوالى والمطهَّمةَ القُبَّا

٥ — مضى بعدما التفَّ الرماحانِ ساعةً * كما يتلقى الهدبُ فى الرقدِ الهُدْبَا

٦ — ولكنَّه ولى وللطعنِ سَوْرَةٌ * إذا ذكرتْها نفسُهُ لَمَسَ الجَنْبَا

٧ — وخلَّى العذارَىٰ والبطاريقَ والقُرَىٰ * وشعثَ النَّصارَىٰ والقرابينَ والصُّلْبَا (١)

فقوله : (سراياك تترى ، الدمستق هارب ، أصحابه قتلى ، أمواله نهبى ، أتى مرعشاً مقبلاً ، أدبر إذ أقبلت ، خلى العذارى و . . .)

فكل هذه الجمل خبرية وهى إخبار عن الدمستق ومآل جنده ، ويستشف منها الاستهزاء به و بجبنه الذى لم يمهله للوقوف للرماح ومجابهة الأعداء .

كما أن أكثر هذه الجمل الخبرية جمل فعلية بين جمل مصدرة

---

(١) ديوانه (٢ / ١٨٨ — ١٨٩) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

بأفعال ماضية وجمل مصدرة بأفعال مضارعة (أتى — أدبر — أقبلت — يترك — يكره — يقفل — ردّ — مضى — يتلقى — ولى — ذكرتها لمس — خلى) .

وتكمن فائدة التعبير بالفعل المضارع فيما فيه من إفادة التجدد والحدوث ، فقوله (كذا يترك الأعداء من يكره القنا)

يفيد : أن من هذا شأنه من كرهه للحروب ، وخوفه من القنا سيفرُّ من أمام الأعداء كلّما لقيَهُم .

وأظهر من الأمثلة الماضية فى الدلالة على فائدة التعبير بالفعل المضارع قوله :

قاد الجياد إلى الطعان ولم يقد * إلا إلى العادات والأوطانِ
كل ابن سابقة يغير بحسنه * فى قلب صاحبه على الأحزانِ
إن خليتْ ربطتْ بآداب الوغى * فدعاؤها يغنى عن الأرسانِ
فى جحفل سَتَرَ العيونَ غبارُهُ * فكأنَّما يبصرنَ بالآذانِ
يرمى بها البلدَ البعيدَ مظفّرٌ * كلُّ البعيدِ له قريبٌ دانِ
حتى عبرنَ بأرسناسَ سوابحاً * يَنْشُرْنَ فيه عمائمَ الفرسانِ
وحشاه عادية بغير قوائم * عقم البطونِ حوالِكَ الألوانِ
تأتى بما سبت الخيولُ كأنَّها * تحت الحسانِ مرابضُ الغُزْلانِ (١)

فإن قوله (يغيرُ بحسنِهِ) يفيد تجدد هذه الإغارة فى كل وقت كلما نظر إليه صاحبه ، وقوله (يغنى عن الأرسان) يفيد أن ذلك من شأنها فى كل حين كلما دُعيَتْ ، وقوله (يبصرن بالآذان) يفيد أن إبصارها وحدة نظرها ملازمة لها ، ومتجددة كلما كساها الغبار ، وقوله :

---

(١) ديوانه (٤/٣٠٩ — ٣١٢) .

(يرمى بها البلد . . .) يفيد أنها خيل معدة للإغارة فى كل وقت كلما غزا بها بلداً ، جدد تلك الإغارة على بلد آخر ، وقوله : (ينشرن فيه ..) يفيد أن ذلك النَّشر متجدد ، ومكرر لعمائم الفرسان كلما عبرت ، وقوله (تأتي بما سبت الخيول . . .) يفيد أن ذلك من شأنها دائماً .

وأما استخدامه للجمل الإنشائية ، فيهمنا منها ما كان الإنشاء فيها طلبياً كالأمر والنهى والاستفهام والنداء فمن استخدامه الأمر قوله :

وكن كالموت لا يرثى لباكٍ * بكى منه ويروى وهو صادِ (١)

وقد جاء الأمر فيه مفيداً التحريض .

وقوله مخاطباً أعداء سيف الدولة :

خذوا ما أتاكم به واعذروا * فإنّ الغنيمة فى العاجِلِ

فالأمر فيه يفيد الاستهزاء بهم ، وجاء بعده قوله :

وإن كان أعجبكم عامُكُمْ * فعودوا إلى حِمْصَ من قابلِ

فأفاد الأمر فيه التهديد لهم ويؤيده قوله بعده :

فإن الحسام الخضيبَ الذى * قُتِلْتُمْ به فى يد القاتِلِ (٢)

ومن استخدامه النهى قوله :

فلا تغررك ألسنةٌ موالٍ * تقلّبهنّ أفئدةٌ أعادِى (٣)

وقد أفاد التحذير من ألسنة هذه صفة أهلها .

---

(١) ديوانه (٢ / ٨٣) من قصيدة يمدح بها على بن إبراهيم التنوخى حين قدم لحرب قوم من تنوخ خرجوا فى اللاذقية .

(٢) ديوانه (٣ / ١٥٩) .

(٣) ديوانه (٢ / ٨٣) .

وقولـــــه :

فلا سقى الغيث ماواراه من شجر * لو زال عنه لوارت شخصَهُ الرخَمُ (١)

وقد أفاد الدعاء على هذا الشجر الذى استتر به هذا المنهـــزم بعدم السقيا ، وقوله مخاطباً نديميه :

فلا تبلغاه ما أقول فإنـــــه * شجاعٌ متى يذكر له الطعنُ يَشْتَقِ (٢)

فالنهى فيه للإشادة بشجاعة هذا القائد الممدوح .

ومن استخدامه الاستفهام قوله :

وكيف يبيت مضطجعاً جبـــانٌ * فرشتَ لجنبه شوكَ القتـــادِ (٣)

وقد أفاد الاستفهام فيه النفى مع التحذير ، لأنه نفى المبيـــت عن أعداء ممدوحه خوفاً منه ، ومن كان هذا حاله فإنه لابد وأن يتحين الفرص للإيقاع بخصمه والكيد له ومحاولة دفع خوفه عنه ولهذا حذره منهم .

وقولـــــه :

أين البطاريق والحلف الذى حلفوا * بمفرق المَلْكِ والزعم الذى زعمـــوا (٤)

فالاستفهام فيه يفيد الاستهزاء بهم ،والتحقير من شأنهم ، لأنهم لم يفـــوا بأيمانهم ونذورهم التى نذروها من القضاء على سيف الدولة ، فشأنهم أقـل من ذلك .

ومثله فى الإفادة قوله :

---

(١) ديوانه (٤ / ١٤٠) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢) ديوانه (٣ / ٥٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٣) ديوانه (٢ / ٨٤) .

(٤) ديوانه (٤ / ١٣٠) .

أفي كل يوم ذا الدمستق مقدم * قفاهُ على الإقدام للوجه لائِـمُ
أينكر ريح الليث حتى يذوقَهُ * وقد عرفت ريحَ الليوثِ البهائِمُ (١)

كما جاء الاستفهام في قوله مخاطباً سيف الدولة :

كيف لا يأمنُ العراقُ ومصرٌ * وسراياكَ دونَهَا والخيـــولُ (٢)

مفيداً التقرير والإشادة بشجاعته وأن جانبه مهيبٌ والأعــداء يخافونه لا يتخطونه ، ومن الإشادة بشجاعته وكثرة غزواته وطول حروبه قوله :

أنت طول الحياة للروم غــاز * فمتى الوعد أن يكون القفول (٣)

وقد جاء الاستفهام في قوله :

وكيف ترجى الرومُ والروسُ هدمَهَا * وذا الطعنُ أساسٌ لها ودعائِمُ (٤)

مفيداً الاستبعاد لما يرجون .

ومن استخدامه النداء قوله :

فيا أيها المطلوب جاوره تمتنع * ويا أيها المحروم يَمِّمْهُ تـــرزقِ
ويا أجبن الفرسانِ صاحبه تجترئ * ويا أشجع الشجعان فارقه تَفْرَقِ (٥)

فأفاد الإشادة باتصافه بهذه الصفات (المنعة والكرم والشجاعة) في درجاتها العالية وذلك بطريق غير مباشر ، هذا إلى جانب أن هــذه الصفات لا تضيق عن سعة كل من يتأتى نداؤه ، فليست خاصة بفـــرد أو جماعـــة .

---

(١) ديوانه (٤ / ١٠٥) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٢) ديوانه (٣ / ٢٧٦) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٣) ديوانه (٣ / ٢٧٧) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٤) ديوانه (٤ / ٩٩) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٥) ديوانه (٣ / ٥٩) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

ومن خصائص التراكيب في شعر الحرب لدى المتنبي : حسن استثماره لأسلوب التقديم والتأخير مما يضفي على تراكيبه دلائل معنوية يقتضيها المقام كقوله :

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ ✱ وتأتي على قدر الكرام المكارمُ
وتعظم في عين الصغير صغارُها ✱ وتصغر في عين العظيم العظائمُ (١)

فقد قدم الجار والمجرور في الشطر الأول على الجملة الفعلية كلها وقدمهما على الفاعل في بقية الأشطر ، وذلك لأهمية المعنى الذي جاء به وتأكيده ، وهو إنما يريد أن يثبت عظام قدر سيف الدولة ، فاحتفاء منه بهذا القدر ، وإبرازاً منه لمنزلته في عظم العزائم والمكارم قدّمه ، ومثله تقديمه (في عين ...) في الشطرين فإنه قدمهما لأهمية هذه العين وأنها هي التي تحدد مستوى ما يلاقيها فإن كانت عين عظيم صَغُرت ما لاقاها وإن كانت عين صغير عظمت ما لاقاها .

ومن ذلك قوله في مطلع قصيدة وصف فيها حال رسول ملك الروم وطلبه الصلح :

دروع لملك الروم هذي الرسائل ✱ يرد بها عن نفسه ويشاغل (٢)

فإنه قدم الخبر ومتعلقه على المبتدأ لإبراز أهمية هذه الرسائل ، وأنها قامت لملك الروم مقام الدروع يحتمي بها ، مما يدل على مدى رعبه وخوفه من سيف الدولة ، وأن الدروع الحقيقية لا تغني عنه شيئاً ، ولذا احتمى بهذه الرسائل .

---

(١) ديوانه (٩٤/٤) .
(٢) ديوانه (٢٣٢/٣) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

ومثله قوله :

أفي كل يوم ذا الدمستق مقدم * قفاه على الإقدام للوجه لائم (١)

فإنه قدّمَ الجارّ والمجرور ليفيد كثرة هذا الإقدام الذى يعقبه فرار، كما قدّم (على الإقدام الوجه) لبيان الموقع الذى يقع عليه اللوم، تشهيرا بـــه .

ومن خصائص تركيبه ما عبر عنه الثعالبى بـ (حسن سياقة الأعداد) (٢) وهو تعداد جزئيات يربط بينها برباط واحد كقوله فى الدمستق :

وخلى العذارى والبطاريق والقُرى * وشعث النصارى والقرابين والصُلْبـــا (٣)

فإنه عدد ما خلّفه الدمستق وراءه لما هرب، وحشدها فى بيـــت واحد

وفى ذلك دلالة على شدة الصدمة التى واجهت الدمستق فى حربه هذه، ففر لا يلوى على شئ، لقد خلف وراءه أعز شئ عليه ـ عذارى و بطاريق وقرى وشعث النصارى والقرابين والصلبان، وكل واحد من هـذه الأشياء كفيلٌ بأن يحتّم عليه البقاء فى ميدان المعركة، حتى ولو فقد حياته فكلّها مما يثير الحمية ويبعث على الغيرة .

وقوله مخاطباً سيف الدولة :

ألا أيها السيف الذى ليس مغمداً * ولا فيه مرتابٌ ولا منه عاصـــمُ
هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلا * وراجيك والإسلامِ أنك سالـــمُ (٤)

---

(١) ديوانه (٤/ ١٠٥) .
(٢) يتيمة الدهر (١/ ١٩٦) .
(٣) ديوانه (٢/ ١٨٩) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٤) ديوانه (٤/ ١٠٨) .

فقد هنّأ بسلامته ضربَ الهام والمجدَ والعلا ومرتجيه والاسلامَ ، وحبذا لو قدم الإسلام على غيره - والمراد من هذا السياق إبراز عظمة هذا القائد وأن كلّ هذه الأشياء الخمسة تهنى به .

وقوله عن نفسه :

ومرهفٍ سرت بين الجحفلين به * حتى ضربتُ وموجُ الموتِ يلتطِمُ
فالخيل والليل والبيداء تعرفني * والسيف والرمح والقرطاس والقلمُ (١)

فسياقه لهذه الأشياء السبعة وأنها تعرفهُ دلالة على عظمته وشجاعتِه .

وقوله مخاطباً سيف الدولة :

وربَّ جواب عن كتابٍ بعثتَهُ * وعنوانُهُ للناظرينَ قتامُ
حروف هجاء الناس فيه ثلاثةٌ * جوادٌ ورمحٌ ذابلٌ ، وحسامُ (٢)

فسياقته لحروف هذا الجواب الذى كنى به عن الجيش فيها دلالة على عظم عدته وأنها من خير العدد ، خيل جياد وسيوف قاطعة ، ورماح لينه وهو ماعرف فيما بعد بحسن التقسيم .

تلك هى أشهر خصائص تراكيب شعر أبى الطيب بيد أن هذه المحاسن لا تعنى عدم وجود بعض العيوب والمآخذ التى آخذه بها النقاد ونذكر بعضاً مما ورد منها فى شعره العربى :

من ذلك تعقيده المعنى البسيط حتى يظن من قرأه أو سمعه أن وراء هذا التعقيد معنى بديعاً ، حتى إذا كشف عن مراده اتضح له خلاف ذلك ، وأسباب هذا التعقيد كثيرة . منها التواء العبارة وتكرار ما لا ضرورة له

---

(١) ديوانه (٤ / ٨٥) من قصيدة يعاتب فيها سيف الدولة بعد مدح .

(٢) ديوانه (٤ / ١١٣) .

كقولـــه :

فكلكم أتى مأتى أبيـــــه * فكل فعال كلكم عجـــابُ

فهو معنى يسير صاغة الشاعر في عبارة ملتوية ، استحق بها ماوصفه به الحاتمي بقوله معلقاً على البيت : (فهذا لفظٌ مضطربٌ ونظمٌ متهافتٌ)(١)

وكذلك عيب عليه تكراره حروف الجر إلى درجة التصادم حال النطق بها نتيجة لتتابعها ، وهو ما يسميه ابن الأثير بالمعاظلة اللفظية ومـــن ذلك قوله :

وتسعدني في غمرةٍ بعد غمرةٍ * سبوحٌ لها منها عليها شواهـــد(٢)

فإنه أردف حروف الجر خلف بعضها ووصل كل الحروف بضمير ذي دلالة واحدة يعود إلى فرسه التي ركبها ، ومراده أن يقول : سبوح لها شواهد من نفسها على أصالتها .

ومثله قوله :

تبيتُ وفودهم تسري إليـــــه * وجدواه التي سألوا اغتفــــار

فخلّفهم بردّ البِيْض عنهـــم * وهامُهُم له معهـــم معـــار (٣)

فتكراره لحروف الجر مع تكرار الضمير " هم " تسبب في ثقل النطـــق بها ، وتعثر اللسان فيها ، ومما زاد ذلك تقارب حروف الكلمة هاءاتها وميماتها

ومع هذا فإن هذه العيوب لا تمثل ظاهرة في شعره الحربي يؤاخذ عليها وينعت بها .

---

(١) الرسالة الموضحة للحاتمي (٣٧) .
(٢) ديوانه (١/٣٩٣) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٣) ديوانه (٢/٢١٢) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

٢ ـ الصور البيانيـة :

تظهر عبقرية الشاعر فى إبداعه الصورة الفنية ، وإبرازه خصائصها فما الشعر إلا الصورة إذا عاضدتها الألفاظ وساعفتها التراكيب .

ومناحي الصورة عند المتنبى لا تختلف عن سائر الشعراء ، فهـى إما تشبيهٌ وإما استعارةٌ وإما كنايةٌ ، وسنبحث عن الصورة الفنية وأجزائها مع عدم الإغراق فى التفاصيل البلاغية .

أ ـ التشبيه :

عـالج المتنبى التشبيه كثيراً ، وأجاد فى أكثر صوره منه وهذا ما حدا بالثعالبى إلى عده من حسناته وبدائعه (١) ، وللمتنبى صـور شعرية مثّلت الحروب وما دار فيها أدق تمثيل ، وقد رأيناه يركز علـى الحركة ويصور ميدان المعركة ، وما فيه من غبار ولمعان سيوف ، وقـراع أسنة ، وجولان خيل ، وما فى الميدان من قتلى أو جرحى أو أشلاء متناثرة وما أعقبـه من فرار وملاحقة ، وجمع للأسرى والسبى .

لقد وصف المتنبى الجيش وكثرته وركّز على حركته وكثافته فقال فـى مجال التشبيه :

يهزُّ الجيشُ حولك جانبيه * كما نفضت جناحيها العقابُ (٢) .

فإنه لما نظر إلى سيف الدولة وهو فى قلب جيشه ، والجيش محيط به من كل وجهة ، وهو يحث الخطا مسرعاً ـ رأى أن هذه الحركة السريعة لجانبى الجيش تحدث تموّجاً فى عينى الرائي ، فتذكّر صورة من الواقـع

---

(١) انظر يتيمة الدهر (١/ ١٨٠ ـ ١٨١) .

(٢) ديوانه (١/ ٢٠٥) .

شبهها بها ، ألا وهى صورة العُقاب ذلك الطائر الجارح - وقد نفض جناحيه ، وحركهما على امتدادهما عند الطيران ، إن هذا الخيال ليرينا الجيشَ وهو يتحرك وقلب الرحى قلبه الذى فيه سيف الدولة وفيه إشارة إلى امتداد جناحيه وهما ميمنته وميسرته ، ومتابعتهما لقلب الجيش الذى هو مركز قيادته .

وقال من قصيدة أخرى :

سار ولا قفر من مواكبه * كأنّما كلُّ سبسبٍ جبل (١)

فمواكبه وجيوشه التى سار بها نهاراً أو ليلاً -كما جاء فى رواية أخرى (سارٍ) - قد غطت لكثرتها كلّ ما حولها من السهول ، حتى لم يبق قفرٌ حوله إلا قد غطته ، ولكثافتها فإن السهول التى غطتها صارت كأنها الجبال لتراكم الفرسان وامتلائهم الخيول وحملهم الأسلحة والرماح ، وقد أوحت الكثافة إلى الشاعر صورة أخرى فقال :

يمنعها أن يصيبها مطرٌ * شدةُ ما قد تضايقَ الأسل (٢)

فإنهم لشدة تزاحمهم وكثرة ما حملوا من الرماح التى اشتبكت فوق رؤوسهم لو نزل عليهم مطر لما أصاب رؤوسهم أو الأرض التى هُمْ عليها .

ومن تصويره لآثار حركة الجيش قوله فى كتيبة من كتائب سيف الدولة :

وملمومةٌ سيفيةٌ ربعيّةٌ * يصيح الحصى فيها صياح اللقالق (٣)

فإنه لكثرة مافى هذه الكتيبة من الخيل ،كان الحصى (حصى الفلاة التى يسيرون فيها) يحدث صوتاً لوقع حوافر الخيل عليه وتطايره واصطكاكه

(١ ، ٢) ديوانه (٣ / ٢٣١) من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار .

(٣) ديوانه (٣ / ٦٧) .

ومنها أنه لكثافته لا تتمكن الطير من التحليق فيه كما قال :

عجاجاً تعثر العقبانُ فيه * كأن الجوَّ وعثٌ أو خبارُ (١)

فلما لم تتمكن الطير من التحليق فيه أو إن حلقت فإنها تتعثر وتسقط شبهه بأرض لينة رخوة أو سهلة كثيرة الرمل تغوص فيها أقدام السائرين.

ومنها أن ما حوله يصير مظلماً لكثافته حتى يصير وقت الظهر كوقت الغروب لحجبه ضوء الشمس كما قال :

الباعثُ الجيشَ قد غالت عجاجته * ضوءَ النهار فصار الظهر كالطَّفَلِ (٢)

كما شبهه حال حجبه الشمس بالنقاب يحجب وجه المرأة فقال :

طاعنُ الفُرْسَانِ في الأحداق شزراً * وعجاجُ الحربِ للشمسِ نقابُ (٣)

فإذا ما انتقلنا من الصورة الكلية لهذا الجيش ، وأردنا معرفة بعض الصور الجزئية فيه ، وكيف صور المتنبي فرسانه أو عتاد الحرب من سيوف ورماح ودروع وبَيْض ، فإننا نجده يصف الفرسان في كثرتهم بالسيول الجارفة في قوله :

كلما صبحت ديار عدو * قال : تلك الغيوث هذي السيول

فإن العدو كلما رأو موالي أبي العشائر ، استقلوا ما رأوا منه من قبل فقالوا تلك غيوثٌ ضررُها قليلٌ ، أما هذه فإنها سيول ، ومن عادة السيول أن تكون جارفة قوية مدمرة ، ولهذا فإن نتيجة قوتهم جعلته يصفهم بقوله :

د همته تطاير الزرد المحكم عنه كما يطير النسيل (٤)

---

(١) ديوانه (٢ / ٢٠٦) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢) ديوانه (٣ / ١٦٥)

(٣) ديوانه (١ / ٢٦٢) من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار .

(٤) ديوانه (٣ / ٢٧٥) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

فضربهم قوى يهتك الدروع فيتطاير حلقها كما يتطاير الريش إذا سقط من الطائر .

ووصف الفارس إذا لبس الدروع وقد غطى رأسه بالتريكة فقال :

يمدّ يديه فى المفاضة ضيغم ＊ وعينيه من تحت التريكة أرقم (١)

فشبهه إذا لبس الدرع بالأسد ، وشبهه وقد بدت عيناه من التريكة بالثعبان العظيم ، وفى هذين الوصفين دليل على شجاعته وحدة نظره وتوقد عينيه بالشرر وهو أمر يوقع الرعب فى قلب الخصم .

وأما الخيل فقد صورها بعدة صور منها قوله :

وتلقى نواصيها المنايا مشيحةً ＊ ورود قطاً صُمٍّ تشايحن فى وِرْدِ (٢)

فإنها حال الاتجاه إلى الأعداء تكون مسرعة جداً ، لا تعبأ بما أمامها وما ينتظرها من الموت ، وشبهها فى تلك السرعة بالقطا الصم المسرع فى وروده ، وزاد فى دقة التشبيه أن جعلها شبيهة لقطاً صُمٍّ زيادة فى الإسراع ، لأن القطا إذا كان صُمّاً فإنه لا يسمع ما يعوقه ويشغله عن الطيران فيكون أسرع له .

ومن جراء السير وشدته فإنه يعروها عرق كثير وإذا يبس كانت له صورتان الأولى فى لونه وهيئته عليها :

عوابس ، حلى يابسُ الماء حُزمَهَا ＊ فهن على أوساطها كالمناطق (٣)

فإنه لما جف على حزمها ابيضّ ، فصار للحزم كالحلية لشدة بياضه فأشبهت هذه الحزم البيضُ وهى على أوساط الخيل المناطقَ المحلاّة بالفضة .

---

(١) ديوانه (٤/ ٧٥) .

(٢) ديوانه (٢/ ١٦٧) .

(٣) ديوانه (٣/ ٦٥) .

والثانية : يبسه وإلصاقه شعر الفرس ببعضه حتى يصبح لقوته كالصخر كما قال :

خرجن من النقع في عارض * ومن عرق الركض في وابلِ
فلما نشفن لقين السّيا طَ بمثل صفا البلد الماحلِ (١)

فأينما وقع السوط وقع على شعر كالصخر لقوته وصلابته .

وفي الصورة دلالة كبيرة على قوة هذه الخيول التي تتحمل عنت هذه المعارك حتى تراكم عليها الغبار والتصق بها حين التقى بالعرق .

ومن وصفه لها وهي في ميدان المعركة قوله :

تثنى على قدر الطعان كأنّما * مفاصلها تحت الرماحِ مراودُ (٢)

فإنه شبه مفاصلها في سرعة استدارتها - إذا لوى عنانها للطعان - بالمرود يدور مع حلقته كيفما أديرت ، ويؤخذ من هذا التشبيه لين مفاصلها ، وإطاعتها لفارسها ، ودربتها القتالية .

ولمهارتها تلاحق خيل العدو فلا يفلت منها شيء كما قال :

تقنص الخيلُ خيلُه قنصَ الوحشِ ويستأسرُ الخميسَ الرعيلُ (٣)

فقد شبه ملاحقتها لها ، وعدم فرار شيء منها ، بملاحقة الصيد وعدم إفلاته منها .

ولمهارتها فإنها تتسلق الجبال ملاحقة للأعداء فتصرعهم حول وكور الطيور ، وقد شبهها وهي تعمل هذا العمل تشبيهاً ضمنياً بالعقبان فقال :

---

(١) ديوانه (٣/ ١٥) .

(٢) ديوانه (١/ ٣٩٣) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٣) ديوانه (٢٧٥) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

تظنُ فراخ الفتح أنك زرتها * بأُمَّاتِها وهي العتاقُ الصلادِمُ

فإن فراخ العِقبان لما رأت خيلَ سيف الدولة قد وصلت إليها في وكورها في قمم الشواهق ظنت أن تلك الخيل أمهاتها ، فهي مثلها في السرعة وخفة الحركة ، ومثلها فيما عودتها أمهاتها من جلبه إليها ، كلما جاءتها ، فإن هذه الخيل قد أكثرت القتلى حولها ، وهو المطعم الوحيد لهذه الفراخ وهو ما تسعى الأمهات إلى تحصيله .

واستتباعاً لوصف هذه المهارة قال بعده :

إذا زلقت مشيتها ببطونها * كما تتمشى في الصعيد الأراقم (١)

فان خيل سيف الدولة كلما زلقت من على الصخور التي تسلقتها ، من آثار الدماء ، جعلها سيف الدولة تمشي على بطونها في تلك المزالق والمزلات مشي الحيات على بطونها في الصعيد .

وفيه أيضا ــ كناية عن حسن تدريبها وإطاعتها لفرسانها .

فاذا ما صليت بنيران الحرب فآلمها الطعن ومنعها الزجر من التأخر رؤيت كثيرة الجولان في ميدان المعركة كما قال :

والطعنُ يُحرقها ، والزجر يُقلقها * حتى كأنَّ بها ضرباً من اللَّمَمِ (٢)

فأشبهت حركتها ، وجولانها حركة من به جنون ،ويؤخذ منه شدة صبرها على الطعن ، وإطاعتها بالزجر دون الضرب في هذا الموقف العصيب

وأما وصفه السيوف وعملها في القتال فمنه قوله :

طلعن شموساً والغمودُ مشارق * لهن وهاماتُ الرجال مغاربُ (٣)

---

(١) ديوانه (٤/ ١٠٥) .

(٢) ديوانه (٤/ ١٥٨) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٣) ديوانه (١/ ٢٣٥) من قصيدة يرثي بها محمد بن إسحاق التنوخي .

فانه شبه سيوف ممدوحه فى لمعانها حال خروجها من الغمود ثم وقوعها فى هام الفرسان واختفائها فيها بالشمس تطلع من المشرق ، فتختفى فى المغرب ، فجعل السيوف شموساً ، والغمود مشارقاً والهام مغارباً ، ويستفاد من هذه الصورة . أنه ليس هناك مجال آخر لهذه السيوف كما أن الشمس ليس لها إلا هذا الجريان وذلك المغيب .

وقد أعاد المتنبى صورة استقرار السيوف بالأغماد فى تشبيه آخر فقال :

كأن الهام فى الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد (١)

فإنه شبه هام الأعداء حال الحرب بالعيون ، ولما لم يكن يقع فى العيون إلا الرقاد جعل سيوف ممدوحه مصنوعة أصلاً من الرقاد ، وقد أحسن فى قوله " طبعت سيوفك من رقاد " فإنه خيال بديع لكونه جعلها سيوفاً مصنوعة خامتُها ومادتُها من الرقاد ، مما يجعل وقوعها فى الهام التى شبهها بالعيون أمراً لا محيد عنه .

هذا ويستشف من البيتين السالفين معنىً ألحَّ عليه المتنبى فأبرزه فى أكثر من بيت ، ألا وهو غرام سيوف ممدوحيه بالهام والرقاب ، وقد صاغ له صوراً عدة علَّلها تعليلاً خيالياً حسناً ومن ذلك قوله :

وبيض مسافرة ما يقمن لا فى الرقاب ولا فى الغمود (٢)

فإنه لما رأى كثرة استلال ممدوحه لسيوفه ومعاودتها لرقاب أعدائه جعلها كالمسافر الذى لا يستقر ببلد ، كلما دخل هذا خرج منه إلى ذاك ، فكذلك هى ، كلما أغمدها استلها ، وقال مسافرة للدلالة على استمرار ذلك ، وأنها لها كالعادة .

---

(١) ديوانه (٢ / ٨٠) من قصيدة يمدح بها على بن إبراهيم التنوخى .
(٢) ديوانه (٢ / ٦٦) من قصيدة يمدح بها أحد سلاطين الشام .

وأظهر بيت أبرز فيه هذا العشق المتبادل بين السيوف والهام ورقابها قوله :

رقت مضاربه فهنّ كأنما * يبدين من عشقِ الرقاب نحولا (١)

فإنه لما نظر إلى رقة مضارب سيف ممدوحه غاص في أعماق الخيال، فاستخرج صورة بديعة ، وأتى بتعليل لطيف لها فقال : إن هذه الرقة في مضارب هذا السيف لم تجيء فيه عبثاً ، وإنما جاءته من عشقه رقاب الأعداء ، فشبهه بالعاشق يصيبه النحول من جراء العشق .

هذا وقد شبه السيف في ميدان الحرب بين القنا بالشعل فقال :

وردتَّ بلادك غيرَ مغمدة * وكأنها بين القنا شُعَلُ (٢)

وما ذاك إلا للمعانها وبريقها .

ومرة شبهها بالبرق ، ولكنه قلب التشبيه فقال :

وكأنّ برقاً في متون غمامة * هنديُّهُ في كفه مسلولا (٣)

ومرة بالنار فقال :

كأن على الجماجم منه ناراً * وأيدى القوم أجنحة الفراش (٤)

ويؤخذ منه حدته ومضاؤه وكثرة قطعه الرؤوس والأيدى .

ولما رأى إطاعتها لممدوحه وكثرة القتلى من أعدائه قال :

تَحْمَىْ السيوف على أعدائه معه * كأنهن بنوه أو عشائرُهُ (٥)

---

(١) ديوانه (٣/ ٣٥٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢) ديوانه (٤/ ٣٤) من قصيدة يمدح بها عضد الدولة .

(٣) ديوانه (٣/ ٣٥٣) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٤) ديوانه (٢/ ٣١٨) من قصيدة يمدح بها أبا العشائر .

(٥) ديوانه (٢/ ٢٢٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

فهي سيوف مطيعة تغضب على أعداء ممدوحه فتبيدهم مناصرة له ، ولما رآها الشاعر تعمل ذلك شبهها بأقارب ممدوحه الأدنين الذين يغضبون لغضبه .

ومن تشبيهاته لوقوع السيوف في الرؤوس قوله :

وَلِّى صوارمه إكذاب قولهم * فهنّ ألسنة أفواهها القِمَمُ

فإنه شبه السيوف حال وقوعها بالرؤوس بالألسنة تدور في الأفواه فالسيوف ألسنة ، والرؤوس أفواه ، ولما جعلها كذلك قال بعده :

نواطقٌ مخبراتٌ في جماجمهم * عنه بما جهلوا منه وما علموا (١)

فجعلهن نواطق يكذبن أقوال أعدائه وما عزموا عليه من هزيمته فتبين الحقيقة لهم ، كما أظهرت هذه السيوف للأعداء ما خفي عنهم من أمر ممدوحه وشجاعته وما قد علموا من قبل أكدته لهم .

ومن تشبيهه الرماح قوله :

تَهْدِي نواظرَها والحربُ مظلمةٌ * من الأسنة نارٌ والقنا شُمَعُ (٢)

فإنه شبه أسنة الرماح وقناها في ظلمة الحرب بالنار على الشموع في ظلمة الليل ، ولشدة لمعانها وقوة ضيائها فإن الخيل تهتدي بها في تلك الظلمة .

وقال :

جوائل بالقنى مثقفاتٍ * كأنّ على عواملها الذبالا (٣)

---

(١) ديوانه (٤ / ١٣١) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢) ديوانه (٢ / ٣٣٦) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٣) ديوانه (٣ / ٣٤٥) من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار .

فشبه أسنة الرماح فى لمعانها بالفتائل .

وقـــال :

يزور الأعادى فى سماءِ عجاجةٍ * أسنته فى جانبيها الكواكـــبُ (١)

فشبه أسنة الرماح فى ظلمة الغبار بالكوكب فى ظلمة الليل .

ومنه قوله :

وقد صغت الأسنة من هموم * فما يخطرن إلا فى فـــؤاد (٢)

فإنه لما رأى الرماح لا تقع من الأعداء إلا فى أفئدتهم شبه الرماح بالهموم التى لا تقع إلا فى القلوب، وهذه الصورة نظير الصورة فى قوله :

كأن الهام فىالهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقـــاد

فإن نظير قوله فى السيوف (وقد طبعت سيوفك من رقـــــاد) قوله فى الرماح (وقد صغت الأسنة من هموم) ولم يجعلها تشبيهاً مباشراً وإنما جعلها كالحقيقة ، لم يقل رماحك كالهموم وإنما جعلها من أصلهـــــا مصوغة ومصنوعة من الهموم ، وهذا أبلغ فى المشابهة التى تحولت إلى حقيقةٍ مسلم بها ، وفى التشبيه دلالة على صدق حملةِ هذا القائد وإصابته الأعداء فى مواضع قاتلة وأن رماحه لا تقع إلا فى قلوبهم .

وقولـــه :

تميل كأن فى الأبطال خمراً * عَلَلْنَ بها اصطباحاً واغتباقـــا (٣)

فإنه نظر إلى اهتزاز الرماح عند طعن الأعداء بها فعللها تعليلاً خيالياً حسناً وهو أنها فعلت ذلك طرباً بما شربته من دماء الأعداء فشبـــه

---

(١) ديوانه (١ / ٢٣٥) من قصيدة يرثى بها محمد بن إسحاق التنوخى

(٢) ديوانه (٢ / ٨٠) من قصيدة يمدح بها على بن إبراهيم التنوخى .

(٣) ديوانه (٣ / ٤٥) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

دماء الأعداء بالخمر ، ومن احتسى الخمر حصلت له نشوة ، فكلما انغمست رماحه بدمائهم اهتزت كما يهتز شارب الخمر وقد جعلها تروى منها فشربها منها بكرةً وعشياً ، صباحاً ومساء وفى التشبيه دلالة على كثرة حروب هـذا القائد وكثرة غاراته وأن خيله لا تفتر جائلةً غدوة وعشياً ، وفى البيت أيضا دلالة على جو البهجة والفرح الذى يشيعه المتنبى كثيراً فى شعر الحرب وما ذاك إلا لغرامه بها .

وقولـــه :

وكم عين قرن حدّقت لنزالـه * فلم تغض إلا والسنانُ لها كحلُ (١)

فإنه لما رأى دقة رمى ممدوحه وشجاعته ورميه الأعداء فى عيونهم شبه الرمح بالكُحل الذى لا يكون إلا فى العيون، وفى البيت دلالة على سرعة الرمي وأن عين الفارس المعادى لا تطرف بعد تحديقها فى ممدوحه إلا ورمحه فيها .

ومن تشبيهاته لآثار المعارك من كثرة دماء أو قتلى أو فرار قوله فى وصف كثرة الدماء :

لجيادٍ يدخلن فى الحرب أعراء * ويخرجن من دَم فى جـلال (٢)

فإنه جعل ما يكسو الخيل من الدم أثناء المعركة كالجلال التى توضع عليها ، وتمكينا للصورة فى النفس جعل الخيل تدخل فى المعركة بدون جلال فلما خرجت كان الدم الذى تلطخت به كالجلال فوقها .

وقولـــه :

وجرى على الورق النجيعُ القانى * فكأنه النارنجُ فى الأغصـان (٣)

---

(١) ديوانه (٣/٣٠٤) من قصيدة يمدحها شجاع بن محمد الطائى .

(٢) ديوانه (٣/٣١٦) من قصيدة يمدحها عبدالرحمن بن المبارك الأنطاكى .

(٣) ديوانه (٤/٣١٦) من قصيدة يمدحها سيف الدولة .

فإن الدماء لكثرتها قد تطايرت على الأشجار فجرت على أوراقها فاحمرت حتى صارت كالنارنج وهو ثمر أحمر ، وفي التشبيه دلالة على قوة المعارك وشدة الضرب .

وقوله في وصف ديار الأعداء وكثرة القتلى :

مخضبةً والقوم صرعى كأنها * وإن لم يكونوا ساجدين مساجدُ (١)

فقد شبه الديار وقد تلطخت بالدماء بفتاة خضبت شعرها بالحناء، وشبه هيئتها والقتلى منتشرون في ميادينها بالمساجد، وفي التشبيه دلالة على أن ما سال من دمائهم قد كسى تلك البلاد وصار لها كالخضاب ، وعلى كثرة القتلى واختلاف أحوالهم لكثرة مرتادي المساجد وتنوع هيئاتهم فيها .

وقوله في وصف مياه الأنهار والغدران التي دارت فيها المعارك :

ركض الأميرُ وكاللجينِ حَبَابُهُ * وثنى الأعنةَ وهو كالعِقْيَانِ (٢)

فإن سيف الدولة دخل ماء النهر وموجه صاف متلالئ نقي كالفضة فخاض المعركة فيه وقتل الأعداء فساحت دماؤهم فيه واختلطت بمائه حتى صار لكثرة ما سال منها فيه كالذهب الخالص شديد الحمرة .

وقوله في خيل سيف الدولة :

ولا ترد الغدرانَ إلا وماؤها * من الدم كالرّيحانِ تحت الشقائقِ (٣)

فهي خيل معودة ألا تشرب وهي تقاتل الأعداء إلا بعد أن تسيل الدماء فيما حولها من الغدران وليس مجرد سيلان ، بل سيلان بكثافة حتى تغلب حمرة الدم على خضرة الماء ، فشبه خضرة الماء بالريحان وحمرة الدم بالشقائق (٤) وفي البيت إشارة إلى كثرة حروب سيف الدولة

---

(١) ديوانه (١/ ٣٩٦) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢) ديوانه (٤/ ٣١١) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٣ ، ٤) ديوانه بشرح العكبري (٢/ ٣٣٠) وشرح البرقوقي (٣/ ٧١) .

وانتصاراته فا لبيت معطوف على بيت قبله وهو قوله :

تعوّدَ ألا تقضم الحبّ خيلُهُ * إذا الهامُ لم يرفع جُنُوبَ العلائق

فمعناه إذاً أن ورودها الماء الذى هذه صفته قد صار عادة لها .

ومن هذا قوله :

مازال طِرْفُكَ يجرى فى دمائهم * حتى مشى بك مشى الشارب الثَّمِلِ (١)

فإن الدماء لكثرتها ولزوجتها أمالت فرس ممدوحه عن سنن جريه وأزلقته حتى مشى بك مشى السكران ، فشبه تمايل فرسه وتعثُّره بما يطأ عليه من الدماء بمشى السكران وتمايله ، وفى البيت دلالة على كثرة هذه الدماء واتساع البقعة التى هى عليها بحيث يجرى فيها الحصان مدة طويلة ، وفيه دلالة على كثرة القتلى أيضا ، وفيه ما أشرنا إليه آنفاً من حرص المتنبى على إشاعة جو البهجة فى قصائده الحربية .

وقوله :

أحجار ناس فوق أرض من دم * ونجوم بَيْضٍ فى سماءِ قتام (٢)

فإنه لما نظر إلى ميدان المعركة ورأى القتلى من الأعداء منتشرين هنا وهناك فوق دماء سائحة غطّت ما حولهم ــ شبّه ذلك بحجارة متناثرة فوق أرض رخوة ، فالقتلى كالحجارة المبثوثة والدم المنتشر منه ما جمد ومنه ما لم يجمد كالأرض الدعثة ، تجد بعض القتلى قد انغمس منه بعضه فيه ، وبعضه ما زال بارزاً ، وكذلك الحجارة فى تلك الأرض .

ولما نظر إلى فضاء المعركة فلم يبصر إلا بَيْضاً متطايراً فى الفضاء لامعاً ، والغبار قد ستر أجواز الفضاء ــ شبه ذلك بالنجوم اللامعة

---

(١) ديوانه (٣/١٦٩) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢) ديوانه (٤/١٢٧) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

فى أجواز السماء المظلمة ، فإنه شبه البَيْض بالنجوم ، والغبار فى كثافته وظلمته وانتشاره ، وسدّه الأفق بالسماء .

ومثله فى الدلالة على كثرة القتلى قوله :

يتعثرن بالرؤوس كما مـرّ بتـاءات نطقه التمتام (١)

فلكثرة ما انتشر فى ميدان المعركة من رؤوس القتلى فإن خيول ممدوحه تعثر بها وهى تجول فى الميدان ، فشبه المتنبى هذا التعثر المتتابع بتعثر التمتام ، وهو من لا يستطيع نطق التاء بسرعة ، فكيف إذا وقع فى كلام تتابعت تاءاته ، وفى التشبيه دلالة على كثرة القتلى ، وتناثر جثثهم ورؤوسهم المقطعة فى ميدان المعركة .

وقال :

نثرتهم فوق الأحيدبِ كُلِّه * كما نُثِرتْ فوق العروسِ الدراهِمُ (٢)

فشبه ما تناثر منهم فوق جبل الأحيدب بالدراهم تنثر فوق العروس فتقع عليها وعلى من حولها ، وكذا القتلى فقد قتلوا فى كل مكان من الجبل وحوله :

وفى قوله : " نثرتهم " دلالة على قوة بطشته وشدة حربه ، حتى إن من رأى كثرة القتلى من الأعداء وانتشار جثثهم فى كل مكان ، يظن أنهم منثورون نثراً .

وفى الدلالة على كثرتهم ـ أيضاً ـ صور ما تناثر من شعورهم وقد تلطخت بالدماء بقوله :

قد سَوَّدَت شجرَ الجبالِ شعورُهُمْ * فكأنَّ فيه مُسِفَّةَ الغربانِ (٣)

---

(١) ديوانه (٤ / ٢٢٢) من قصيدة يمدح بها أبا الحسن على بن أحمد المرى

(٢) ديوانه (٤ / ١٠٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٣) ديوانه (٤ / ٢١٦) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

فشبه هذه الشعور المتناثرة وقد تلطخت بالدماء فزادت في سوادها بعد حمل الريح لها فوق الأشجار ، شبهها بالغربان وقد وقعت على هذه الأشجار .

ثم كرّر هذه الصورة وبالغ فيها فقال :

كأنّ دمَ الجماجمِ والعناصي * كسا البلدانَ ريشَ الحَيْقَطانِ (١)

فشبه شعر الرأس الملطخ بالدماء بريش ذكر الدّرّاجِ ، وجعله يكسو البلدان التى دارت فيها معاركه .

ومن تشبيهاته للفارين قوله :

يرون من الذعر صوتَ الرياحِ * صهيلَ الجيادِ وخفقَ البنودِ (٢)

فقد صور الحالة النفسية لهؤلاء الفارين من أمام سيف الدولة ، وأن الخوف قد بلغ منهم مبلغاً عظيماً ، بحيث إذا سمعوا حفيف الرياح ظنوه أصوات جياد تصهل ، متابعة لهم أو خفق أعلام يحملها الجند ملاحقين لهم ، فشابه عندهم صوتُ الرياح صهيلَ الجياد وخفقَ البنود ، وهذا لعظم ما اعتراهم من الخوف .

ومثل هذه الصورة قوله :

وضاقت الأرضُ حتى كان هاربهم * إذا رأى غير شيء ظنّه رَجُلا (٣)

وبهذا نكتفى بما أوردناه للمتنبى من صور مبنية على التشبيه .

---

(١) ديوانه (٤/٣٩٣) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة والعناصي جمع عنصوة : الشعر المتفرق فى الرأس .

(٢) ديوانه (٢/٦٦) من قصيدة يمدح بها السلطان الذى حبسه .

(٣) ديوانه (٣/٢٨٧) من قصيدة يمدح بها سعيد بن عبد الله الكلابى .

ب ـ الاستعارة :

سبق الحديث عن أهمية الاستعارة ومكانتها [١] وهنا نبين كيف استعان المتنبي بهذه الوسيلة البيانية في شعره الحربي ، فمن ذلك قوله في الفرسان وقائدهم :

أُسُدٌ فرائسها الأسودُ يقودُها * أَسَدٌ تصير له الأسود ثعالبا [٢]

فهم فرسان كالأسودِ ، لا يقتلون إلا صناديدَ كالأسود ، وقائدهم أَسَدٌ إذا رآه القادةُ الشجعانُ خافوه فصاروا ثعالبَ بعد أن كانوا أسوداً .

وكثيراً ما ركّزَ على جعل الفرسان أسوداً لشجاعتهم ومنه قوله :

في خميس من الأسود بئيسٍ * يَفْتَرِسْنَ النفوسَ والأَمْوالا [٣]

فقد حمى بلاده برماحٍ وسيوفٍ في جيش ضخم من فرسان أشداء كالأسود ، ولما شبههم بالأسود جعلهم مثلها يفترسون نفوس الأعداء وأموالهم .

ومن وصفه لشجاعة قوم ممدوحه قوله :

إن المنيَّةَ لو لاقتهم وقفت * خرقاء تتّهِمُ الإقدامَ والهَرَبَا [٤]

فقد وصفهم بالشجاعة والإرهاب لمن لقيهم حتى إنَّ المنيَّةَ لو مُثِّلَت إنساناً فلقيهم لتحيّر في أمره وتردَّدَ في طريقه ، كالأبلَهِ الغُفْلِ ، لا يدري أيقف فيواجِهَهُمْ ويصبرَ لهم فيلاقيَهم مع شدة هول ما سيلاقيه منهم ، أم يهربُ ويوليهم الدُّبُرَ ، وهو في كلا الحالين لا يرجو السلامة ولا يتوقع الغنيمة .

---

(١) الرسالة ص (٤٤٧)

(٢) ديوانه (١/ ٢٥٦) من قصيدة مدح بها علي بن منصور الحاجب .

(٣) ديوانه (٣/ ٢٦٦) من قصيدة مدح بها سيف الدولة .

(٤) ديوانه (١ / ٢٤٧)من قصيدة مدح بها

لقد شبه المنية بإنسان فحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الملاقاة والوقوف والتفكير على سبيل الاستعارة المكنية .

ومن استعاراته التي صور بها الجيش وكثرته قوله :

رميتهم ببحرٍ من حديدٍ * له في البرِّ خَلْفَهُمُ عبابُ (١)

فقد جعل جيشَ سيفِ الدولة بحراً من حديدٍ لكثرةِ لابسي الحديدِ فيه ، وهو بحرٌ مادٌّ ، وقد جعل مطاردتَهُ للأعداءِ كالموجاتِ تطاردُ بعضَها فيزخَرُ عبابُها ، وتضطرب مياهُها ، فجعل تحرُّكَهُ خلفَهُمْ عباباً له ، وكُلُّ ذلك على سبيل الاستعارة التصريحيةِ .

وقوله :

حواليه بحرٌ للتجافيفِ مائجٌ * يسير به طرد من الخيل أيهم

تساوت به الأقطارُ حتى كأنَّه * يجمع أشتات البلاد وينظم (٢)

فإنه جعل الجيش في كثرته بحراً مائجاً ، ولكنَّهُ ليس بحرَ سفنٍ ، وإنما هو بحرٌ تجافيف ، تلمع وتبرق بداخله ، ويسير به خيول كالجبل العظيم كثرة ، وهو بحر فائضٌ في الأرض ، يصل بين أقطارها المتباعدة حتى صارت الجبال المتفرقة كأنها مجموعة منه في سلك واحد ، والذي يستفاد من الصورة سعة هذا الجيش وعظمته وكثافة جنده ، وكذا تركيز المتنبي على حركته واضطرابه .

واستعار الجبلَ للجيش ، وكرَّرَ ذلك مراراً ، ومن ذلك قوله :

فلقد رمى بلد العدوِّ بنفسه * في روقِ أرعنَ كالغِطَمِّ لُهَامِ (٣)

فقد شبه الجيش بالجبل العظيم ذي الرعان من حواليه ، وهي أطرافه

---

(١) ديوانه (١/٢١٣) من قصيدة مدح بها سيف الدولة .

(٢) ديوانه (٤/٧٤) من قصيدة مدح بها سيف الدولة .

(٣) ديوانه (٤/١٢٩) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

وكذا الجيش له أطراف من حواليه مضطربة متحرّكة ، وفي تشبيهه بالجبل ملحظ آخر وهو ارتفاعه لما فيه من كثرة السلاح ، وقد حمله الفرسان ، وركبوا فوق خيلهم ، فبدوا لارتفاعهم عن الأرض كالجبل .

وقوله :

همامٌ إذا ما همّ أمضى همومه * بأرعنَ وطءُ الموتِ فيه ثقيلُ (١)

فإنّ سيفَ الدولة يجد في الجيوش العظيمة التي تشبه الجبال تسليةً ، وما ذاك إلا لشجاعته وإلفه الحروبَ حتى صارت نزهةً له .

واستعار السُّحُبَ للجيوش فقال :

سُحُبٌ تمرّ بحِصْنِ الرّانِ ممسكةً * وما بها البُخْلُ لولا أنها نِقَمُ (٢)

فقد شبّه جيشه لكثرته وانتشاره ولكونه يتكون من أجزاءٍ خمسةٍ مقدمةٍ وقلبٍ وجناحين ميمنةٍ وميسرةٍ وساقةٍ ولما فيه من أصوات الأبطال والخيول وما يعقبه من الدماء ـ بالسحب التي تتتالى ، ولمّا وصفها بالإمساك وهو عدم المطر ، استدرك فنفى عنها البخل وعلّل ذلك بأنها سُحُب محمّلَة بالعذاب ، مرسلة إلى الأعداء وبما أن مرورها كان على حصن الرّانِ وهو من أعمال سيف الدولة ، فإنها تمسكُ هذه النِّقَمَ عنه .

ولما شبّه الجيشَ بالسُّحب جاء في قصيدة أخرى فبين مطر هذه السحب فقال :

يغشاهم مطرُ السحابِ مُفَصّلاً * بمُثقّفٍ ومهنّدٍ وسِنَانِ (٣)

---

(١) ديوانه (٣/٢٢٢) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢) ديوانه (٤/١٣٢) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٣) ديوانه (٤/٣١٥) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

والبيت فى وصف حال بعض المنهزمين ، ولذا ذكر أنّ هذا الجيش الذى يشبه السَّحَابَ فى كثرته يغشاهم فيوقع بهم ، ووقع سلاحه كوقع المطر ، يأتى دفعةً دفعةً فمرّة بالرماح المثقَّفة عند أوَّل التلاقى ومرة بالسيوف المهندة عند التلاحم ، ومرة بالرماح أيضا ، وهذا لمن هرب منهم فإنّهم يلاحقونه فيطعنونه بالرماح .

ومن صوره الدالة على كثافة جيوش الأعداء قوله :

إذا برقوا لم تُعْرَفِ البِيْضُ منهم * ثيابُهُم من مثلها والعمائِمُ
خميس بشرق الأرض والغربِ زحفُهُ * وفى أُذُنِ الجوزاءِ منه زمازِمُ (١)

فإنه وصف جيش الأعداء بثلاثة أوصاف فيها من الدلالة على قوته ما يخلَعُ القلوب ، ويوقع الرعب فى الجوانح ، فقد جعلهم كتلةً من حديد برّاقٍ ، وجعل الدروع ثياباً والخوذاتِ عمائِمَ ، فثيابُهُم حديد ، وعمائمُهُم حديدٌ ، ويحملون الحديدَ ، فإذا ما وقعت الشمس عليهم رأيت بريقاً لم تعرف مصدر إشعاعه أمن البِيْض أم من الدروع أم من الخوذات ، فقد لمع كُلُّ شيءٍ وفى هذا دلالة على عِظَم تسليحهم .

كما جعل كثرتهم وعظمة انتشارهم مما وصل شرقَ الأرضِ وغربها ، وجلبةَ أصواتهم قد بلغت أجواز السماء ، وخصَّ الجوزاءَ بالذكر لأنها فى مجموعةٍ تسمى الجَبَّارَ على هيئةِ الانسان ثم أتى بصورة خيالِيَّةٍ إذ جعل للجوزاء أُذُناً وقعت فيها هذه الأصوات التى أشبهت صوتَ الرعد ، وهذا على سبيل الاستعارة المكنية .

---

(١) ديوانه (٤/ ٩٩ — ١٠٠) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

وإذا ما سار هذا الجيش أحدث غباراً كثيفاً ، وقد صوّرهُ المتنبى بعدة صور منها قوله :

وبأرعنٍ لبس العجاجَ إليهم * فوق الحديد وجَرَّ من أذيالِـه

فكأنّما قَذِىَ النهارُ بنقعِـه * أو غَضَّ عنه الطرفَ من إجلالِـه (١)

فإن سيفَ الدولة قائدٌ منصورٌ يقصد الأعداء بقناً طوالٍ وبجيشٍ جَرّارٍ كالجَبَلِ لكثرة فضولِهِ وطولِها ، وإذا ما سار إليهم ، سارَ تحتَ عجاجٍ كثيفٍ صارَ له كالدروع زيادةً على ما فيه من الحديد ، وما فضل من هذا الغبار صار له كالذيل يسحبه وراءَهُ تيها وخيلاء .

وهو وإن سار فى نهار إلا أنّ ضوء النهار قد خفت وأظلم فكأنما وقع فى عينه قذى من الغبار ، أو أنه أغمض من عينيه إجلالاً وهيبةً له . ففى البيتين أربعُ استعارات الأولى فى استعارة الجبل للجيش على سبيل الاستعارة التصريحية ، والثانية فى تشبيه الجيش بإنسان وحذفه المشبه به والرمز إليه بشىء من لوازمه وهو اللبس وجرّ الذيل ، والثالثة فى تشبيهه الغبار بالدرع وحذفه المشبَّهَ به والرَّمزَ إليه بشىءٍ من لوازمه وهو اللبس والجسر ، والرابعة : فى تشبيهه النَّهارَ بإنسان وحذفِهِ المشبَّهَ به والرَّمزَ إليه بشىء من لوازمه وهو العين التى من لوازمها الإغضاءُ ووقوعُ القذى فيها .

وكجزء من الصورة فى الشطر الأول ما جاء فى قوله فى وصف خيل سيف الدولة :

خافيات الألوان قد نسج النقع عليها براقعاً وجِلالاً (٢)

---

(١) ديوانه (٣ / ١٨٩) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢) ديوانه (٣ / ٢٥٥) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

فالنقع فى الصورة قد غَطَّىٰ خيل ممدوحه حتى صار كالدرع ، والنقع هنا قد غير ألوان الخيل فلا يعرف الأدهمُ من الكميت أو الأشهب لكثرة ما علاها من الغبار ، فقد تكاثف حتى صار على وجوهها كالبراقع ، وعلى متونها كالجلال [(١)] وهذا لطول ما قطعته من الفيافى والقفار إلى الأعداء ولكثرة جولانها فى أرض المعركة .

وقوله :

تبيت رماحُهُ فوق الهوادى * وقد ضرب العجاجُ لها رُواقا [(٢)]

فإن ممدوحه قد تعوّدَ السرى إلى أعدائه ، وقد وضع فرسانه رماحَهم على هوادى خيولهم استعداداً للطعان وأخذاً بالحزم فلا ينزلون من ظهور خيلهم ليلاً ، وكأنها من الغبار الذى تثيره تحت رواق ، فقد شبّه ما غطّاهم فى سراهم من العجاج بالبيت يظلّهُمْ ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه ، وهو الرواق على سبيل الاستعارة المكنية ، ويستفاد من الصور طول هذا الرواق الذى ضربه الغبار عليهم ، وأنه ممتد مادامت سائرة .

وقوله :

والنقع يأخذ حَرّاناً وبقعتها * والشمسُ تسفرُ أحياناً وتلتَثِمُ [(٣)]

فالغبار قد بلغ حَرّاناً وبقعتها ، وكساهما ، كما بلغ الشمس وحجب ضوءها ، فهى تظهر أحياناً من خلاله ، ثم تعودُ فتحتجب كأنّها الحسناء تسفر أحياناً ثم تعودُ فتلتثم ، فهذه استعارة مكنية أيضاً ويستفاد من الصورة عظمةُ هذا الجيش وكثافته ، وأن غباره يغطى ما يمرُّ به من البلدان حتى يبلغ الشمس فيحجب ضوءها .

---

(١) ديوانه (٣/ ٢٥٥) حاشية (٣)
(٢) ديوانه (٣/ ٤٥)
(٣) ديوانه (٤/ ١٣٢)

وممدوحه وجنده يواصلون سراهم حتى يباغتون أعداءهم قبل انتشار الضياء ، وقد صور المتنبى هذه المباغتة بقوله :

فلم تتم سروج فتحَ ناظرها * إلا وجيشُك فى جفنيه مزدحمُ (١)

فإنه أراد أن يخبرنا عن سرى ممدوحه إلى اعدائه القابعين فى مدينة سروج ومباغتته لهم مع الصبح ، وقبل اكتمال انتشار الضياء ، واتضاح الرؤية فى الغلس ، لم يخبرنا عن ذلك بطريق الحقيقة ، بل جاء بهذه الصورة الخيالية التى شبه فيها هذه المدنية وهى بتلك الحال بفتاة قد خلدت إلى الراحة ليلاً ، فلما بدأت تباشير الصباح ، وقبل استتمام نوره فتحت ناظرها قليلاً كعادة النائم ففوجئت بشىء ثقيل يتحرك بين أجفانها .

لقد شبه المدينة بالفتاه ، وشبه طلوع الفجر بفتح بعض المناظر وشبه مهاجمة الأعداء فى هذا الوقت بشىء وقع فى الجفن حال فتحه صباحاً .

ومن وصفه لخيل ممدوحيه على سبيل الاستعارة قوله :

تُبَارِى نجومَ القذفِ فى كل ليلة * نجومٌ له منهنَّ وَرْدٌ وأدهمُ (٢)

فإنَّه شبه خيل سيف الدولة السائرة إلى الأعداء ليلاً بالنجوم (وجعلها نجوماً لأنها تتلألأ فى الظلام ببريق الحديد ولأنها تستغرق الأرض بسيرها استغراق الكواكب فهى تسير فى الأرض كما تسير الكواكب فى السماء) (٣) وفى قوله تبارى نجوم القذف دلالة على أن خيله تسير مسرعة فتنقض على الأعداء ، كانقضاض الشهب فى الليل فاشبهتها فى السرعة والشدة

---

(١) ديوانه (١٣٢/٤) .
(٢) ديوانه (٧١/٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٣) ديوانه (٧١/٤) حاشية "٣" من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

وفى قوله " فى كل ليلة " دلالة على كثرة مغازيه وإدامته السرى إلى أعدائه .

وشبهها فى سيرها وكثافتها بالجبل العظيم فقال :

حواليه بحرٌ للتجافيف مائجٌ ✱ يسير به طَوْدٌ من الخيل أيْهَمُ (١)

فجعل خيل ممدوحه التى كأنها الجبل فى كثرتها وتزاحمها وارتفاعها عما حولها تسير بما يتلالأ حولها من الحديد ففى الصورة دلالة على عظمتها وعلى تجوالها .

وشبهها مرة بالنّعام فقال :

وما الفرارُ إلى الأجبالِ من أسَدٍ ✱ تمشى النَّعامُ به فى معقلِ الوَعَلِ (٢)

فإنه يعيب على أعداء سيف الدولة الذين يفرون منه فى الجبال وهم يعلمون أنه يملكُ خيلاً كالنعام فى سرعة العدو ، لا تترك مكاناً إلا نزلته حتى الجبال التى هى مقر الوعول تعتليها وتجول فيها مع أنها من حيوان السهل فليس ثَمّةَ شىء يمنعهم منه ، وفى الصورة دلالة على أصالة هذه الخيل وحسن تدريبها وإطاعتها لفرسانها حتى فى أوعر الأمكنة مع شدة صبرها وقوة تحملها .

ولما على الخيل من السلاح البَرَّاق ، ولكونها تسير مسرعة ، وتُخَلِّفُ فى كل مكان تمر عليه أشلاءً من القتلى والجرحى وكثيراً من الدماء السائلة وقطعاً من الحديد المفلّل ، فقد عبر عنها بالسحائب فقال :

سحائبُ يمطِرْنَ الحديدَ عليهمُ ✱ فكلُّ مكانٍ بالسيوفِ غسيلُ (٣)

فهى سحائبُ تمطر الحديد عليهم، وتعمل السلاحَ فيهم ، فكل مكان تغسله السيوف بما تسفكه من الدماء .

---

(١) ديوانه (٤ / ٧٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة . والتجافيف جمع تجفاف وهو كل ما جُلّل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح ، وأيهم : لا يهتدى فيه .

(٢) ديوانه (٣ / ٢٠٧) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٣) ديوانه (٣ / ٢٢٣) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

ومما له صلة فى وصف الخيل ، وصفُهُ للسفن البحرية فى كون كـــلّ منهـا مركوبٌ وعِدّةٌ من عتاد الحرب ، ومن ذلك استعاراته الرامزة فى وصفـه لسفن سيف الدولة ومراكبه التى يُحمل بها السبي أطفالُه وحُرَمُهُ فى طريـــق عودهم من الغزو :

تلقى بهم زَبَدَ التَّيَّارِ مُقْرَبَـــةٌ * على جحافلها من نضحه رَثَـمُ

دُهْمٌ فوارسُهَـا ركابُ أبطُنِهَـا * مكدودةٌ وبقوم لا بها الألَــــمُ

من الجيادِ التى كِدْتَ العدوَّ بها * ومالها خِلَقٌ منها ولا شِـيَمُ (١)

فقد عبر عن السفن بالجياد الدهم المدناةِ من البيوت لكرمهـــا وعتقها وحرص أهلها عليها ، ولما (سماها " مقربة " استعار لها "الجحافل" وجعل ما لصق به من زبد الماء كالرَّثَمِ فى جحافل الخيل) (٢)

أما السيوف وعملُها فقد عبر عنها المتنبى فى عدة استعارات منهـا قولـــه :

وفى أكفّهمُ النارُ التى عُبِدَتْ * قَبْلَ المجوس إلى ذا اليوم تضطَرِمُ (٣)

أى وفى أكف فرسان سيف الدولة سيوف براقة ، صافية الفرنـــد ، كالنار فى البريق واللمعان والاضطرام والإهلاك ، لأنها مهلكة لأعدائهم .

ووصف عملها فقال :

وأصبحت بِقُرَىٰ هَنْزِيطَ جائلــةً * ترعى الظُّبَىٰ فى خصيب نبته اللِّمَمُ (٤)

فالشطر الأول يتحدث عن خيل سيف الدولة ، والثانى وصف لعمـل السيوف ، وأن هذه الخيل قد ساقتها كالماشية إلى مكان كثير العشـــب ، فجعلتها ترعاه فقد شبه الخيل براعٍ والسيوف بماشية ، والأعداء بالأرض كثيرة

(١) ديوانه (٤ / ١٣٨) و الرثم بياض في شفة الفرس العليا .
(٢) ديوانه (٤ / ١٣٨) حاشية (١)
(٣) ديوانه (٤ / ١٣٧)
(٤) ديوانه (٤ / ١٣٥)

العشب ، ودلالة الصورة بينةٌ فى قوله ترعى وخصيب ، حيث دَلّتا على كثرة من قتل من الأعداء .

فإذا ما التقى الفريقان وقعت بينهما معارك حامية الوطيس وقد وصف المتنبى قوة هذه المعارك وشدتها ومن ذلك قوله :

والطعن شَزْرٌ والأرض واجفةٌ * كأنّما فى فؤادها وَهَلُ(١)

فإنه لما رأى اضطراب الفرسان على الأرض إقبالاً وإدباراً حتى كأنها تمور بهم شبهها بفتاة مضطربة شديدة الخوف ، وحذف المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه ، وهو الفؤاد ليكون مُسْتَقَرّاً للوَهَل الذى اعتراها على سبيل الاستعارة المكنية .

وقوله :

فى موقفٍ وَقَفَ الحِمَامُ عليهم * فى ضنكه واستحوذ استحواذا(٢)

فقد قتلهم ممدوحه فى معركة ضَيِّقة ، وقف الموت عليهم فحبسهم فى ضيقها حتى استولى على أنفسهم ، لقد شبه الموتَ بجبار شديد البِطْشَة وحذف المشبه به ، ورمز إليه بشىء من لوازمه ، وهو الوقوف على سبيل الاستعارة المكنية ، وكل ذلك كناية عن شدة المعركة وخسارة الأعداء فيها .

وقال فى معركة قلعة الحدث :

بناها فأعلى والقنا يقرعُ القنا * وموجُ المنايا حولَها متلاطِمُ(٣)

لقد شبه المنايا بالبحر وحذف المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو الموج على سبيل الاستعارة المكنية .

---

(١) ديوانه (٣ / ٣٢٠) من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار .

(٢) ديوانه (٢ / ١٨٥) من قصيدة يمدح بها مساور بن محمد الرومى .

(٣) ديوانه (٤ / ٩٦) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

وقال في وصف حروب عَضُدِ الدولة :

بضربٍ هاجَ أطرابَ المنايا * سوى ضربِ المَثالِثِ والمثاني (١)

لقد حمى هذا القائد بلاده بمعارك طاحنة قويّ ضرب فرسانها ، إذا ضَرَبُوا طربت المنايا فتحركت ، لكثرة من يقتلون ، وهو ضربٌ غير ضربِ العُود ، لقد شَبّه المنايا بفارس مغوار يهيجه ضربُ السيوف لا ضربُ الأعواد والمزامير ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو الهيجانُ والإطراب على سبيل الاستعارة المكنية وفي الصورة دلالة على شدة هذا الضرب لأن المنايا لا تتحرك إلا بعد أن يكثر القتل ، وفيها وصف لهذا القائد بالشجاعة والجِدّ والحزم .

وفي البيت دلالة على ما يحرص عليه أبو الطيب من إشاعة جوّ البهجة في شعره الحربي .

أما نتائج هذه المعارك ، وما تركته وراءها من آثار على ميدان المعركة فقد صورها المتنبي بعدة صور ومن ذلك ما جاء في حديثه عن خيل سيف الدولة وما ألحقته بالأعداء من أذى :

وأصبحتْ بقُرى هِنْزِيطَ جائلةً * ترعى الظبي في خصيب نبتُهُ اللِّمَمُ

فما تركن بها خُلْداً له بَصَرٌ * تحت التراب ولا بازاً له قَدَمُ

ولا هِزَبْراً له من درعه لِبَدٌ * ولا مهاةً لها من شِبْهِهَا حَشَمُ (٢)

قال ابن الأثير : (وهذا من المليح النادر ، فالخلد استعارة لمن اختفى بالتراب خائفاً ، والباز استعارة لمن طار هارباً ، والهزبر والمهاة استعارتان للرجال المقاتلة والنساء من السبايا) . (٣)

---

(١) ديوانه (٤/ ٣٩٣) .
(٢) ديوانه (٤/ ١٣٥) .
(٣) المثل السائر (٢/ ١١٢) .

لقد تحدث عن جولان خيل ممدوحه فى مدينة هنزيط ، إحدى مدن الروم ، وهو جولانٌ مثمر ، إذ أنه أعمل السيوف فى هام الأعداء فعملت بشَغَفٍ وَنَهَم ، كما ترعى الماشية أرضاً خِصْبَةٍ ، فإنها ترعاها بِنَهَمٍ شديد فتكثر من التَّجوالِ فيها لا تترك منها مكاناً إلا رعته ، وقد بين ثمرة هذا الجولان والرعىَ بأنّها لم تُبْقِ فيها على أحد ، فصار الأعداء أربعة أصناف :

إمّا مختفٍ فى الغابات والجبال وقد شبهه بالخلد — وهو الفأر — الذى كلما أحسَّ أحداً اختفى تحت أقرب صخرةٍ إليه .

وإمّا فار لأول وهلة ، وقد شبهه بالباز لسرعة فراره ، ولكن أين المفر من سيوف هذا عملها .

وإما فارس متدرع شديد الشكيمة ، قوى العزيمة ، وقد شبهه بالأسد فكان مآله القتل أو الأسر .

وإما امرأةٌ جميلة شبيهة بالمهاة ، ولم يجعلها مهاة واحدة ، بل جعل لها حاشيةً ، كناية عن جمعهن ، وأن مصيرهن السبى وقد طوى ذكر المُشَبَّه فى كل ذلك معبراً بالمُشَبَّهِ به على سبيل الاستعارة التصريحية .

وقال مادحاً سيف الدولة :

صَدَمْتَهُمْ بخميس أنت غُرَّتُهُ * وسمهريَّتُهُ فى وجهه غَمَمُ
فكان أثبتَ ما فيهم جسومُهُمُ * يسقطنَ حولك والأرواحُ تَنْهَزِمُ (١)

فإنه شبه الجيش بفرس ، وسيف الدولة فى مقدمته كالغُرَّة فى وجه ذلك الفرس لعلو منزلته ، ووضوح مكانه ، ثم جعل مقدمة الجيش وجهاً له ، ولم يكتف بذلك بل نظر إلى الرماح المشرعة فى أيدى الجند فجعلها شَعَراً فى هذا الوجه ، فالصورة مُرْعِبَة مخيفة .

---

(١) ديوانه (٤ / ١٣٩) .

لقد صدمهم سيفُ الدولة بهذا الجيش وعلى هذه الصورة فكان من نتيجة هذه الصدمة أنه لم يتمكن من الثبات أمام هذه القوة الضاربة إلا الأجسامُ ، ولكنها أجسامٌ خاويةٌ ، تسقطيمنه ويسرة وقداماً وخلفاً وفى ذلك من التهكم ما فيه لأنها أجسام بلا أرواح ، أما أرواحهم فإنها لَمّا حَلّ بها من البوار " طارت بها عنقاءُ مُغْرِب " فوقعْ السيوف وطعنْ الرماح كان سببا فى انهزامها ، انهزاماً بلا عودة ، وفراراً بلا كَرّة ، ففارقت أجسادها " فراقَ غيرِ وامق " لقد أصبحوا جثثاً هامدة ورمماً بالية .

وقـــال :

فَأَنْبَتَّ منهم ربيعَ السباع * فَأَثْنَتْ بإحسانك الطائـــلِ (١)

فإنه جعل كثرة القتلى ربيعاً للسباع ،لأنها ستسمن عليها وتطعم منها ، وتفرح بها كما تفرح الماشية بالزرع ،وهذا تشبيه منه للقتلى بالنبات على سبيل الاستعارة المكنية .

هذا وقد وصف المتنبى كثرة الدماء فى عدة صور منها قوله :

قد صَبَغَتْ خَدَّها الدماءُ كما * يصبغ خَدَّ المليحةِ الخَجَـلُ (٢)

فإنه نظر إلى أرض المعركة وقد كستها الدماء فشبه تلك الأرض بفتاة وحَذَفَ المشبَّه به ،ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو الخَدُّ ، ثم شبَّه حمرة الدم بحمرة الخجل التى تعرو الفتاةَ الحسناءَ ، وهذا من جو البهجة الذى يحاول إشاعته فى قصائده الحربية .

وقـــال :

وقَدْ لبستْ دَماءَهُمُ عليهم * حداداً لم تَشُقَّ لها جيوبا (٣)

---

(١) ديوانه (٣/١٦١) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢) ديوانه (٣/٣٣١) من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار .

(٣) ديوانه (١/٢٦٥) من قصيدة يمدح بها على بن محمد التميمى .

فإن الطير لما وقعت على جثث القتلى فرحت بذلك ، ونظراً لطيرانها ووقوعها وغوصها فى الدماء فقد غطت الدماء ريشها ، حتى إذا ما جف عليها اسودّ ، فصارت كأنها ثيابُ حدادٍ حَزَنًا عليها ، ولكنّها ثيابٌ لم تشقق جيوبُها ، أى أنها ليست ثياب من شقّهُ الحُزْنُ ، وآلمه الثُّكْلُ ، وإلا كانت مشققة الجيوب ، وفى هذه الاستعارة دلالة على كثرةِ الدماء .

ومن نتائج هذه المعارك إذلالُ الأعداء وردهم إلى الصواب ومن ذلك قوله :

لقوكَ بأكبُدِ الإبل الأبايا * وسقتَهُمُ وحدُّ السيف حَادِ

وقد مزقتَ ثوبَ البغيِ عنهم * وقد ألبستهم ثوبَ الرشادِ (١)

فإنهم كانوا عاصين باغين غليظى الأكبادِ ، وكأنها أكباد إبلٍ آبيةٍ متمنعة على أصحابها لا تنقادُ لهم إلا بشدة ، فذللتهم وسقتَهُم أمامك كما تساق الإبل وحاديهم الذى يسوقهم هو حَدُّ سيفك ، ورددتهم إلى رشد الطاعة بعد أن كانوا منغمسين فى ضلال المعصية ، لقد شبه عصيانهم بعصيان الإبل ولذا جعلهم يساقون كسوقها ، ولما كانت الإبل لا تساق إلا بحادٍ جعل حَدّ السيف حادياً لهم ، ولما كان عصيانُهُم وبغيُهُم مُضِلّاً وصَادّاً لهم عن طريق الرشد جعله ثوباً يغطّيهم ، ولَمّا أخرجهم من الضَّلال والغى وأدخلهم فى الطاعة جعل الطاعة مشتملةً عليهم كالثّوب ، فجاء بصور متتالية تدل على فرحِهِ بمآلهم وسخريّتِهِ منهم .

ومن وصفه لمآل أعداء ممدوحه الذى يميل إلى التهكم والسخرية وصفُهُ ثورةَ بعض الأعراب من كعب وقُشَيْرٍ وبَلْعَجْلان على ممدوحه بقوله :

---

(١) ديوانه (٢/٨٢) من قصيدة يمدح بها على بن إبراهيم التنوخى .

وكان هديراً من فحول تركتها * مهلّبةَ الأذنابِ خُرْسَ الشقاشقِ (١)

فإنه شَبّهَ ثورتهم بهديرِ الفحول ، ولكنّ سيف الدولة قد قمعهم ، فسكنت تلك الثورةُ فصاروا فحولاً مقطّعةَ الأذناب ساكنة الهدير ، وبذلك سكن هديرهم ، وخمدت ثورتهم كما تهدأ ثورةُ الفحل إذا قُطِعَ ذنبه أو لم تخرج لهاتُهُ .

وقال في مصير بني كلاب :

فكانوا الأُسْدَ ليس لهم مصالٌ * على طيرٍ وليس لهم مطارُ
إذا فاتوا الرماحَ تناولتهم * بأرماحٍ من العَطَشِ القِفَارُ (٢)

اضطربت عبارات الشراح للبيت الأول والذى أراه أنه يتحدث عن قوة هؤلاء القوم ومصيرهم فهم شجعان ذوو بأس شديد ، ولكنّهم لما لقوك لم يتمكنوا من الصولة في ميدان أنتَ سيّدُهُ فولوا هاربين على خيل كالطير في السرعة ، لكن ذلك ليس بنافع لهم ، لأنهم وإن فاتوا رماحك أدركتهم رماح الصحارى من العطش الناجم عن الحر وقلةِ المياه ، فقد شبههم بالأسد وخيلهم بالطير وشبه الصحارى بمقاتلين وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهي الرماح للمقاتل ولكنها رماحٌ من عَطَش فالموت من أمامهم ومن خلفهم ولذا قال :

يرون الموت قُدّاماً وخلفاً * ويختارون والموت اضطرارُ (٣)

وبهذا نكتفي بما أوردناه للمتنبي من صور مبنية على الاستعارة .

---

(١) ديوانه (٢ / ٧٠) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢ ، ٣) ديوانه (٢ / ٢١١) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

جـ ـ الكنايـــة :

سبق الحديثُ عن أهمية الكناية ومنزلتها (١) وقد استخدمها المتنبي كثيراً ، ومن ذلك قوله في كثرة غزوات ممدوحه :

أخو غزواتٍ ما تَغِبُّ سيوفُـهُ * رقابَهُمُ إلا وسيحانُ جامِـــدُ (٢)

فجعل بينه وبين الغزوات قرابةً من أوثق القرابات وهي الأخـــوة كناية عن مداومته على الغزو والسير في الغزوات مع الغزاة .

ولكثرة قتله أعداءه جعله أخاً للموت فقال :

رأيت ابن أمِّ الموت لو أن بأسه * فشا بين أهلِ الأرض لانقطع النَّسْلُ (٣)

وقـــال :

يَجِدُ الحديدَ على بَضَاضةِ جِلْدِهِ * ثوباً أَخَفَّ من الحريرِ وأَلْيَنَـــا (٤)

كناية عن تعوده لبس الدروع وخوضَ الحروب فيها .

وقـــال :

إذا بَيَّتَ الأعداءَ كان استماعُهم * صريرَ العوالي قبلَ قَعْقَعَةِ اللُّجْمِ (٥)

كناية عن كتمانه أخبار غزواته عن أعدائه فإنهم لا يعلمون بعزمـــه على غزوهم بل ولا بقربه منهم حتى يُعْمِلَ السيوفَ فيهم .

وقـــال :

فلا موتَ إلا من سنانك يتقى * ولا رزق إلا من يمينك يُقْسَـــمُ (٦)

---

(١) الرسالة ص : (٤٥٢)
(٢) ديوانه (١/٣٩٨) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٣) ديوانه (٣/٢٠٣) من قصيدة يمدح بها شجاع بن محمد .
(٤) ديوانه (٤/٣٣٢) من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار .
(٥) ديوانه (٤/١٧٢) من قصيدة يمدح بها الحسين بن إسحاق التنوخي
(٦) ديوانه (٤/٨٠) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة . وهذا مخالف لعقيدة المسلمين في الموت والرزق .

كناية عن شجاعته وكرمه .

وقـــال :

يُكَلِّفُ سيفُ الدولة الجيشَ هَمَّهُ * وقد عَجَزَتْ عنه الجيوشُ الخَضَارِمُ

ويطلب عندَ الناسِ ما عندَ نفسِهِ * وذلك مالا تَدَّعِيْه الضراغِمُ (١)

كناية عن علو همته من حبه للغارات والغزوات وعن شجاعته وأنى يكون الناس مثله في ذلك والجيوش قد عجزت عن بلوغ مدى همته والأسود لا يمكنها ادعاء مقدارِ شجاعته .

وقـــال :

فكأنَّه والطعن من قدامه * متخوِّفٌ من خلفِهِ أن يطعنا (٢)

كناية عن إقدامه وأنفته من التأخر لما يجد في نفسه من الشجاعة

ووصف الفرسان فقال :

على كل طاوٍ تحتَ طاوٍ كأنَّهُ * من الدمِ يُسْقَىْ أو من اللحم يطعَمِ (٣)

كنايةٌ عن إقدام الفارس وشجاعته ، فهو حريص على قتلِ الأعداء كأنَّه يسقى من دمائهم أو يطعم من لحومهم وكنايةٌ عن أن حياتَهُ متوقفةٌ على ذلك مادام شرابه وطعامه فيه فحسب .

وقـــال :

وطعنٌ غطاريفٍ كأنَّ أكفَّهُمَ * عرفنَ الرُّدَينيّاتِ قبلَ المعاصِمِ (٤)

كناية عن ممارستهم للحرب وحسن تدريبهم وحِذْقهم في الرمي .

---

(١) ديوانه (٤/ ٩٥) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢) ديوانه (٤/ ٣٣١) من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار .

(٣) ديوانه (٤/ ٧٧) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٤) ديوانه (٤/ ٢٤١) من قصيدة يمدح بها أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طُغُجّ .

وقــــال :

وفوارسٌ يحيى الحِمَامُ نفوسَهَا * فكأنّها ليستْ من الحيــوانِ (١)

كناية عن حبهم الموت وحرصهم على الشهادة في سبيل الله.

وكنى عن الجيوش وكثرتها فقال :

وربَّ جواب عن كتابٍ بعثتَـــهُ * وعنوانُهُ للناظرين قَتَــــامُ

تضيق به البيداءُ من قبل نشره * وما فض بالبيداء عنه خِتَــامُ

حروفُ هجاءِ الناسِ فيهِ ثلاثةٌ * جوادٌ ورمحٌ ذابلٌ وحُسَــامُ (٢)

كناية عن كثرة جيوش سيف الدولة وكثرة جندها والبيت مبنى علـــى الاستعارة التصريحية في (جواب) و(فَضّ،وختام،وحروف) مرشّحٌ لهـا فإنه لما جعله جواباً جعل له عِنْواناً ، وجعله يُنْشَرُ ويُفَضُّ عنه ختامه ،وجعل له حروفـــاً .

وقال في معرض حديثه عن جند عَضُدِ الدولة :

لم يدرِ من بالرَّى أنهُمُ * فَصَلُوا ،ولا يدرى إذا قفلــوا

لا أقبلوا سراً ، ولا ظَفِرُوا * غدراً ، ولا نصرتهُمُ الغِيَلُ (٣)

كناية عن كثرتهم وشدة بأسهم وقوتهم فإن أى سرية تنفصل عــن الجيش أو تدخل فيه لا يعلم بها أحد لكثرته ، فلا بها يكثر ،ولا بدونها يقل .

وقـــال :

يُغَيِّرُ ألوان الليالى على العدى * بمنشورةِ الراياتِ منصورةِ الجنـــد

ومبثوثةٍ لا تُتَّقَى بطليعـــةٍ * ولا يحتمى منها بغورٍ ولا نَجْدِ (٤)

---

(١) ديوانه (٤/٣١٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢) ديوانه (٤/١١٣)

(٣) ديوانه (٤/٢٤)

(٤) ديوانه (٢/١٦٩)

كناية عن كتائب عضد الدولة وقوتها وكثرة جندها .

وكنى عن الخيل وعن بعض أوصافها ومن ذلك قوله في خيـــل سيف الدولة :

كل ابن سابقة يُغيّرُ بحُسْنهِ * في قلبِ صاحبِهِ على الأحزانِ (١)

كناية عن جمال خيله ، وأنها كلُّ فرسٍ أصيلٍ من سلالاتٍ سوابق ، تسر الناظر إليها فتذهب همومه من قلبه ، وفي الصورة دلالة على اكتمــال صورة الحسن والأصالة لجوادِ الحرب .

وقـــال :

كأن خيولَنا كانت قديمـــاً * تُسَقّى في قحوفِهِمُ الحليبـــا (٢)

كناية عن إلفِهَا الحروب وكثرة خوضها غمراتِهَا ، بحيث لا تَجْفُـــلُ حين تَطَأُ رؤوس القتلى وأشلاءهم المتناثرة .

وقـــال :

ينظرن من مقل أدمى أحِجَّتَهَا * قرعُ الفوارس بالعسالةِ الذُّبُـلِ (٣)

كنايةٌ عن جسارتها وإقدامها ، وعدم تردُّدِها في ميادين الحـــروب وذلك لكثرة خوضها المعارك .

وقـــال :

إذا وطئت بأيديها صخوراً * يَفِئْنَ لوطءِ أَرْجُلِهَا رِمَـــالا (٤)

---

(١) ديوانه (٣٠٩/٤)

(٢) ديوانه (٢٦٥/١) من قصيدة مدح بها علي بن محمد التميمي .

(٣) ديوانه (١٦٩/٣) من قصيدة مدح بها سيف الدولة .

(٤) ديوانه (٣٤٦/٣) من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار .

كناية عن صلابة حوافرها وكرّر هذه الكناية في قصيدة أخرى فقال:

تَمَاشَى بأيدٍ كُلَّما وافتِ الصَّفا * نقشنَ به صدرَ البزاةِ حَوَافِيَا (١)

وقال بعده :

وتنظُرُ من سودٍ صوادِقَ في الدُّجَى * يَرَيْنَ بَعِيْدَاتِ الشخوص كما هيا (٢)

كناية عن حدّةِ بصرها وقوة نظرها في دجى الليل .

وقال بعده :

وَتَنصِبُ للجَرْسِ الخفِيّ سوامعاً * يَخَلْنَ مناجاةَ الضمير تنادِيَا (٣)

كناية عن حدة سمعها وأنها تكاد تسمع نجوى الضمائر، بل ترى المناجاة صوتا عالياً .

ووصف شدة الحرب وكنى عنها بقوله :

فلله وقتٌ ذَوّبَ الغِشَّ نارُهُ * فلم يَبْقَ إلا صارِمٌ أو ضُبَارِمُ

تَقَطَّعَ مالا يَقْطَعُ الدرعَ والقنا * وفرَّ من الابطال من لا يصادِمُ (٤)

فذوبانُ الحديد وتقطُّعُهُ وفرارُ الفرسان كناية عن شدة الحرب التي لا يمكن أن يصبر عليها إلا السيوفُ القواطع والفرسانُ الأقوياء .

وقال :

وَلَتَمْضِيَنَّ حيث لا يَجِدُ الرمـ ـحُ مداراً ولا الحصانُ مَجَالا (٥)

(١، ٢، ٣) ديوانه (٤٢٢/٤) من قصيدة يمدح بها كافوراً الأخشيدي

(٤) ديوانه (١٠١/٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٥) ديوانه (٢٥٦/٣) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة والبيت معطوف على قوله قبله :

حالفَتْهُ صدورها والعوالي * لتخوضَنَّ دونه الأهوالا

ومعناهما : حالفته صدور خيله والرماح لتخوضَنَّ دونه الحروب والأخطار ولتَتَقَدَّمَنَّ إلى مضائق الحرب .

كناية عن ضيق مجال الحرب وتلاحم الفريقين وتشابكهم ، فصاحب الرمح إذ ذاك لا يجد لرمحه مداراً يدير رمحه فيه ، وصاحب الجواد لا يجد لجواده مجالاً يجريه فيه .

وقـــال :

باعثُ النفسِ على الهولِ الذى ليـــس لنفس وقعت فيه إيابُ [١]

كناية عن شدة الحرب التى لا ترجو معها نفس إياباً .

وقـــال :

والأمرُ أمرُكَ والقلوب خوافقٌ * فى موقفٍ بينَ المنيةِ والمُنَى [٢]

كناية عن شدة الحرب ، فالقلوب تخفق خوفاً من المنية ، وجزعاً من الموت لحرصها على الحياة ، وهى أمنيتها .

أما نتائج هذه الحروب فقد وصف بعض ذلك وكنى عنه بقوله :

فتركتهم خَلَلَ البيوتِ كأنَّما * غضبت رؤوسُهُمُ على الأجسامِ [٣]

فإن غضب الرؤوس على الأجسام كنايةٌ عن قطع الرؤوسِ وفصلِهَا عن الأجسام ، وما يترتب على ذلك من كثرة القتلى ، ذلك لأن من لوازم الغضب المفارقةَ .

وقـــال :

واستعارَ الحديد لوناً وألقى * لونه فى ذوائبِ الأطفـــالِ [٤]

---

(١) ديوانه (١/ ٢٦٢) من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار .

(٢) ديوانه (٤/ ٣٣٦) من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار .

(٣) ديوانه (٤/ ١٢٧) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٤) ديوانه (٣/ ٣١٦) من قصيدة يمدح بها عبد الرحمن الأنطاكى .

فقوله (ألقى لونه . . .) كناية عما بلغ بالأعداء من خوف سيف الدولة إلى أن ريع صبيانهم منه ، فشابت ذوائبهم ،بانتقال لون الحديد إليها .

وقال في وصف بعض القبائل :

فلم يسرحْ لهم بالصبحِ مالٌ * ولم توقدْ لهم بالليلِ نارُ (١)

كناية عن خوفهم من ممدوحه وإلحاقه الذُلّ بهم .

وقال :

لمّا رأته وخيلُ النصرِ مقبلةٌ * والحربُ غيرَ عوانٍ أسلموا الحِلَلا

كناية عن جبنهم وخوفهم وهربهم من القائد قبل اشتداد الحرب

وقال بعده :

وضاقت الأرض حتى كان هاربُهُم * إذا رأى غير شيء ظَنَّهُ رَجُلا

كناية عن شدة ما لحقهم من الخوف وقال بعده :

فبعده وإلى ذا اليوم لو رَكَضَتْ * بالخيلِ في لهواتِ الطِّفل ماسَعَلا (٢)

كناية عن قلتهم وحقارتهم ومبلغ ما لحقهم من الذل والصغار .

وقال :

فالعربُ منه مع الكُدْرِي طائرةٌ * والرومُ طائرةٌ منه مع الحَجَلِ (٣)

كنايةً عن هربِ العربِ من سيفِ الدولة في الصَحَارَىْ سَكَن القطا ، وهربِ الروم منه في الجبال سكن الحَجَل .

---

(١) ديوانه (١١٢/٢) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٢) ديوانه (٢٨٧/٣-٢٨٨) من قصيدة يمدح بها سعيد؟ الكلابي .
(٣) ديوانه (٢٠٧/٣)

وقــــال :

فَمَسَّاهُمْ وبُسْطُهُمُ حَريــرٌ * وصَبَّحَهُمْ وبُسْطُهُم الــتُّرابُ

ومَنْ فِي كفِّهِ منهُمْ قنـــاةٌ * كَمَنْ فى كَفِّهِ منهُمْ خِضَـابُ (١)

فقوله (مسّاهم وبسطُهُمُ حريرٌ) كناية عن النعيم الذى كانوا فيه قبل تصبيحه لهم ، وقوله (وصبّحَهُمْ وبسطُهُمُ التراب) كناية عما آل إليه حالهم من الفقر والعُرى حتى شابهوا الفقراء فى افتراش التراب ، أو كناية عن قتلهم وتناثر أجسادهم على التراب .

وقولُه (ومن فى كفه منهم قناةٌ) كناية عن الأبطال لأنهم الحاملون لها ، وقولُه : (كمن فى كفه منهم خضابُ) كناية عن النساء .

وقال فى وصف حال بنى قُشَيرٍ وبلعجلان بعد حرب سيف الدولـــة لهم :

تُخَلِّيهُمُ النِّسْوانَ غيرَ فَوَارِكٍ * وهم خَلّوا النِّسْوانَ غيرَ طوالِقِ (٢)

كنايةٌ عن هربِ كُلٍّ منهم رجالاً ونسَاءًا على حِدَه ، وبذلك تَفرقـــة لهم وكأنهم طَلَّقوا النساءَ أو النساءُ فَرِكْنَهُم وذلك مالم يحدث إلا أن هربهم جعلهم بتلك المثابة .

وقال بعده بأبيات :

بِكُلِّ فلاةٍ تنكرُ الأُنْسُ أرضُهَا * ظعائِنُ حُمْرُ الحَلْى حُمْرُ الأَيَانِقِ (٣)

---

(١) ديوانه (١/٢١٣) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢،٣) ديوانه (٣/٦٦-٦٧) .

كناية عن إبعادهم الهرب في فلواتٍ لم يسكنها أحد ولم تعهد الأنس يعرون فيها ولذا أنكرتهم ، وقوله (ظعائنُ حُمْرُ الحَلْيِ حُمْرُ الأيانق) كناية عن شرف هؤلاء النساء وأنهن من نساءِ أقوامٍ أشراف يكرمونهن بتحليتهن بالذهب وإركابهن النوق الحمر .

وبهذا نأتي إلى ختام الحديث عن الصورة البيانية عندالمتنبي في شعره الحربي .

٣ ـ القيم الصوتية :

سبق الحديث عن أهمية الموسيقى الشعرية ، ومدى تأثيرها على المستمع ، وأن جزءاً كبيراً من جمال الشعر نابع من إيقاعاته ونغماته .

وقلنا إن عناصر القيم الصوتية التى تدرس فى الشعر ثلاثة هى (١) : الوزن والقافيه والموسيقى الداخلية .

وعلى هذا المنوال سندرسها لدى المتنبى فى شعره الحربى .

أ ـ الوزن :

صاغ المتنبى قصائده على أوزان الشعر العربى المألوفة ، وقد نظم شعره الحربى على تسعة أبحر منها ، بيد أنه أكثر من النظم على بحر الطويل والكامل والوافر ثم الخفيف والبسيط ، فقد نظم فى شعر الحرب ستة وستين قصيدة منها على الطويل (٢١) قصيدة ، وعلى الكامل (٩) قصائد ، وعلى الوافر (١٠) قصائد ، وعلى الخفيف (٨) وعلى البسيط (٨) قصائد ، كما أن له على المتقارب (٤) قصائد ، وعلى المنسرح مثله وقصيدتان إحداهما من الرمل ، والأخرى من الرجز .

فأما بحور (الطويل والكامل والخفيف والبسيط) فهى مما يتناسب وشعر الحرب ويلحظ ذلك فى نظمه عليها القصائد التى وصف فيها المعارك وصفاً دقيقاً من مثل قصائده :

١ ـ على قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارم (٢)

٢ ـ أعلى الممالك ما يبنى على الأسل * والطعن عند محبيهن كالقبل (٣)

---

(١) ص (٤٥٦) من الرسالة

(٢) ديوانه (٩٤/٤) .

(٣) ديوانه (١٩٨/٣) .

٣ـ ليالىّ بعد الظاعنين شُكُولُ * طوالٌ وليلُ العاشقينَ طويلُ (١)
٤ـ لكل امرئٍ من دهره ما تعوَّدَا * وعاداتُ سيفِ الدولةِ الطعنُ فى العدا (٢)
٥ـ غيرى بأكثرِ هذا الناسِ ينخدعُ * إن قاتلوا جَبُنُوا أوحَدَّثُوا شَجُعُوا (٣)
٦ـ تذكرتُ ما بين العذيبِ وبارقٍ * مجرّ عَوَالينَا ومجرى السوابقِ (٤)
٧ـ ذِى المعالي فليعلُوَنْ من تعالىٰ * هكذا ،هكذا ، وإلا فَلا لا (٥)
٨ـ إذا كان مدحاً فالنَّسِيْبُ المقدّمُ * أكُلُّ فصيحٍ قال شعراً مُتَيَّمُ (٦)
٩ـ عقبى اليمينِ على عقبى الوغى نَدَمُ * ماذا يزيدُكَ فى إقدامِكَ القَسَمُ (٧)

أما نظمه على البحور السريعة الحركة كالوافرِ والمتقارَبِ والرَّمَلِ فلِحُسْنِ نغمِهَا وجمالِ جَرْسِهَا .

وأكثر ما استخدم أبو الطيب الوافر فى قصائدَ جاءتِ الأحداث فيها كالقِصَّةِ فى السرد من مثل قصيدته فى وصف حرب سيف الدولة لبنى كلاب :

بغيركَ راعياً عَبَثَ الذئابُ * وغيرُكَ صارماً ثَلَمَ الضِّرابُ (٨)

أو قصيدته فى وصف حرب سيف الدولة لبنى عُقَيْل وقُشَير وبَلْعَجْلان وبنى كلاب :

---

(١) ديوانه (٣/٢١٨) .
(٢) ديوانه (٢/٣) .
(٣) ديوانه (٢/٣٣٠) .
(٤) ديوانه (٣/٦٠) .
(٥) ديوانه (٣/٢٥٤) .
(٦) ديوانه (٤/٦٩) .
(٧) ديوانه (٤/١٢٩) .
(٨) ديوانه (١/٢٠٤) .

طوالٌ قنًا تطاعنُهَا قصَارُ * وقطرُك فى ندىً وَوَغىً بِحَارُ (١)

ومن أمثلة قصائده التى نظمها على البحور الطوال قصيدته التى مدح بها سيف الدولة ووصفَ مسيرَه معه لحرب الروم وهى من بحر الطويل ومطلعها :

ليالىّ بعد الظاعنينَ شُكُولُ * طوالٌ ، وليلُ العاشقينَ طَوِيلُ (٢)

ومنها حديثه عن مسير سيف الدولة :

رمى الدرب بالجرد الجياد إلى العدا * وما علموا أنّ السهامَ خيُولُ

شوائلَ تشوالَ العقاربِ بالقَنَا * لها مَرَحٌ من تحتهِ وصَهِيلُ

وما هى إلا خَطْرَةٌ عَرَضَتْ له * بحَرّانَ لبّتْهَا قناً ونُصُولُ

هُمَامٌ إذا ما هَمّ أمْضَى هُمُومَهُ * بأرعَنَ وطْءُ الموتِ فيهِ ثقِيلُ (٣)

فإن هذه القصيدة قد تجاوب بحرُها معَ عاطفةِ الشاعر الفرحة بهذه الانتصارات فجاء الوزن واللفظ مدويان كأنّهمَا طبولُ حرب ، وقراعُ سيوف .

ومثل هذه القصيدة قصيدتُهُ التى مدح بها سيف الدولة وهى من شعره البسيطِ ومطلعُهَا :

عقبى اليمينِ على عقبى الوغى ندمُ * ماذا يزيدُكَ فى إقدامِكَ القَسَمُ (٤)

---

(١) ديوانه (٢/٢٠٢) .

(٢) ديوانه (٣/٢١٧) .

(٣) ديوانه (٣/٢٢١ — ٢٢٢) .

(٤) ديوانه (٤/١٢٩) .

ومنهـــا :

آلى الفتى ابنُ شُمُشْقيقٍ فأحنثَهُ * فتىً من الضَّربِ تُنسَى عنده الكَلِمُ
وفاعلٌ ما اشتهى يغنيه عن حَلِفٍ * على الفعال حضورُ الفعلِ والكرمُ
كلّ السيوفِ إذا طال الضرابُ بها * يمسُّها غيرَ سيف الدولةِ السَّأمُ
لو كَلَّتِ الخيلُ حتى لا تَحَمَّلَـــهُ * تحمَّلَتْهُ إلى أعدائِهِ الهِمَـمُ (١)

فإن هذا البحر أخو الطويل في الفخامةِ والجلالة .

ومن أمثلة قصائده التي نظمها على البحور السريعة الحركة كالوافر والمتقارب والرمل قولُهُ في بدرِ بن عمارٍ ارتجالاً وهي من بحر (الرَّمَـــلِ)

إنما بدرُ بن عَمَّارٍ سحـــابُ * هطِلٌ فيه ثوابٌ وعقـــابُ
إنما بدرٌ رزايا وعطايـــا * ومنايا وطِعَـانٌ وضِـرابُ
ما يُجِيْلُ الطَّرْفَ إلا حَمِدَتْهُ * جهدَها الأيدي وذَمَّتْهُ الرِّقابُ
ما به قتل أعاديهِ ولكـــنْ * يتقي إخلافَ ما ترجو الذئابُ (٢)

فخفةُ البحر ناسبت نشوة الطرب في تعداد مآثرِ ممدوحِهِ وصفاتِهِ ، ومقاطِعُـــهُ الراقصةُ ناسبَتْ ذكر صفاتٍ متتاليةٍ .

ومن ذلك قوله في مدح علي بن محمد التميمي من بحر " الوافر " .

ضروب الناسِ عشاقٌ ضروبا * فأعذرُهم أشفُّهُمُ حبيبـــا
وما سَكَني سوى قتلِ الأعادي * فهل من زورةٍ تشفي القلوبـــا
تظل الطيرُ منها في حديث * تردُّ به الصراصِرَ والنَّعيبـــا
وقد لبست دماءَهُمُ عليهـم * حِداداً لم تَشُقَّ لها جيوبـــا
أدمنا طعنَهُمْ والخيلَ حتى * خلطنا في عظامِهِمُ الكُعُوبـــا (٣)

---

(١) ديوانه (٤ / ١٣٠) .
(٢) ديوانه (١ / ٢٦١ — ٢٦٢) .

(٣) ديوانه (١ / ٢٦٤ — ٢٦٥) .

فجمال موسيقى البحر ومقاطعه ناسبت الوصف السردى الذى صور به معاركهم .

أما من حيث استخدامُ أبى الطيب للتصريع وحرصُه عليه فى كل مطالع قصائده وخاصة الحربية ، فهذا أمرٌ ظاهر ، يدل على مدى إدراك أبى الطيب ما للتصريع من زيادة فى جرس القصيدة ، ولم يقف الأمر به على المطالع ، فإنه كان يصرع أحيانًا بعض المقاطع ليجدِّد هذا الجرس فى أذن المستمع ، فيتجدد نشاطهُ ، وليُلْفِتَ نَظَره إلى المعنى الذى يريد أن يتحدث عنه ، ومن ذلك تصريعه داخل قصيدته :

فهمت الكتاب أبر الكتب * ... ...

فإنه قال فى وسطها :

مباركُ الاسم أغرُّ اللقبْ * كريمُ الجِرِشَّى شريفُ النسبْ.(١)

وتصريعه فى قصيدته :

بأبى الشموس الجانحات غواربا * ... ...

فإنه صرع فى الثلث الأخير من القصيدة فقال :

لبيك غيظَ الحاسدين الراتبا * إنا لَنُخْبَرُ من يديك عجائِبَا (٢)

ب ــ القافيــة :

استعمل المتنبى فى شعره الحربى كثيراً من القوافى ، لكنَّهُ ألحَّ على استخدام القوافى التالية :

١ ــ اللام وجاء له عليها (١٥) قصيدة حربية .(٣)

---

(١) ديوانه (١/٢٢٧) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢) ديوانه (١/٢٥٩) من قصيدة يمدح بها على بن منصور الحاجب .

(٣) انظر ديوانه : (٣/١٥٢ ، ١٦٣ ، ١٧٩ ، ١٩٨ ، ٢١٧ ، ٢٣٢ ، ٢٥٤ ، ٢٦٧ ، ٢٨٢ ، ٢٩٦ ، ٣٠٩ ، ٣٢٥ ، ٣٣٧ ، ٤/٣ ، ١٥) .

٢ ـ الميم وجاء له عليها (١٢) قصيدة حربية.(١)

٣ ـ الدال وجاء له عليها (١٠) قصائد حربية.(٢)

٤ ـ الباء وجاء له عليها (٩) قصائد حربية.(٣)

وكلها قواف ذُلُلٌ.

٥ ـ القاف وجاء له عليها (٥) قصائد(٤) منها رجزية وصف فيها مهره وصف من يعده للقتال.

أما نوع قوافيه من حيثُ الاطلاقَ والتَّقْييد فجيعها مطلقةً إلا أربع قصائد جاءتمقيده والمقيدةُ تناسب حالَهُ النفسية حيث قالها وهو فى قمة نشوته وطربه وهى:

فهمتُ الكتابَ أبرَّ الكتبْ * ... ...(٥)

أَزَائِرٌ بِاخيالُ أم عائدْ * ... ...(٦)

جاء نيروزُنَا وأنت مرادُهْ * ... ...(٧)

وفاؤكما كالرَّبْعِ أشجاهُ طاسِمُهْ * ... ...(٨)

---

(١) انظر ديوانه (٤/٤٤، ٦٩، ٨٠، ٩٤، ١٠٩، ١١٩، ١٢٩، ١٦٥، ١٧٩، ٢٠٢، ٢١٥، ٢٣٦).

(٢) انظر ديوانه (١/٣٨٤، ٣٩٠، ٢/٣، ١٧، ٦٣، ٧٤، ٨٦، ١٤٨، ١٦١، ١٧٣).

(٣) انظر ديوانه (١/١٨٢، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٢٥، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٥٠، ٢٦١، ٢٦٤، ٣٠١)

(٤) انظر ديوانه (٣/٣٩، ٤٨، ٦٠، ٩٢، ١٠١).

(٥) ديوانه (١/٢٢٥).

(٦) ديوانه (٢/١٧٣).

(٧) ديوانه (٢/١٤٨).

(٨) ديوانه (٤/٤٤).

فالأولى حينما وصله كتاب سيف الدولة سنة ٣٥٣ هـ فَفَرِحَ بالكتاب ولكن كبرياءه منعته من السير إليه .

والثانيةُ قالها فى عضد الدولة، والثالثةُ قالها فى أبى الفضل بن العميد وهما يدلان على انشراح لحقَهُ، لما لقيه عندهما من حفاوةٍ عوَّضَتْهُ ما فقده بعد فراقه سيف الدولة .

والرابعةُ وإن بدأ فى مطلعها حزيناً إلا أنه فَرِح بما حقّقَهُ ممدوحه من انتصارات جَمَّةٍ على الاعداء وحَبّذَ التقييد إليه فخامةُ البحر فالقصيدة من بحر الطويل وتقييده يجعل له دوياً فى أُذن السامع .

ومن أمثلة قوافيه المقيدة قوله من البائية السابقة :

أيا سيف رَبّكَ لا خلقِهِ * ويا ذا المكارم لا ذا الشُّطَبْ
وأبعدَ ذى همةٍ هِمَّةً * وأعرفَ ذى رتبةٍ بالرُّتَبْ
وأطعنَ من مَسَّ خَطّيّةً * وأضربَ من بِحُسَامٍ ضَرَبْ
بذا اللفظ ناداك أهل الثغور * فلبيتَ والهامُ تحت القُضُبْ
وقد يئسوا من لذيذ الحياة * فعينٌ تَغُورُ وقلبٌ يَجِبْ
وغرّ الدمستقَ قولُ العدا * ةِ إنّ علياً ثقيلٌ وَصِبْ
وقد علمت خيلُهُ أنّهُ * إذا هَمّ وهو عليلٌ رَكِبْ (١)

فجاءت القافية بائية مقيدة ، والباء حرف فيه شدة لانغلاق الهواء عند النطق به ، وزاد هذه الشدة التقييد ، فجاءت القافية مدوّيةً ، وكيف لا والقصيدةُ استهزاءٌ بالقائد الرومى ، واستهانةٌ بقوته ، وبيانٌ لمصيره .

---

(١) ديوانه (١/ ٢٢٨ — ٢٢٩) .

أما القوافي المطلقة فهي إما مشبعةٌ بأحد حروف الإشباع الضمةَ أو الكسرةُ أو مطلقة بألفِ الإطلاق أي مفتوحة،أو موصولةٌ بها وصلٍ متحرّكةٍ .

وأكثر قوافيه المشبعةُ مشبعةٌ بالضّمّ،ويليه الكسرُ وذلك لمناسبتهما حالته النفسية حينما يكون ثائراً إما على أعداء الأسلام أو على أعدائه الشخصيين ومن ذلك قصائده الآتية :

١ ـ بغيرك راعياً عبثَ الذئابُ * ... ... (١)

٢ ـ طوالٌ قناً تطاعنها قصارُ * ... ... (٢)

٣ ـ إذا كان مدحاً فالنسيبُ المُقَدَّمُ * ... ... (٣)

٤ ـ أراعَ كَذَا كُلَّ الملوك هُمَامُ * ... ... (٤)

٥ ـ لا افتخارٌ إلا لمن لا يُضَامُ * ... ... (٥)

٦ ـ ليالِيَّ بعد الظاعنين شُكُولُ * ... ... (٦)

٧ ـ غيري بأكثرِ هذا الناس ينخدعُ * ... ... (٧)

٨ ـ لعينيكِ ما يلقى الفؤادُ ومالقى * ... ... (٨)

٩ ـ أعلى الممالكِ ما يُبْنَىَ على الأَسَلِ * ... ... (٩)

---

(١) ديوانه (١/ ٢٠١) قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢) ديوانه (٢/ ٢٠٢) قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٣) ديوانه (٤/ ٦٩) قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٤) ديوانه (٤/ ١٠٩) قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٥) ديوانه (٤/ ٢١٥) قصيدة يمدح بها أبا الحسين على بن أحمد المُرِّى .

(٦) ديوانه (٣/ ٢١٧) قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٧) ديوانه (٢/ ٣٣٠) قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٨) ديوانه (٣/ ٤٨) قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٩) ديوانه (٣/ ١٦٣) قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

١٠ـ الرأىُ قبلَ شجاعةِ الشجعانِ ٭ ... ... (١)

فإن استخدامه هاتين الحركتين ـ أعنى الاشباعَ بالضَمِ أو الكسر يُفَرِّجُ عما يجده فى نفسه ، فالصوتُ المنبعثُ منهما له دلالته فى ذلك كما سيأتى عند ضرب المثال للاشباع بعد قليل .

فإنْ كانت حالتُه النفسيةُ حزينةً بائسةً أو فرحة طَرِبَةً فإنه يَعْمَدُ إلى الإطلاق بالفتح مثال ذلك قصائده الآتية :

١ ـ كفى بك داء أن ترى الموتَ شافِيًا ٭ ... ... (٢)

٢ ـ دمعٌ جرى فقضى فى الربع ما وجبا ٭ ... ... (٣)

٣ ـ بقائى شاءَ ليس هُمُ ارتحالا ٭ ... ... (٤)

٤ ـ ذِى المعالى فليعلُوَنْ مَنْ تعالا ٭ ... ... (٥)

٥ ـ حيا وابسرَ مالاقيتَ ما قتَلا ٭ ... ... (٦)

٦ ـ الحبُّ ما منع الكلامَ الألسُنا ٭ ... ... (٧)

فهو فى هذه القصائد إما حزينٌ يائس لكثرة أعدائه ، ولما لاقى من الأهوال والعداوات وإما فرحٌ بانتصارٍ بدا فيه كالشامت للأعداء كالقصيدة الرابعة .

وكمثالٍ لقوافيه المطلقة قولُه من قصيدة رائِيَّة مدح بها سيف الدولة لما أوقع ببنى قشير وعُقَيْل وبالعجلان وبنى كلاب :

---

(١) ديوانه (٤/٣٠٧) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٢) ديوانه (٤/٤١٧) من قصيدة يمدح بها كافوراً الأخشيدى .
(٣) ديوانه (١/٢٣٧) من قصيدة يمدح بها المغيث العجلى .
(٤) ديوانه (٣/٣٣٧) من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار .
(٥) ديوانه (٣/٢٥٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٦) ديوانه (٣/٢٨٢) من قصيدة يمدح بها سعيد بن عبد الله الكلابى
(٧) ديوانه (٤/٣٢٧) من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار .

فأقبلها المروج مُسَوّمَــاتٍ * ضوامرَ لا هِزالٌ ولا شِيَــارُ
تثيرُ على سَلَمْيَةَ مُسْـطِرًا * تَنَاكَرُ تحتَهُ لولا الشِّعَــارُ
عجاجًا تَعْثُرُ العِقْبَانُ فيه * كأنَّ الجوَّ وعثٌ او خُبَــارُ
وظلَّ الطعنُ فى الخيلين خَلْسًا * كأنَّ الموتَ بينَهُمَا اختصارُ (١)

فالقافية رائية مطلقة مضمومة مردوفة ، وقد اجتَمَعَ لها مع الجهر والضَمّ انفتاحُ ما قبلِها فصار الصوت الصادر عن النطق بها وخاصة عند تكرارها فى كل قافية صوتًا يملأ فم الشاعر ويدوى فى أذن المستمع .

وكمثالٍ آخر لحروف القافية : إشباعُ حروف الروى فى عَيْنِيَّتِهِ التى مدح بها سيف الدولة مُسَلِّيًا له عَمَّا حدث لجنده من قتل ومنها قوله :

قل للدُّمُسْتُقِ إنَّ المسلمين لكم * خانوا الأمير فجازاهم بما صَنَعُــوا
وجدتموهم نيامًا فى دمائِكُــمُ * كأنَّ قتلاكُم إياهُمُ فَجَعُــوا
ضعفى تعفُّ الأيادى عن مثالِهِمُ * مِنَ الأعادى إذا هَمّوا بهم نَزَعُــوا
لا تحسبوا مَن أسرتم كان ذا رمق * فليس يأكل إلا الميتةَ الضَبُــعُ (٢)

فإن إشباع العين هنا يحدث صوتًا فيه نوعٌ من الأسى مما نال ضعفى المسلمين وخُوّانَهُم ، فكأن القافية تردّدُ فى كل بيت كلمةَ (عو) ممثّلةً هيّنَهُ المكتومَ فى نفسِهِ ، الذى يتوالى فى شدة تبلُغُ الأعماق حتى لكأنَّهُ ينزعُ الحرفَ من بئر سحيق .

وهكذا جل القوافى الحربية للمتنبى فإنه يراعى فيها خاصيّــة حروف الروى ، وما يعقبه أو يسبقه من حركات القافية .

---

(١) ديوانه (٢ / ٢٠٥ — ٢٠٧) .
(٢) ديوانه (٢ / ٣٣٤ ، ٣٣٨ — ٣٣٩) ومطلعها :
غيرى بأكثر هذا الناس ينخدعُ * إن قاتلوا جَبُنُوا أوحدّثُوا شَجُعُوا

هذا وليس للمتنبى قواف ناشِزَة ، وحروف روىّ نابية إلا أنّه نظم على روى : الحاء والذال والزاى والشين أربع قصائد ، ومن هذه القصائد وجدله أبيات عابها عليه النقاد ، لاجتلابه بعض قوافيها من مثل قوله :

فكأنّهُ حسب الأسنةَ حلوة * أو ظَنّها البرنىّ والآزاذا (١)

قال ابن عباد : (فلا أدرى أكان فى حومة الحرب أم فى سوق التمارين بالبصرة) (٢) بينما نجد من يدافع عنه هنا ، فهاهو الدكتور محمد شعيب يقول بعد كلام طويل شرح فيه وجهة نظر المتنبى : (... فهل فى ذكره بعض أنواع التمر وفى تصويره لموقف الرجل بأنه ظن السهام شيئاً تستسيغه النفسُ ويميل إليه العرب بطبيعتهم ما يسقط البيت ويذرى به) (٣)

وقصيدته الشينية التى مدح بها أبا العشائر جمع فيها لأجل القافية بين النعاج والكباش والنبيط والجحاش والغِشاشِ والانكماش فى مثل قوله :

ومن قبلِ النطاح وقبل يانى * تبين لك النعاجُ من الكباش

تُطَاعِنُ كلّ خيل كنتَ فيها * ولو كانوا النبيطَ على الجِحَاش

تُزيْلُ مخافةَ المصبُورِ عنه * وتُلْهِى ذا الغِشاشِ عن الغِشَاش

وما وُجْدُ اشتياق كاشتياقى * ولا عُرِفَ انكماشٌ كانكماشِى (٤)

---

(١) ديوانه (٢/١٨٧) من قصيدة يمدح بها مساور بن محمد الرومى.

(٢) الكشف عن مساوئ المتنبى (٢٦٤) مع كتاب الإبانة للعميدى تحقيق إبراهيم الدسوقى ط دار المعارف الثانية .

(٣) المتنبى بين ناقديه د / محمد عبدالرحمن شعيب (٩٦) .

(٤) ديوانه (٢/٣٢٠ — ٣٢٥) .

وهذا لا يعني عدم إجادته في هذه القوافي الحوش منها فهو يقول في الشينية السابقة :

لقوه حاسراً في درع ضربٍ * دقيقِ النسج ملتهبِ الحواشي
كأنَّ على الجماجمِ منه ناراً * وأيدي القومِ أجنحةُ الفَراشِ
كأنَّ جواريَ المهجات ماءٌ * يعاوِدُهَا المهنَّدُ من عِطَاشِ
فَوَلَّوا بين ذي روحٍ مُفَاتٍ * وذي رَمَقٍ وذي عقلٍ مُطَاشِ
ومنعفرٍ لنصلِ السيف فيه * تواري الضَّبِ خاف من احتراش
يُدَمِّي بعضُ أيدي الخيل بعضاً * وما بِعُجَايَةٍ أثَرُ ارْتِهَاشِ

فقد وصف جو المعركة في هذه الشينية وأبدع فيه ولم يتكلف قوافيها مع الوفاء بالمعنى المراد .

جـ ـ الموسيقى الداخلية :

ما الموسيقى الداخلية إلا حسن الإيقاع المنبعثِ من تجاور الكلمات على نحو معين ، ويُعَدُّ المتنبي ممن أحسن اختيار ألفاظ شعره ، وبرع في صياغتها مع مقاطع البيت ، فجاءت أكثرُ قصائده ، ذاتَ هَزِيجٍ مُطْرِبٍ ، وجَرْسٍ عَذْبٍ ، ويبدو جمال هذه الموسيقى في

١ ـ التناظر .   ٢ ـ المحسنات البديعية

١ ـ التناظـــر :

سمـــاه ابن الأثير (الـــموازنة) وعرفه بقوله :

(أن يكون صدر البيت الشعرى وعجزه متساويي الألفاظ وزناً) (١)

ويكسب التناظر القصيدة طـلاوة ورونقاً عظيمين ، ومما يمثل ذلـك قولـــه :

فجاز له حتى على الشمس حكمُهُ * وبانَ له حتى على البدر ميســـمُ

كأنَّ العدا فى أرضهم خلفاؤُهُ * فإن شاء حازوها وإن شاء سَلّموا

ولا كُتْبَ إلا المشرفيةُ عنـــده * ولا رُسُلٌ إلا الخميس العرمـرمُ

فلم يخل من نصر له من له يدٌ * ولم يخل من شكر له من له فـــمُ

ضروب وما بين الحسامين ضيق * بصير وما بين الشجا عين مظلـــمُ

فهنّ مع السيدان فى البر عُسَّلٌ * وهن مع العِقبان فى النِّيقِ حُـــوَّمُ

وهنّ مع الغزلان فى الواد كُمَّنٌ * وهنّ مع النينانِ فى الماء عُوَّمُ (٢)

فقد جمع فى هذه الأبيات بين التكرار العذب الذى يزيد فى حسن الموسيقى الشعرية ، وبين الموازنة بين ما فى الشطر الأول بما فى الشطر الثانى أو بين كل فقرتين من بعض الأشطر وتوضيح ذلك أنه وازن بـــين الشطرين فى البيت الأول كالآتى :

جاز = بان ، والشمس = البدر ، حكمه = ميسم

---

(١) المثل السائر (١/٤١٤) وليس من الضرورى أن يكون ذلك بـــين صدر البيت وعجزه ، فلا مانع أن يكون ذلك فى الشطر الواحد ، فالمهم لدينا هو : التوازن بين الشطريين أو الكلمتين ولو فـــى شطرة واحده .

(٢) ديوانـــه (٤/٧١-٧٢) من قصيدة يمدح بها سيف الدوله .

مع تكراره = (له حتى على) فى كلا الشطرين .

ومثله البيت الثالث : وازن بين : كتب ورسل مع تكراره :(لا ... إلا) ومثله البيت الرابع فإنه وازن بين :

نصر وشكر ، وبين يد وفم .

مع تكراره : (لم يخل من ... له من له).

ومثله البيت السادس فإنه وازن بين

(ضروب وبصير)، وبين(الحسامين والشجاعين)، وبين(ضَيِّق ومظلم)

مع تكراره لفظة (ما بين) .

ومثله البيتان السابع والثامن فإنه وازن بين :

(السِيدان والعِقبان) ، وبين(البَرّ والنّيق) وبين(عُسَّل وحُوّم) فى البيت السابع ، وبين :(الغزلان والنينان)، وبين(الواد والماء)، وبين (كُمّنٌ وعُوّم)فى البيت الثامن مع تكراره فى كلا البيتين :

(هن مع ... فى ...)

فإذا أردنا توضيح الموازنة بين الكلمتين فى شطر واحد فإننا نجدها فى الشطر الثانى من البيت الثانى، فقد وازن بين : (جازوها) و (سلموا) مع تكراره (إن شاء) .

ومثل هذه الأبيات قوله :

فما تركن بها خلداً له بصر * تحت الترابِ ولا بازاًله قَدَمُ
ولا هزبراً له من درعه لِبَدٌ * ولا مهاةً لها من شبهها حَشَمُ(١)

فقد ناظر بين(خلد ــ باز ــ هزبر ــ مهاة) وبين(بصر ــ قدم) وبين(درعه لبد ــ شبهها حشم).

---

(١) ديوانه (٤/ ١٣٥) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

٢ـ المحسنات البديعية :

استخدم المتنبى كثيراً من المحسنات البديعية ، ويهمنا منها هنا ثلاثة محسنات هى :

أ ـ التقسيم . ب ـ الطباق (وهما معنويان .

جـ ـ الجناس وهو (لفظى)

أ ـ التقسيم :

أما التقسيم فهو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين (١)

ولقد حرص المتنبى عليه وأكثر منه ، وجاء منه بما يعجب دون تكلف.

وتكمن فائدة التقسيم فيما يحدثه فى الوزن من تقطيع بديع وبدلالته على براعة الشاعر وبلوغه من الفصاحة مبلغاً عظيماً ولذا قال عنه صاحب الطراز عند حديثه عنه وعن التفريق والجمع وهى قرناء ، متممة لبعضها (وهذه الثلاثة من عوارض البلاغة إذا وقعت فى الكلام بلغ مبلغاً عظيماً فى حسن التأليف وإعطاء الفصاحة حقها) (٢)

ومما لأبى الطيب منه فى شعره الحربى قوله :

ضاق الزمان ووجه الأرض عن مَلِكٍ * ملءِ الزمانِ وملءِ السهلِ والجبلِ

فنحنُ فى جَذَلٍ ، والرُّومُ فى وَجَلٍ * والبَرُّ فى شُغُلٍ ، والبَحْرُ فى خَجَلِ (٣)

---

(١) هذا تعريف البلاغيين وقد وجدت تعريفاً له للدكتور عبدالله الطيب رأيت أنه أشمل وأدق من تعريفات البلاغيين وهو قوله : (هو تجزئة الوزن إلى موقف أو موضع يسكت فيه اللسان ويستريح أثناء الأداء الإلقائى) المرشد إلى فهم أشعار العرب (٢/ ٦٩٦) .

(٢) الطراز (٣/ ١٤١) .

(٣) ديوانه (٣/ ٢٠٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

فذكر أربعة أشياء : هُمْ والروم والبر والبحر ، وأضاف إلى كل واحد منها ما يناسبه ، وقد أكسب هذا التقسيم البيت تقطيعاً موسيقياً زاد في حسنه .

ومثل البيتين السابقين قوله :

حتى أقام على أرباض خَرْشنة * تشقى به الروم والصلبانُ والبِيَعُ
للسبي ما نكحوا ، والقتل ما ولدوا * والنهبِ ما جمعوا والنارِ ما زرعوا (١)

فقد جمع في البيت الأول شقاء الروم بالممدوح على سبيل الإجمال حيث قال : تشقى به الروم ، ثم قَسَّمَ في الثاني وفصله .

وقال من القصيدة نفسها :

الدهرُ معتذرٌ والسيفُ منتظرٌ * وأرضهم لك مصطافٌ ومرتبعُ (٢)

ومن التقسيم — ما سماه الثعالبي بحسن سياقة الأعداد وعدَّه من محاسن أبي الطيب (٣) كقوله :

إن تلقه لا تلق إلا قسطلاً * أو جحفلاً أو طاعناً أو ضاربا
أو هارباً أو طالباً أو راغباً * أو راهباً أو هالكاً أو نادبا (٤)

وقوله :

إنما بدرٌ رزايا وعطايا * ومنايا وطعانٌ وضرابُ (٥)

وقوله :

ألا أيها السيف الذي ليس مغمداً * ولا فيه مرتابٌ ولا منه عاصمُ
هنيئاً لضربِ الهامِ والمجدِ والعلا * وراجيك والاسلامِ أنَّكَ سالمُ (٦)

(١ ، ٢) ديوانه (٢ / ٣٣٤ ، ٣٤٣) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٣) يتيمة الدهر (١ / ١٩٦) .

(٤) ديوانه (١ / ٢٥٤) من قصيدة يمدح بها علي بن منصور الحاجب .

(٥) ديوانه (١ / ٢٦١) من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار .

(٦) ديوانه (٤ / ١٠٨) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

فالتقسيم فى هذه الأبيات ظاهر إذ قسّم أبو الطيب الأبيات الثلاثة الأول إلى كلمات منصوبة أو ممدودة وجعلها مرصعة وقسم البيت الخامس إلى كلمات لكنها ليست مرصعة ، ومما يندرج تحت هذا مما ليس مرصعاً قوله :

وربّ جوابٍ عن كتاب بعثتَهُ * وعنوانه للناظرين قتامُ
حروف هجاءِ الناس فيه ثلاثةٌ * جوادٌ ورمحٌ ذابلٌ وحسامُ (١)

وقولـه :

فولوا بين ذى روح هفات * وذى رَمَقٍ وذى عقلٍ مُطاشِ (٢)

وقولـه :

فرسٌ سابقٌ ، ورمحٌ طويلٌ * ودِلاصٌ زغفٌ ، وسيفٌ صقيلُ (٣)

فالأبيات الثلاثة الأخيرة مقسّمة لكنها غير مرصعة ، لكن التقسيم فيها قد زاد موسيقى البيت حسناً .

ب ـ الطباق :

استخدم أبو الطيب الطباق وأكثر منه وقد جعله الدكتور طه حسين من عوامل جمال الشعر عنده فقال ـ حينما تحدث عن القوام الفنى لشعر المتنبى وأنه كامن فى خصلتين هما المطابقة والمبالغة ـ : (وأما الخصلة الأولى : فهى المطابقة التى يحبها المتنبى أشد الحب ، ويستخرج منها فنوناً من الجمال تؤثر فى العقل والذوق والحس جميعاً ، فتنشىء شيئاً من الموسيقى اليسرة الحلوة فى أكثر الأحيان) (٤)

---

(١) ديوانه (٤ / ١١٢) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٢) ديوانه (٢ / ٣١٨) من قصيدة يمدح بها أبا العشائر .
(٣) ديوانه (٣ / ٢٧٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٤) مع المتنبى (٥١)

ومن أمثلة الطباق في شعره الحربي قوله :

ولكنْ ربُّهم أسرى إليهم * فما نفع الوقوفُ ولا الذَّهابُ
ولا ليلٌ أجنَّ ولا نهارٌ * ولا خيلٌ حملنَ ولا رِكابُ
رميتَهُمُ ببحرٍ من حديدٍ * له في البَرِّ خلفَهُمُ عُبابُ
فمساهُمْ وبسطَهُمُ حريرٌ * وصبَّحَهُمْ وبسطَهُمُ الترابُ (١)

فإنه طابق بين الوقوف والذهاب ، والليل والنهار ، والبحر والبر ، والمساء والصباح والحرير والتراب .

وقوله :

فكان الغرب بحراً من مياهٍ * وكان الشرق بحراً من جياد
وقد مزقت ثوب البغي عنهم * وقد ألبستهم ثوب الرشاد
فلا تغررك ألسنةٌ موالٍ * تقلِّبهن أفئدةٌ أعادِي
وكن كالموتِ لا يرثي لباكٍ * بكى منه ، ويروى وهو صادي (٢)

فإنَّه طابق بين الغرب والشرق ، ومزق وألبس ، والبغي والرشاد وموالٍ وأعادي ، ويروى وصادي .

وقوله :

وتحيِي له المالَ الصوارمُ والقنا * ويقتلُ ما تحيي التبسُّمُ والجَدا
سريتَ إلى جيحان من أرضِ آمدٍ * ثلاثاً لقد أدناك ركضٌ وأبعدا
فولَّى وأعطاكَ ابنَهُ وجيوشَهُ * جميعاً ولم يعطِ الجميعَ ليُحْمَدا
فلو كان ينجي من علي تَرَهُّبٌ * ترهبتِ الأملاكُ مثنى ومَوْحِدا
وكل امرئٍ في الشرقِ والغربِ بعدَها * يُعِدُّ له ثوباً من الشَّعْرِ أسودا (٣)

---

(١) ديوانه (١/ ٢١٣) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢) ديوانه (٢/ ٨١ — ٨٣) .

(٣) ديوانه (٢/ ٤ — ٧) .

فإنه طابق بين تحيي ويقتل ، وأدنى وأبعدا ، وأعطى ولم يعط ومثنى وموّحدا ، والشرق والغرب .

جـ ـ الجناس :

استخدم أبو الطيب المتنبي الجناس كثيراً (والذى يقرأ أوصاف المتنبي للحروب لا يمكن أن يخفى عنه قصد هذا الشاعر إلى إظهار جلبة القتال ، وهدير الألفاظ ذات الحروف المتشابهة في غير النسق الجناسيّ التقليديّ المألوف)(١) أي أنه لم يكن يحرص على الجناس التامّ كثيراً .

والتجنيس إذا لم يكن متكلّفاً فإنه يحدث موسيقى عذبة ناجمةٍ عن تكرار حروف الكلمات ومن ذلك قوله من قصيدته اللاّميّة التى مدح بها سيف الدولة

لقيتُ بدرب القلة الفجرَ لقيةً * شَفَتْ كَمَدى والليلُ فيه قَتيلُ

رمى الدرب بالجرد الجياد إلى العدا * وما علموا أن السهام خيولُ

شوائلُ تشوالُ العقارب بالقَنَا * لها مرحٌ من تحته وصَهيلُ

هُمامٌ إذا ما هَمَّ أمضى هُمومَهُ * بأرعَنَ وطءُ الموتِ فيه ثَقيلُ

على طُرُقٍ فيها على الطُرُق رفعةٌ * وفى ذكرها عند الأنيس خُمُولُ

وعادت فظنُّوها بمَوْزارَ قُفّلاً * وليس لها إلا الدخولَ قُفُولُ

فخاضت نجيعَ الجمع خوضاً كأنّهُ * بكُلِّ نجيعٍ لم تَخُضْهُ كَفيلُ

وكَرّتْ فمَرّتْ فى دِماءِ مَلَطْيَةٍ * مَلَطْيَةُ أمٌّ للبنينَ ثَكُولُ

طَلعنَ عليهم طلعةً يعرفونَها * لها غرَرٌ ما تنقضِى وحُجُولُ

ودونَ سُمَيْسَاطَ المطاميرُ والمَلا * وأوديةٌ مجهولةٌ وهُجُولُ

فإن تكن الأيامُ أبصرنَ صولَهُ * فقد عَلَّمَ الأيامَ كيفَ تَصُولُ(٢)

---

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها د / عبد الله الطيب (٣/٦١٩)

(٢) ديوانه (٣/٢١٧ـ٢٢٩)

وهكذا بعض الأبيات الباقية من القصيدة فان الجناس ظاهر في كل بيت مما ذكرت آنفا ، فقد جانس في البيت الأول بين لقيتُ – قلة – لقية – قتيل . وفي الثاني بين الجرد والجياد . وفي الثالث بين شوائلُ تشوال . وفي الرابع بين همام وماهم وهمومه . وفي الخامس بين طُرُق وطُرّق . وفي السادس بين قُلّلاً وقُفُول . وفي السابع بين خاضت وخوضا وتخضه . وفي الثامن كرّت ومرّت . وفي التاسع بين طَلَعْنَ وطلْعَةً . وفي العاشر بين مجهولة وهُجُول . وفي الحادى عشر بين صَوْلةَ وتَصُولُ.

وكمثال للقصائد التى يكثر فيها أبو الطيب من الصنعة وبخاصة الطباق والجناس والتقسيم والترديد قوله :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارمُ
وتعظم فى عين الصغيرِ صغارُها * وتصغر فى عين العظيمِ العظائمُ

فقد جانس بين العزم والعزائم وبين الكرام والمكارم وكرر تأتى على قدر مع تأخير تأتى فى الشطر الأول عن قوله (على قدر).

وجانس بين (الصغير وصغارها) وبين العظيم والعظائم)وطابق بين (تعظم وتصغر) وكرّرَ (فى عين) فى الشطرين .

يفدى أتمّ الطير عمراً سلاحَهُ * نسورُ الملا أحداثُها والقشاعِمُ
وما ضرّها خَلْقٌ بغير مخالبِ * وقد خُلقَتْ أسيافه والقوائمُ

فقد طابق بين (أحداثها والقشاعم) وجانس بين (خَلْق وخُلقَتْ)

سقتها الغمام الغر قبل نزوله * فلما دنا منها سقتها الجماجمُ
بناها فأعلى والقنا تقرع القنا * وموجُ المنايا حولَها متلاطمْ

فقد ردد (سقتها فى الشطرين) وكذا (القنا) فى البيت الثانى

رددها في الشطر الأول منه،كما يلحظ اتفاقُ أواخر الكلمات الأربع الأول من الشطر الثاني في البيت الأول ، اتفاقها بألف : فلما ، دنا ، منها ، سقتها ، ومثله أواخر كلمات البيت الثاني ماعدا ثلاث كلمات وهي : تقرع وموج ومتلاطم ، وأما ما عداها فمتفق في آخره : بناها ،فأعلى، والقنا (مكرر) ، المنايا ، حولها .

تُفِيتُ الليالِي كلَّ شيءٍ أخذنَهُ * وهُنَّ لما يأخذنَ منك غوارِمُ

فقد جانس بين أخذنه ويأخذنه .

وقد حاكموها والمنايا حواكِمٌ * فما مات مظلومٌ وما عاشَ ظالِمُ

فقد جانس بين (حاكموها وحواكم) وبين (مظلوم وظالم) وطابق بين (مات وعاش) .

إذا برقوا لم تُعْرَفِ البِيْضُ منهم * ثيابُهُمُ من مثلها والعَمائِمُ
خميسٌ بشرق الأرض والغرب زحفُهُ * وفي أذن الجوزاء منه زمازِمُ

ففي البيت الأول يلحظ الإشباعُ في (منهم)(ثيابهم) (عمائم) وكذا تكراره حرفي الميم والهاء في البيت ، وما يحدث ذلك من موسيقى جميلةَ حين اشباع الأحرف أو تكرارها .

وقد طابقَ بين (شرق وغرب) في البيت الثاني .

فلله وقتٌ ذوَّبَ الغشَّ نارُهُ * فلم يبقَ إلا صارمٌ أو ضُبَارِمُ
تقطَّعَ مالا يَقْطَعُ الدِّرْعَ والقنا * وفرَّ من الأبطالِ من لا يُصَادِمُ
وقفتَ ومافي الموت شكٌّ لواقفٍ * كأنَّك في جفنِ الرَّدَىٰ وهو نائِمُ

فقد جانس بين (صارم ، ضبارم) و (تقطع ويقطع) وبين (وقفت وواقف) :

تجاوزت مقدار الشجاعة والنُّهَى * إلى قولِ قومٍ أنتَ بالغيب عالِمُ
ضممتَ جناحَيْهِمْ على القلبِ ضَمَّةً * تموت الخوافى تحتَهَا والقوادِمُ
بضربٍ أتى الهاماتِ والنَّصْرُ غائِبٌ * وصارَ إلى اللبَّات والنصرُ قادِمُ (١)

فقد جانس بين (قول وقوم) و (ضممت وضمة) وطابق بين (الخوافى والقوادم) و (غائب وقادم).

ومما سبق من حديث عن القيم الصوتية يتبين لنا أن أبا الطيب المتنبى أعطى هذا الجانب حقَّه فى شعره ، وأبرزه بروزًا بَيِّنًا من خلال حرصه على اختيار البحور الطوال لتناسب مقام الحماسِ الحربى ، والفخر بالشجاعة والفروسية ، وكذا اكثاره من القوافى الذُّلُل كاللام والميم والدال والباء ، وكون أكثرِ قوافيه مطلقةً لتناسِبَ حالته النفسية ، كما قدمنا آنفاً (٢).

ومن حرصه على الموسيقى الشعرية فى قصائده حرصه على الترديد والتناظر والطباق والجناس والتقسيم لما فى ذلك من موسيقى عذبة يضفيها كل واحد من هذه على البيت والقصيدة معا .

---

(١) ديوانه (٤/ ٩٤ - ١٠٣) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢) ص (٥٧٧) من الرسالة .

٤ ـ شعر الحرب والبناء الفني للقصيدة عند المتنبي :

سنعرض للحديث عن بناء القصيدة الحربية عند المتنبي في ثلاث نقاط ، تعدُّ هي الهيكلَ لكل قصيدة وهي :

أ ـ الافتتاح والمقدمة . ب ـ العَرْضُ . جـ ـ الخاتمة

أ ـ الافتتاح والمقدمة :

فأما افتتاح قصائد المتنبي الحربية فعلى الإجمال عرف عن المتنبي حسن افتتاح قصائده وجودة ابتداءاته وسنبيِّنُ هنا شيئين هما : جودة ابتداءاته أو إساءته فيها ، ونوعية مقدماته أهي تقليديَّةٌ أمْ فيها تجديدٌ .

فأما الجودة فإنها في غالب أحواله ـ كما تقدم ـ جيدة ، فقد قال عنه ابن الأثير (وأما أبو الطيب فإنه أكثرُ منَ الابتداءات الحسنة في شعره) .(١)

ومن أمثلة ابتداءاته الجيدة قوله :

على قدرِ أهل العزم تأتي العزائم * وتأتي على قدر الكرام المكارم (٢)

وقولـــه :

أتراها لكثرة العشـــاق * تحسبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً في المآقي (٣)

وقولـــه :

الرأيُ قبلَ شجاعةِ الشُّجْعَانِ * هو أولٌ ، وهي المحلُّ الثاني (٤)

وقولـــه :

عقبى اليمينِ على عقبى الوغى ندمُ * ماذا يزيدُكَ في إقدامِكَ القَسَمُ (٥)

---

(١) المثل السائر (٣ / ١٢٦) .
(٢) ديوانه (٤ / ٩٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٣) ديوانه (٣ / ١٠١) من قصيدة يمدح بها أبا العشائر .
(٤) ديوانه (٤ / ٣٠٧) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٥) ديوانه (٤ / ١٢٩) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

وقولـــــه :

أعلى الممالِكِ ما يبنى على الأَسَلِ * والطَّعْنُ عِنْدَ محبّيهنّ كالقُبَلِ (١)

وهذه الجودة لا تعنى عدم وجود بعض المطالع التى قد أساء فيها فقد نَعَى عليه بعض النقاد عدداً من المطالع ، ذكر القاضى الجرجانى بعضا منها فى وساطته ، وبدا حين ذِكْرِها كالمسلِّم لهم بذلك ، ولم يردّه إلا بحجّتين أنه إن غلط فى ذلك وأساء فقد أساء غيره من الشعراء والأخرى أن ما أحسن فيه يَغْفِرُ له ما أساء فيه . (٢)

ومن هذه المطالع فى شعره الحربى قوله :

أحادٌ أم سداسٌ فى أحادِ * لييلتنا المنوطةُ بالتنادى (٣)

وقولـــــه :

ملثَّ القطر أعطشها ربوعا * وإلا فاسقها السمَّ النقيعا (٤)

وقولـــــه :

اثلث فإنا أيها الطلَلُ * نبكى وترزم تحتنا الإبلُ (٥)

وقولـــــه :

بقائى شاء ليس هموا ارتحالا * وحُسْنَ الصَّبْرِ زمُّوا لا الرِّحَالا (٦)

---

(١) ديوانه (٣/١٦٣) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢) الوساطه (١٥٥-١٥٦) وحجته الأولى ذكرها عند دفاعه عنه أول مرة فى باب أغاليط الشعراء . انظر (ص ٤ و ١٠) .

(٣) ديوانه (٢/٧٤) من قصيدة يمدح بها على بن إبراهيم التنوخى .

(٤) ديوانه (٢/٣٥٧) من قصيدة يمدح بها على بن ابراهيم التنوخى .

(٥) ديوانه (٤/١٥) من قصيدة يمدح بها عضد الدولة .

(٦) ديوانه (٣/٣٣٧) من قصيد يمدح بها بدر بن عمار .

وقولـــــه :

وفاؤكما كالربعِ أشجاه طاسمه * بأن تسعدا والدمعُ أشفاهُ ساجمُه (١)

وقولـــــه :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا * وحسب المنايا أن يكنّ أمانيـــا (٢)

هذا وقد لفتت هذه الظاهرة ابن رشيق فقال بعد حديثه عـــن جودة مبادئه وخروجه وتخلصه (... إلا أنه ربما عقد الأشعار ثقةً بنفسهِ وإغراباً على الناس كقوله أول قصيدة :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسِمُهُ * ... البيت

فإن هذا يحتاج الأصمعيّ إلى أن يفسر معناه) (٣)

وقد يكون هذا القول مقارباً للحقيقة وله صلة كبيرة بنفسية الشاعر ، لأننا لو تتبعنا الفترة التي قيلت فيها هذه القصائد لرأيناها من أقســـى الفترات على نفسيته وأشدها ارتفاعاً لأزماته النفسية فعقّدها لتعقد نفسيته فقصيدتاه :

١ ــ أحاد أم سداس في أحاد * ... البيت

٢ ــ ملث القطر أعطشها ربوعا * ... البيت

قصيدتان قالهما قبل اتصاله بسيف الدولة وبعد سجنه وعلى أثـــر مضايقات أمراء الشام له وقصيدته :

وفاؤكما كالربع اشجاه طاسمه * ... البيت

---

(١) ديوانه (٤ / ٤٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢) ديوانه (٤ / ٤١٧) من قصيدة يمدح بها كافورا الأخشيدي .

(٣) العمدة (١٦٦) .

قالها في سيف الدولة ، ولكنها تَنِمُّ عن اضطرام هموم متكالبة عليه وأبياتها تصرح بذلك ومن ذلك قوله :

وقد يتزيّا بالهوى غيرُ أهله * ويستصحبُ الانسانُ من لا يلائمُهْ

بليت بلى الأطلال إن لم أقفْ بها * وقوفَ شحيحٍ ضاعَ في التُّربِ خاتَمُهْ

وأما المقدمات فقصائده على فئتين : فئةٌ لها مقدماتٌ وهي على نوعين : نوع تجديدي وهي القصائد التي قدّم لها بمقدمات حكمية أوشكوى من الدهر ، وليس فيها غموض أو إغراب ومن ذلك قصائده :

١ـ أعلى الممالك ما يبنى على الأسل * والطعن عند محبيهن كالقبلِ

٢ ـ على قدر أهل العزم تأتي العزائم * وتأتي على قدر الكرام المكارم

٣ـ غيري بأكثر هذا الناس ينخدع * إن قاتلوا جبنوا أوحدثوا شجعوا (١)

والنوع الآخر وهي القصائد التي قدّم لها بمقدمات طللية أو غزلية ، ومن ذلك قصائده :

١ـ فديناك من ربع وإن زدتنا كربا * فإنك كنتَ الشرقَ للشمسِ والغَرْبا (٢)

فقد قدم لهذه القصيدة بمقدمة طللية ثم غزلية مقدارها أحد عشر بيتاً .

٢ ـ دمع جرى فقضى في الرَّبْعِ ماوجبا * لأهله وشفى أنَّى ولا كَرَبَا (٣)

فقد قدّم لها بمقدمةٍ طلليّةٍ وغزليّةٍ بأحد عشرَ بيتاً أيضا .

٣ ـ بأبي الشموسِ الجانحاتِ غواربا * اللابساتِ من الحريرِ جَلابِبَا (٤)

---

(١) ديوانه (٢ / ٣٣٠) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢) ديوانه (١ / ١٨٢) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٣) ديوانه (١ / ٢٢٧) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٤) ديوانه (١ / ٢٥٠) .

فقد قدم لها بمقدمة غزلية فيها شكى آلام الفراق باثني عشر بيتا .

ويهمنا هنا أن نعلم أن الغزل في شعر المتنبي لم يكن في فتياتٍ معيّنَاتٍ ولهذا لم تكن عاطفة الشوق فيه مضطرمةً شديدةً ، وإنما جاء بهذا الغرض لهدفين :

إما تقليداً محضاً وهذا ينطبق على أكثر غزله القديم والذى جاء في قصائدَ ليست حربيَّة وهذا لا يهمنا الحديث عنه .

وإما أنه يرمز به إلى عاطفته الحقيقية التي تصور الجوَّ النفسيّ للغرض الأصلي من القصيدةَ ، وهذا يتمثل في أكثر قصائده الحربية وخاصة السيفياتُ منها ، وقد لحظ هذا عدد من النقاد ، منهم الدكتور طه حسين عند تحليله لقصيدة المتنبي التي مطلعها :

لياليّ بعد الظاعنين شكول * طوالٌ وليلُ العاشقين طويلُ

فإنه أشار إلى أنّ تقديم المتنبي لهذه القصيدة بالنسيب يرمز إلى (حزن دفينٍ يصدرُ أحياناً عن نفس الشاعر التي لم تدرك من آمالها شيئاً أو لم تكد تدرك منها شيئاً ، ويصدر أحيانا أخرى عن حال هذه الأمة الاسلامية التي تُبْلى فتحسن البلاء وتجاهد فتحسن الجهاد ، ولكنّها حيث هي لا تتقدم خطوةً ، ولعلّها تتأخر خطوات ...)(١)

كما لحظ ذلك الدكتور طه أبو كريشه عند حديثه عن الخيال الشعرى في غزل أبي الطيب ، فقد ألح على إبراز هذه الظاهرة ، ولها شواهد عديدة ، ومما قاله عند حديثه عن الرمز بالموقف الغزلي إلى الجو النفسي الذى كان وراء الغرض الأصلي للقصيدة : (فإن المتنبي بهذا الصنيع

---

(١) مع المتنبي (٢٣٨) .

والأميون إنما وصف إحساسه حين مرَّ بهذه الأطلال .(١)

هذا وعدد القصائد التي قدم لها بمقدمات غزلية ثلاث وثلاثون قصيدة من شعره الحربي .

والفئه الأخرى هي التي ليس لها مقدمات وإنما يهجم بها على الغرض مباشرة وهذا تجديد بحدّ ذاته وخروج عن المألوف في قصائد المدح ، ومن قصائده التي جاءت على هذا النمط :

١ـ ذى المعالى فليعلُوَنْ من تعالى * هكذا هكذا وإلا فـلالا(٢)

٢ـ عقبى اليمين على عقبى الوغى ندمُ * ماذا يزيدُكَ في إقدامك القسم(٣)

٣ـ أراع كذا كُلَّ الملوم همامُ * وسَحَّ له رسل الملوك غمام(٤)

٤ـ نزورُ دياراً ما نُحِبُّ لها مغنى * ونسألُ فيها غير ساكنها الإِذْنا(٥)

وعموما فهذه القصائد التي ليس لها مقدمات أَوْلَهَا مقدمات تجديدية ليست بغزلية أو طللية أكثر ما تتمثل في مقدمات سيفياته .

ب ـ العَرْض :

نهج المتنبي على ما نهج عليه أسلافه من شعراء العربية في كون القصيدة خليط فنون إلا في مرحلة مدحه لسيف الدولة ، وهذا ينطبق على كل قصائده التي قدم لها بمقدمات غزلية أو طللية أو مقدمات تجديدية ـ كما أسلفنا ذكره ـ وهذا ما ينفي وجود الوحدة العضوية بين أبيات القصيدة كلها ، وأن تكون القصيدة كُلّاً متكاملاً وهذا لا يعني عدم وجود هذه الوحدة بين كل فكرة على حدة .

---

(١) انظر المرجع السابق (٢٢)

(٢) ديوانه (٣ / ٢٥٤) من قصيدة مدح بها سيف الدولة .

(٣) ديوانه (٤ / ١٢٩) من قصيدة مدح بها سيف الدولة .

(٤) ديوانه (٤ / ١٠٩) من قصيدة مدح بها سيف الدولة .

(٥) ديوانه (٤ / ٢٩٩) من قصيدة مدح بها سيف الدولة .

أما في مرحلة مدحه لسيف الدولة فإنه جاء في أكثر الأحايين بقصائد ذات فن واحد هو المدح بأفعاله الحربية وإبراز شجاعته ، وأخلاقه ووصف حروبه ، وهي في الواقع متقاربة الهدف ، بيد أن المتنبي وهو في هذا الجو المفعم بالنشوة ، كثيراً ما يلتفت في هذه القصائد إلى نفسه محاولاً إبراز صفاته الخُلُقية والشاعرية ، مفتخراً بذلك على سائر الشعراء ، ومرغِّباً لسيف الدولة فيه ، وحاثّاً له على اصطفائِه ، وهذا ما قد يكون سبباً في عدم اكتمال الوحدة العضوية لديه ، ومن هذه القصائد :

١ ـ أعلى الممالك ما يبنى على الأسل * والطعن عند محبيهن كالقبل

فان هذه القصيدة كُلّ متكامل لولا ما صرح به من ثناء على شعره في بيتين في الثلث الأخير من القصيدة وقبل الختام وهما :

إذا خلعتُ على عرض له حُلَلاً * وجدتُها منه في أبهى من الحُلَلِ

بذي الغباوةِ من إنشادِهَا ضررٌ * كما تَضُرُّ رياحُ الوَرْدِ بالجُعَلِ

٢ ـ دروعٌ لِمَلْكِ الرومِ هذي الرسائلُ * يردُّ بها عن نفسِهِ ويُشَاغِلُ (١)

فإنه قد أتى في منتصف هذه القصيدة بثمانية أبيات فيها ثناءٌ على شاعريته ، واحتقارٌ لسائر الشعراء ، وحثّ لسيف الدولة على التمسك به ومنها قوله :

أَذَا الجودِ أعطِ الناسَ ما أنتَ مالكٌ * ولا تعطين الناس ما أنا قائل

أفي كُلِّ يومٍ تحت ضِبْني شويعرٌ * ضعيفٌ يقاويني قصيرٌ يطاولُ

لساني بنطقي صامتٌ عنه عادل * وقلبي بصمتي ضاحكٌ منه هازلُ

وأتعبُ من ناداك من لا تجيبُهُ * وأغيظُ من عاداك من لا تشاكِلُ

وما التيهِ طِبِّي فيهمُ غيرَ أنَّنِي * بغيضٌ إليَّ الجاهِلُ المتجاهِلُ (٢)

---

(١) ديوانه (٣/١٦٧-١٦٨).
(٢) ديوانه (٣/٢٣٦-٢٣٧).

٣ــ غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع * إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجُعوا

فإنه جاء قبل أبيات من آخرها بثلاثة أبيات فيها تعريضٌ بشاعرية غيره ، وافتخارٌ بشاعريته .

ومن القصائد الحربية التى قصرها المتنبى على مدح سيف الدولة ووصف حروبه ولم يشبها بأىّ حديث عن نفسه ــ مما جعلها أكثر تماسكاً قوله :

١ــ لهذا اليوم بعد غدٍ أَرِيْجُ * ونارٌ فى العدوّ لها أَجِيْجُ (١)

٢ــ ذى المعالى فليعلون من تعالى * هكذا هكذا وإلا فلا لا (٢)

٣ــ أراع كذا كُلَّ الملوكِ هُمَامُ * وَسَحّ له رُسْلُ الملوكِ غَمَامُ (٣)

٤ــ نزورُ دياراً ما نُحِبُّ لها مغنى * ونسألُ فيها غيرَساكِنِهَا الأُذْنَا (٤)

وهناك ملاحظه وهى أن هذه القصائد قصيرةُ النَّفَسِ فالأولى (١٢) بيتاً ، والثالثة (٣١) بيتاً ، والرابعة (١٥ بيتاً ، ولم يشذ سوى الثانية (٤٥) بيتاً .

ولما كانت غالب قصائده ذواتُ مقدمات سواء أكانت تقليدية أوتجديدية فإننا بحاجة إلى معرفة مدى إحسانه التخلصَ وربطِهِ الموضوعاتِ بعضَها فى بعض .

ولو استعرضنا آراء النقاد فى تَخَلُّصِ المتنبى عامّةً لرأينا القاضى الجرجانى يقول : (فأما أبو تمام والمتنبى فقد ذهبا فى التخلُّصِ كُلَّ مذهبٍ، واهتمّا بهِ كلَّ اهتمامٍ ، واتفق للمتنبى فيه خاصة ما بلغ المراد وأحسن وزاد) (٥)

---

(١) ديوانه (٣٥٩/١) .

(٢) ديوانه (٢٥٤/٣) .

(٣) ديوانه (١٠٩/٤) .

(٤) ديوانه (٢٩٩/٤) .

(٥) الوساطة (٤٨) .

وقال ابن رشيق (وأكثر الناس استعمالاً لهذا الفن أبو الطيب ، فإنه ما يكاد يفلت له،ولا يشذّ عنه حتى ربما قبح سقوطه فيه) (١) .

ومن أمثلة حسن تخلصه فى قصائده الحربية قوله :

خليليّ إنى لا أرَى غير شاعر * فَلِمْ منهُمُ الدعوى ومنى القصائـدُ
فلا تعجبا إن السيوف كثيرةٌ * ولكنّ سيفَ الدولة اليوم واحدُ (٢)

قال البرقوقى (فى هذا البيت من البديع حسنُ التخلص ، يقول إنه فى الشعراء كسيف الدولة فى السيوف ، فكلٌ منهما منقطع النظير ، وإنّ كان له أشباه ونظائر فى التسمية) (٣)

وقال ابن الأثير :(ألا ترى إلى الخروج إلى مدح الممدوح فى هذه الأبيات ، كأنه أفرغ فى قالب واحد ، ثم إن أبا الطيب جمع بين مدح نفسه ومدح سيف الدولة ببيت واحد من بدائعه المشهورة) (٤) .

وقولـه :

نودعهم والبينُ فينا كأنـه * قنا ابن أبىِ الهيجاء فى قلبِ فيلق (٥)

هذا ومع ماله من تخلصات حسنةٍ معجِبَة إلا أن له تخلصاتٌ أغـرب فيها وأساء،فقبحت ولم تنل الرضا ، وقد لحظ ذلك خصومه فعابوها عليه ، ولم يجد الجرجانى من الدفاع عنه من أجلها سوى قوله :

(فهى وإن لم تكن حسنة مختارة ، فليست من المستهجن القبيح) (٦)

---

(١) العمدة (١٦٣) .
(٢) ديوانه (١ / ٣٩٤) .
(٣) ديوانه (١ / ٣٩٤) .حاشية (٤) .
(٤) المثل السائر (٣ / ١٥٠)
(٥) ديوانه (٣ / ٥٢) .
(٦) ديوانه (٣ / ٥٢) حاشيـة (٣) والوساطة (١٥٣) .

وقال ابن رشيق : (ويقع له في الخروج ما كان تركه أولى بـه ، وأشعرُ له ، وإنما أدخله فيه حُبّ الإغراب في باب التوليد ، حتى جاء بالغثّ البارد والمستشنع المتكلفِ)(١)

ومما ورد له من ذلك في قصائده الحربية ، قوله مخاطباً محبوبته :

أُحِبُّك أو يقولوا جرَّ نمـــلٌ * ثَبِيرًا وابن إبراهيم رِيعـــا (٢)

فقد تخلص من الغزل إلى مدح علي بن إبراهيم بالشجاعة .

هذا وقد عيب عليه بعض التخلصات : ليس لقبح بنائها وإنما لقبح معناها ، من مثل قوله في مدح سعيدِ بن عبد الله الكلابي مخاطباً محبوبته :

ها فانظري أو فظني بي ترى حُرَقاً * من لم يذق طرفاً منها فقـــد وألا

علَّ الأمير يرى ذُلي فيشفعَ لـي * إلى التي تركتني في الهوى مثـلا

أيقنتُ أن سعيداً طالبٌ بدمي * لما بَصُرْتُ به بالرمح معتقـــلا (٣)

قال ابن رشيق ، فقد تمنى أن يكون له الأمير قواداً . . .

وأبو الطيب قال يشفع والشفاعة رغبة وسؤال ثم أتبع بيته بما هو مقوٍّ لمعنـــاه في القِيَادة فقال :

أيقنت أن سعيدا . . . * . . . البيت

فدل على أنه يشفع فإن أجيب إلى مساعدة أبي الطيب فذاك وإلا رجع إلى القَهر) .(٤)

---

(١) العمدة (١٦٦)

(٢) ديوانه (٢ / ٣٦٠) .

(٣) ديوانه (٣ / ٢٨٤ — ٢٨٥) .

(٤) العمدة (١٦٣ — ١٦٤) .

ت ـ الخاتمـــة :

وأما الخاتمة فهى (قاعدةُ القصيدةِ ، وآخرُ ما يبقى منها فـــى الأسماع ، وسبيلُه أن يكون محكماً لا تمكن الزيادةُ عليه ، ولا يأتى بعـده أحسنُ منه ، وإذا كان أولُ الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه) (١)

ولو تتبعنا شعر المتنبى الحربى ونظرنا فيه من حيث حسنُ الخاتمة وقبحُها ، لاتضح لنا أن هذه القصائد على ضربين :

الضرب الأول : قصائدُ ذاتُ خاتمةٍ لا تشعرنا بنهاية القصيدة وإنما نعلم بالنهاية لانقطاع الأبيات ، وهذا من أسوأ النهايات ، وإن كـان هو منهجُ بعض العرب السابقين كما أشار إلى ذلك ابن رشيق حين قال :

(ومن العرب من يختم القصيدةَ فيقطعُها والنَّفْسُ بها متعلقة وفيها راغبة مشتهية ، ويبقى الكلام مبتوراً كأنه لم يَتَعَمَّد جعله خاتمة كل ذلك رغبة فـى أخذ العفو وإسقاط الكلفة) (٢) ومن أمثلة ذلك من شعر الحرب عند المتنبى قوله من قصيدة مدح بها سيف الدولة :

كأن نجوم الليل خافت مُغَـارَه * فمدت عليها من عجاجته حُجُبَـــا
فمن كان يُرْضِى اللؤمَ والكفرَ ملكَهُ * فهذا الذى يُرْضِى المكارم والرّبا (٣)

فوقف على هذا البيت دون أن تشعر بنهاية القصيدة ومثله قولـــه من قصيدة مدح بها أبا أيوب أحمد بن عمران :

فاليومَ صرتُ إلى الذى لو أنـه * مَلَكَ البرية لاستقل هِباتِهـــا
مسترخَصٌ نظر إليه بما بـــه * نظرت ، وعثرةُ رجلِهِ بدياتها (٤)

---

(١) العمدة (١٦٦) .
(٢) العمدة (١٦٧) .
(٣) ديوانه (١/١٩٥) .
(٤) ديوانه (١/٣٥٨) .

هذا وأكثر هذه النهايات مدح ، فإن كان متصلاً بمدح قبلـــه جاءت الخاتمة باردةً ، ولذا حسن ما جاء منه منفصلاً عن سابقه بغرض آخر لأن الشاعر بعوده إليه يشعرنا بنهاية القصيدة ولكنّها نهايةٌ ليست قاطعةً لرغبات النفوس ، وهذا منهج أكثر المدّاح ، ومما جاء للمتنبي من تلـك النهايات التي ختمت بمدح فَصَلَ بينه وبين المدح في أول القصيدة غـرض آخر كحديثه عن نفسه أو افتخاره بشاعريته ـ قوله من قصيدة يمدح بهـا سيف الدولة :

تَرَكْتُ السُّرَى خلفي لمن قَلَّ مالُهُ * وأنعلتُ أفراسي بنعماكَ عسجدا
وقَيَّدْتُ نفسي في ذَرَاك محبــة * ومن وجد الإحسان قيداً تقيَّــدا
إذا سأل الانسانُ أيامَهُ الغِنَى * وكنتَ على بُعْدٍ جعلناك مَوعِدا (١)

فإنه بعد الافتخار بشاعريته عاد إلى مدحه بالكرم وأنه مرجوٌّ كـلّ يأملُهُ .

وقوله في نهاية قصيدة مدح بها سيف الدولة :

إذا سعت الأعداء في كيد مجده * سعى جده في كيدهم سعي مُحْنِقِ
وما ينصر الفضلُ المبينُ على العدا * إذا لم يكن فضل السعيد الموفقِ (٢)

فإنه جاء بها مع بيتين آخرين عوداً على مدحٍ سابق بعد أن فَصَلَه بالفخر بشاعريته .

الضرب الثاني :

قصائد أشعرنا بنهايتها ، بأبيات لا تتجاوز أربعة ، وتعد هـذه الخاتمات أجمل خاتمات قصائده الحربية ، وهي على صورتين :

---

(١) ديوانه (٤/ ١٥) .

(٢) ديوانه (٣/ ٥٩) .

أولهما : قصائد ختمها بدعاء أو حكمة أو إشعار برحيل ، ومن ذلك ختمُ قصيدة مدح بها عليّ بن سيار التميمي :

فلا زالت ديارُك مشرقاتٍ * ولا دانيتَ ياشمسَ الغروبا
لأصبح آمنا فيك الرزايا * كما أنا آمنٌ فيك العيوبا (١)

فإنه ختمها بدعاء له.

وقوله من قصيدة مدح بها سيف الدولة :

وما فى سطوة الأرباب عيب * ولا فى ذِلةِ العبدانِ عارُ (٢)

فإنه ختمها بحكمة .

ومثله قوله فى ختام قصيدة مدح بها سيف الدولة :

وما حَمِدْتُكَ فى هول ثبتَ له * حتى بلوتُك والأبطالُ تمتَصِعُ
فقد يُظَنُّ شجاعاً من به خَرَق * وقد يظن جباناً من به زَمَعُ
إن السلاح جميعُ الناس تحمِلُهُ * وليس كُلُّ ذواتِ المِخْلَب السَّبُعُ (٣)

فقد ختمها بحكمة رائعة .

وقوله مخاطباً على بن منصور الحاجب :

خذ من ثَنَاىَ عليك ما أسطيعه * لا تُلْزِمَنّى فى الثناءِ الواجبا
فلقد دهشت لما فعلتَ ودونه * ما يدهش الملكَ الحفيظَ الكاتبا (٤)

فقد ختمها باعتذار عن التقصير فى المدح .

---

(١) ديوانه (١/٢٧٢) .
(٢) ديوانه (٢/٢١٦) .
(٣) ديوانه (٢/٣٤٣) .
(٤) ديوانه (١/٢٦٠) .

هذا وللنقاد اعتراض على أن يختم الشاعر قصيدته بدعاء ، قال ابن رشيق : (وقد كره الحذاق من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء لأنه من عمل أهلِ الضَّعْفِ إلا للملوك فإنهم يشتهون ذلك ... مالم يكن من جنسِ قول أبي الطيب يذكر الخيل لسيف الدولة :

فلا هَجَمْتَ بها إلا على ظفر * ولا وصلت بها إلا إلى أمل (١)

...) (٢) فقد عاب عليه تقدم لا النافية ثم مجيء الاستثناء بعدها ، فقبل سماع الاستثناء قد صدمت أذن الممدوح بالدعاء عليه لا له .

والأخرى أن يختم القصيدة في الافتخار بشاعريته وقصيده ، وقد تكرر ذلك منه في عشر قصائد حربية منها قوله :

فشرّق حتى ليس للشرق مشرق * وغرّب حتى ليس للغرب مغرب

إذا قلته لم يمتنع من وصوله * جدارٌ معلّىً أو خباءٌ مُطَنَّب (٣)

وقوله :

كثر الفكر كيف نهدى كما اهدت إلى ربها الرئيسَ عبادُهْ

والذى عندنا من المال والخيل فمنه هباته وقيادُهْ

فبعثنا بأربعين مهاراً * كل مُهْرٍ ميدانُهُ إنشادُهْ

عَدَدٌ عشته يرى الجسمُ منه * أرباً لا يراه فيما يزاده

فارتبطها فإن قلبا نماها * مَرْبِطٌ تسبق الجيادَ جيادُهْ (٤)

---

(١) ديوانه (٣/ ١٧٠) .

(٢) العمدة (١٦٧) .

(٣) ديوانه (١/ ٣١٠) .

(٤) ديوانه (٢/ ١٥٧ — ١٥٨) من قصيدة يمدح بها أبا الفضل ابن العميد .

وقولــــه :

بأى لفظ تقول الشعر زِعنِفــةٌ * تجوز عندك لا عُرْبٌ ولا عَجَـــمُ

هذا عتابُكَ إلا أنَّه مِقَــــةٌ * قد ضُمِّنَ الدُرَّ إلا أنَّه كَلِـــمُ (١)

وبهذا نأتى إلى ختام الحديث عن بناء القصيدة الحربية لـــدى أبى الطيب ، وقد قال عن هذا البناء عنده ابن رشيق مفضلاً إياه علـــى سائر الشعراء : (وقد أربى أبو الطيب على كل شاعر فى جودةِ فُصُـــول هذا الباب الثلاثة) (٢) يعنى المبدأ والخروج والنهاية .

---

(١) ديوانه (٤ / ٩٠) .

(٢) العمدة (١٦٦) .

ثانياً : الخصائص الفنية من حيث المضمون

سنتبين هذه الخصائص من خلال دراستنا لما يأتي :

١ ـ التجربة الشعرية .   ٢ ـ العاطفة .   ٣ ـ الأفكار .

١ ـ التجربة الشعرية :

سبق الحديث عن تعريف التجربة الشعرية عند حديثنا عنها لدى البحترى ، وعرفنا أن من أقسامها أن تكون شخصية أو اجتماعية أو تأريخية أو خيالية .(١)

وبالنظر إلى شعر المتنبى الحربى نجد أنه ينبع من تجربتين : شخصية واجتماعية .

التجربة الشخصية وهى ما عبر فيها عن خوالجه النفسية الكئيبة التى مُنِيت بكثير من الصدمات والمشكلات وهى التى عبر فيها المتنبى عن (فلسفته الخاصة حيال مشاكل الوجود ومسائل الحياة والموت والظواهر الاجتماعية المختلفة والشؤون السياسية لأمته ورأيه فى السلوك والأخلاق).(٢)

والتجربة الاجتماعية هى مالا يتصل بشخصه وإنما تتصل بممدوحه أو مجتمعه أو أمته فموضوعها خارج عنه لكنّه تأثر فيه فترجَمَهُ ضميرُهُ وردَّدَهُ شعراً خالداً .

ولشدة انفعال المتنبى فى تجاربه الشعرية جاءت هذه التجارب (نتاج

---

(١) فى ميزان النقد الأدبى د / طه أبو كريشه (١٩) وص : (٤٨٢) من الرسالة .

(٢) فى النقد الأدبى الحديث د / محمد عبدالرحمن شعيب ط الأولى ١٩٦٧م دار التأليف بمصر (٢٣) .

انفعال أصيل فريد ناشئ عن اتحاد الشاعر بموضوع تجربته الشعرية اتحاداً حَدَسِيّا)(١) فهو شاعر مطبوع ذو فن رفيع يعيش ما حوله ويعالجه ويخالج كيانه ، ولهذا قال عنه العقاد : " كان المتنبى شاعر التجارب والحِكَم ولم يكن عاملها ومنفذها ... "(٢)

فأى قصيدة جاءت خالية من المقدمات أو الحِكَم ولم يتحدث المتنبى فيها عن نفسه وعن شاعريته فالتجربة فيها اجتماعية ، فإلا تكن كذلك فالتجربة شخصية ، وبما أن قصائد الحرب لدى المتنبى قصائدُ مدحٍ ووصف للحروب فإن التجربة فى أكثرها خليطٌ من الشخصيةوالاجتماعية ، شخصية فيما يعبر عن نفسيته واجتماعيته لما حوت من وصفٍ لأخلاق ممدوحه وحروبه .

ولا مانع أن تكون التجربةُ الاجتماعيةُ مؤثرة فى نفس الشاعر ، لكنّنا لا نسميها تجربة شخصية ، لأن التأثر جاء من عوامل خارجية هى الأعجاب بما شاهد .

وكمثال لتجارب شاعرنا الأدبية فى قصيدته الحربية نأخذ قصيدة من أشهر شعره الحربى وهى القصيدة اللامية التى مدح بها سيف الدولة ومطلَعُها :

لياليَّ بعد الظاعنين شُكُولُ * طوالٌ وليلُ العاشقين طويلُ

بدأ المتنبى هذه القصيدة بمقدمةٍ غزلية ، ثم انتقل منها إلى وصف

---

(١) قصيدة المدح عند المتنبى وتطورها الفنى - أيمن محمد زكى العشماوى (١٤٨) .

(٢) مطالعات فى الكتب للعقاد دار الحياة - المكتبة العصريه بيروت ١٩٧٣ م (١٠٩) .

الحرب التى دارت رحاها بين سيف الدولة وبين الروم ، ثم عاد فمدح سيف الدولة ، وختمها بعده بفخره بذاته والذب عن حياضه ، (على أن القصيدة ليست مجرد هذه الجزئيات الباهتة الشاحبة ، ولا تلك الموضوعات الخارجية الجامدة ، التى ربما يشوبها بعض الخطابية فى المواقف الخاصة ، وإنما القصيدة فوق كل هذا موقف نفسى يعبر عما يضطرمُ فى نفس الشاعر) (١)

(لقد أجرى المتنبى فى هذه القصيدة روحاً عذباً غريباً ، ليس من اليسير وصفه ولا تصويره ، ولكنك تحسه إحساساً قوياً ، بل أنت تقرأ القصيدة فإذا هذا الروحُ يسبق ألفاظها ، ومعانيها إلى قلبك ويشيع فى نفسك خفة وطرباً ، لا نجدهما حين نقرأ أى قصيدة أخرى من قصائد المتنبى) (٢)

إن بدء القصيدة الذى صور حزنه على فراق محبوبته وخاتمتها تجربة شخصية خاصة بالمتنبى ، نابعة من نفسيته ، فقد صور طول الليل لبعده عن محبيه ، وهذا ما يشتكيه كل عاشق وامق مفارق ، فكان هذا الفراق جرحاً نازفا ملازماً له وجعل ليلته دالة على عمق ما حل به من ألم الفراق الذى لا يمكن أن تستوعبه الليلة المعتادة وإنما فى ليال عديدة لكن هذا العديد تجمّع فى ليلة واحدة وذلك من خلال شعوره النفسى الداخلى

ثم أبدى تضجره من هذه الليالى التى يرى البدر فيها متلألئا ، ومع أنه شيء جميل إلا أنه لا يريده ، لأنهن يخفين بدراً هو مشتاق إليه ولكن الوصول إليه عسير ، والسبيلَ دونه منقطع ، وهذه حالة نفسية يشاركه فيها كلُّ محب ، فإنه لن يعوضه عن محبوبه حين فقده أىّ شيء .

---

(١) قصيدة المديح ـ أيمن محمد زكى العشماوى (١٤٩) .

(٢) مع المتنبى (٢٣٥) .

يُبِنَّ لى البدرَ الذى لا أريده * ويخفين بدراً ما إليه سبيـــلُ

هـذا ويرى الدكتور طه حسين وبعضُ من جاء بعده أن هـذا المطلع الغزلى تعبيرعما يحسه فى نفسيته من (حزن دفين يصدر أحياناً عن نفس الشاعر التى لم تدرك من آمالها شيئاً ، أو لم تكد تدرك منها شيئاً) (١) فهم قد جعلوا هـذا البدر المختفى آمالَه وطموحاتِه ، رمزًا لها ، لا إلـى محبوبته ومعشوقته ، فحالته النفسية فجّرت هـذه المقدمة الغزلية ، وهــذا ما أشرنا إليه سالفاً من كونه لا يأتى بهـذه المقدمات عبثاً إنما تفتقهـا لديه حالته النفسية . (٢) ولهـذا وهـو بصحبته سيف الدولة قد صور رحلتـه وانتصاراتهالكثيرة التى دلت عليها الأبيات المتتالية المتدفقة بالفرح والنشوة وهـذا عود لآماله التى كادت أن تذهب وتفنى ، عود عبرعنه بانبثاق الفجـر وانتشار ضيائه .

إن فى ذكره لانتصارات سيف الدولة ودقة وصفه لها خير دليل علـى اختلاط التجربة الشخصية بالتجربة الاجتماعية ، فتصويره لها تصوير لمـا يدور هـو فى فلكه منحياته ومجتمعه وأحداثعصره .

لقد وصف هـذه الانتصارات وأطال فى وصفها وهـذا تصوير منـه لبعضها وهـو خبيرٌ بهـذا التصوير وله منهتجاربُ كثيرة ومن هـذه التجربـة التصويرية الاجتماعية قوله من هـذه القصيدة .

هـمام إذا ما هَمّ أمضى هـمومه * بأرْعَنَ وطءُ الموتِ فيه ثقيـلُ

وخيلٍ براها الركضُ فى كل بلدةٍ * إذا عرست فيه فليس تقيـل

فلما تجلّى من دلوكٍ وصنجـةٍ * عَلَتْ كل طودٍ رايةٌ ورعيـلُ

---

(١) المرجع السابق ، وانظر معه قصيدة المديح - أيمن محمد زكى العشماوى (١٥٠ - ١٥١) .

(٢) ص(٥٩٨) من الرسالة .

على طرق فيها على الطرق رفعةٌ * وفى ذكرها عند الأنيس خمولُ
فما شعروا حتى رأوها مغيرةً * قِباحًا وأمّا خلفها فجميلُ
سحائبُ يمطرنَ الحديد عليهمُ * فكلُّ مكان بالسيوفِ غسيلُ
وأمسى السبايا ينتحبْنَ بعرقةٍ * كأنَّ جيوب الثاكلاتِ ذيولُ
وعادت فظنّوها بِمَوْزَارَ قفّلاً * وليس لها إلا الدخولَ قفولُ
تسايِرُها النيرانُ فى كُلِّ مسلك * به القوم صرعى والديار طُلُول

لقد صور لنا هِمة هذا القائد العظيم الذى أحبه المتنبى وأخلص له المحبة ، إنه جعل همة هذا القائد هى تجميع الجيوش وغزو الأعداء وبهذه الهِمّةِ وهذا الفعل تنجلى همومه ، ويدخل فى قيادته الجيوشَ ما فيهامن سلاح وعتاد وخيل ، والخيل هى مناهُ وغاية مرادِهِ ، عليها يرتاح وبها يبلغ مشتهاه ، ثم وصف هذه الخيل بأنها خيل معوّدةٌ على الحروب ومن وصفها ينتقل إلى وصف غارة من غاراته على البلدان فى هذه الغزوة واستوفى نتيجة هذه الغارات بكلام موجز مركّز بأن جعلهامكروهه لدى هؤلاء الاعداء ولا يُكْرَه إلا ما يَضُرّ ، فهى قد ألحقت الضرر بها . وجعلها سحائبَ لكنها ليست سحائبَ رحمة بل سحائبُ نقمة تصب عليهم الدمار ، فكان من نتيجته إكثار السبى منهم ، حيث جمعوا منهن عدداً كبيراً ، ثم وصف انتقالَها إلى بلد آخر بما يشبه الرجوع حيلة وتحرّفاً للقتال ولذا لم يجعله قفولاً بل جعله دُخُولاً ، ووصفها بمسايرة النيران،ومصاحبتُها لها مؤذنةً بهلاك الأهل وبقاء الديار أطلالاً .

إن تجربة أبى الطيب فى هذه القصيدة تجربة توا٠مت معها صياغتها واتسق ثوبها عليها فى مجملها،فلم يكن بالطويل الفضفاض ولا بالقصيرالمُعَرّى فلا نرى فيها مللاً مع إطالته فيها اذ تُعَدّ أطولَ قصيدةٍ له ، وقلتُ(فى مجملها)

لأنه تحدث عن كل ما شاهده من غارات ومن كل بلد وطئته فهذا كفيل بالتوائم مع أنه أحياناً يذكر دخولهم إلى البلد دون التحدث عما وقع لهم وما أحدثوه فيه ، فيكون هناك إيجاز في الوصف وتداخل في الصور لكنه لا يكون مُخلاً لوجود كثير من الصور التى تطغى على هذا ، ومثال ذلك قوله من نفس القصيدة :

وكَرَّت فمرّت فى دماءِ مَلَطْيَةٍ * مَلَطْيَةُ أمٌّ للبنينَ ثَكُولُ
وأضعفن ما كُلِّفنه من قَبَاقِبٍ * فأضحى كأنَّ الماءَ فيه عليلُ

فإن الجناس هنا حدا به إلى الاسراع وعدم التحدث عما أوقعوه فى مَلَطيّه وما لاقوه فيها .

ومثله قوله :

ودون سميساط المطاميرُ والملا * وأوديةٌ مجهولةٌ وهُجُولُ
لبسن الدجى فيها إلى أرض مرعشٍ * وللرُّوم خطبٌ فى البلاد جليلُ

فإنه لم يتحدَّث عما فعلوه بأهل مرعش ولم يصور لنا ما دارَ فيها مما جعله خطباً جليلاً ، بل انتقل قَفْزاً إلى مدح ممدوحه متخذاً ذلك كالتخلُّص من الوصف إلى المدح بالإضافة إلى أن التفصيل الدقيق ليس من مهمة الشاعر بل من مهمة المؤرخ .

وتجربة أبى الطيب هنا ناجحة لأنها صدرت عن دافع قوى وباعث مثير هو حالته النفسية الحزينة البائسة فى أول القصيدة ، الفرحة النشطة فى وسط القصيدة وآخرها يدفعها وينميها حبُّهُ لسيف الدولة ، ورؤيته فيه البطلَ المثاليَّ الذى ملأ عليه كيانه ، فأكثر من التغنى ببطولته . وساعد على نجاحها التزامه الصدقَ مع واقعِهِ ومع نفسه ، مع واقعه فى تصويره حالَتَه النفسيةَ كما هى وتصويره تلك الحروب كما حدثت ومع نفسه حيث لم يكن مُكْرَهاً

على هذا الوصف لأنه ينظم ويتغنى ببطولة قائد همام لقِى فيه صورة الفارس العربى الذى طالما تغنى بها فى شاعريته .

وكمثال آخر للتجربة الأدبية الاجتماعية قصيدته فى مدح سيف الدولة أيضًا :

بغيرك راعياً عبث الذئابُ * وغيرَك صارماً ثلم الضرابُ (١)

فهذه القصيدة تصف حروب سيف الدولة مع بنى كلاب ، وما أحدثه فيهم ، ثم فى نهاية المطاف استعطاف من المتنبى موجَّهٌ لسيف الدولة ، ليعفوَ عن هؤلاء القبيل .

فالقصيدة تجربتها (غيرية لا ذاتية ، فهى لا تتصل بشخصه وإنما تتصل بسيف الدولة مع بنى كلاب ، ومع أن الموضوع خارجٌ عنه إلا أنه متأثر به تأثراً اقتضاه أن يبدى فيه رأياً) . (٢)

لقد استعرض المتنبى ما دار بين سيف الدوله وبين بنى كلاب وبعض القبائل المحيطة من خصومات طارئة ، ليس لها أصول بل بالعكس فسيف الدولة الفضل عليهم فى كل شىء ، لقد أغضب المتنبى أن يحدث هذا لفارسه المغوار ، ورأى أن ذلك قد أثر عليه كبيرَ أثرٍ فبدأ بهذا المطلع المسلِّى له ، ولنفسه أيضاً ، فيوهمهما أن ما حدث لن ينْقُصَ من قدرهما أو يَهُزَّ كيانهما ، وثَنَّى عليه بإبراز شجاعته التى ملك بها أنفس الثقلين وتعجُبه من أن تفلت من تحته هذه الشرذمة .

وتملكُ أنفسَ الثقلينِ طراً * فكيف تحوزُ أنفُسَها كلابُ

ثم وصف ما دار بينهم وبين سيف الدولة ، ومن ذلك مطاردة سيف الدولة لهم كل ذلك فى أسلوب جاء كالسرد القصصى أظهر فيه تفوق

(١) ديوانه (١ / ٢٠٤) .
(٢) فى ميزان النقد الأدبى . د / طه مصطفى أبو كريشة (٧٨) .

ممدوحه عليهم ، محاولاً تسلية سيف الدولة عما يساوره من شكوك في كونهم حاربوه احتقاراً له ، لقد جعلهم أمامه أذلاء محتقرين :

ترفّقْ أيها المولى عليهم * فإن الرفق بالجاني عتابُ
وإنهم عبيدُك حيث كانوا * إذا تدعو لحادثة أجابوا
وعين المخطئين هُمُ وليسوا * بأولّ معشرٍ خَطِئُوا فتابوا

ثم ختم المتنبي القصيدة بأبيات كلها استعطاف موجّه لسيف الدولة ، استعطاف يرقق القلب القاسي ، ويذهب غيظ القلوب الغلاظ .

إنه يحاول أن يرد الجميلَ لبني كلاب الذي عاش دهراً من شبابه بين ربوعهم .

لقد توافر لتجربة أبي الطيب هذه أحدُ عوامل نجاحها وهو الدافع والباعث لها في نفس الشاعر وهما باعثان :

أولهما : حبّه لسيف الدولة ومحاولتُهُ الذَّبَّ عما شعر من أنه ينوش كرامته ويخدشها جعله يحصي تحركاتِهِ ، ويبدع في وصفِ متابعاته لأعدائه فرحاً بذلك النصر .

وثانيهما : محاولتُهُ رَدَّ الجميل لهؤلاء القوم الذين نشأ في ربوعهم فلقي لديهم كلّ إجلال واحترام له ، جعله يطلب العفو لهم من سيف الدولة

(وإنه لموقف دقيق بالنسبة للمتنبي حين حاول الجمعَ بين هذين الأمرين صلته بسيف الدولة وصلته ببني كلاب) [1] فقد كان مضطراً في الموقف الأول وهو إبراز صلته بسيف الدولة أن يظهر ضعف بني كلاب وعدم قدرتهم مقاومته ، وأن يصمهم بما وصمهم به من العبودية والخوف منه .

---

(١) المرجع السابق (٨٠)

بغيرك راعياً عبث الذئـاب * وغيرك صارماً ثلم الضـراب
وإنهم عبيدك حيث كانـوا * إذا تدعو لحادثةٍ أجابـوا
وعين المخطئين هم وليسوا * بأول معشرٍ خطئوا فتابـوا
وأنت حياتهم غضبت عليهـم * وهجر حياتهم لهم عقـاب
وما جهلت أياديك البوادي * ولكن ربما خفي الصـواب
فإن هابوا بجرمهم عليـاً * فقد يرجو علياً من يهـاب
وإن يك سيف دولة غير قيس * فمنه جلود قيسٍ والثيـاب
وتحت ربابه نبتوا وأثـوا * وفي أيامه كثروا وطابـوا
وتحت لوائه ضربوا الأعادي * وذلّ لهم من العرب الصعاب
ولكن ربهم أسرى إليهـم * فما نفع الوقوف ولا الذهـاب

ولكنه لما جاء إلى الموقف الثاني وهو الاستعطاف لهم ، أبرز صلته بهم ورفع من معنوياتهم بإظهار قوتهم (حتى يؤكد لهم الاحساس بذاتهم ، وحتى لا يذهب (ما ذكره آنفا) ببعض مالهم من واقع معترفٍ به)(١)

ومن ذلك قوله :

ولو غير الأمير غزا كلابـاً * ثناه عن شموسهم ضبـاب
ولاقى دون ثأيهم طعانـاً * يلاقي عنده الذئب الغـراب
وخيلاً تغتذي ريح المـوامي * ويكفيها من الماء السـراب

لقد صدق أبو الطيب في تجربته هذه أيما صدق، فأظهر حبَّه لسيف الدولة بإبراز قوته ، وأظهر حُبّه لبني كلاب بإبراز قوتهم وبالاستعطاف لهم فلم يكن مدعوفاً إلى تسجيل تجربته إلا بدافع الحب لكلا الطرفين ، ولـم

---

(١) المرجع السابق (٨٠)

يُملِيهَا عليه دافع خارجيّ عن نفسه المحبة لهم . فجاءت تجربته صادقةً تمثل واقعه ، ومن الدلالة على صدقه فيها أنه لم يشبها بحديثٍ عن نفسه فهذه القصيدة من بين قصائدَ قلائلٍ خلت من حديثه عن نفسه ذاتاً أو شاعرية .

كما أن هذه التجربةَ قد تواءمت معها صياغتُها فلم تكن طويلة فضفاضة ولا قصيرةً مشمّرة ، فقد صور ملاحقة سيف الدولةِ لهم أدق تصوير ثم ثنى بطلب العفو عنهم مُبْرِزاً قوتهم التى ما أضعفها إلا قوة سيف الدولة ، وختم القصيدة بالزهو بفعل سيف الدولة وشجاعته :

كذا فليسرِ من طلبَ الأعادى * ومثلُ سراك فليكنِ الطِّلابُ

٢ ـ العاطفـة :

سبق أن عرفنا العاطفة عند حديثنا عن الخصائص الفنية لشعر البحترى الحربى[١]، ويهمنا هنا الحديث عن عاطفة المتنبى فى شعره الحربى خاصة .

نشأ المتنبى نشأة جعلت منه رجلاً محاربا ثائراً على كل من يقف فى طريقه ويعوقه عن تحقيق مآربه وأهدافه ، ونتيجة لهذه الثورية فقد وقف له كثير من الأمراء والوجهاء بالمرصاد ، فجنّد لسانه للدفاع عن نفسه .

كما ذكر فى شعره أنه تمرس بالحروب ، فوصف نفسه بالشجاعة والقدرة على المحاربة بالسنان مع اللسان ، ولعل هذه المحاولات ـ كلها ـ باءت بالإخفاق ، فلم يظفر من أعدائه بشىء ، وإنما أفاد من هذه الثورية وهذا العداء أمرين ظهرا على شعره :

أولهما : ظهور عاطفته وقوتها وصدقها .

وثانيهما : إكثاره من الحكمة لِمَا مارس من هذه الحياة وأحداثها .

(وعاطفة المتنبى كما تكشف عنها مدائحه خاصة نارٌ داخلية تُلهِبُ اللفظ ، وتوقد الصورة الشعرية ، ولذلك ، فقلما تلوح عاطفته سراباً عاطفياً ، أو أجزاء مقطعة باردة ، لا روح فيها ، وذلك لأن المتنبى كان يغمر شعرَه بموقفه ورؤيته من الحياة)[٢]

وقال الاستاذ الشايب عند حديثه عما سيطر على المتنبى من العواطف ، خاصة عاطفة السخط والتبرم من الدهر ، والذى أنتج لديه حكمة وصدقاً فى التجربة ، إن (هذه العاطفة نشأت فى نفس المتنبى ،

---

(١) ص : (٤٨٥) من الرسالة .

(٢) قصيدة المديح عند المتنبى ـ أيمن محمد زكى العشماوى (١٥٥)

لأن أسباب الحياة قصرت به عن نيل مآربه ، وتحقيق أطماعه التى عرضته لآلام شتى ، وجعلت حياته رواية الجهود الضائعة فى سبيل الآمال الخاسرة) .(١)

وفى كنف سيف الدولة جَدَّ فى عاطفة المتنبى شعور آخر هو شعور المحب لهذا القائد .

كما رأى فيه صورة الفارس العربى المسلم الذى يذب عن الدين جهده ، فقد وقف سيف الدولة فى وجه الروم حيناً من الزمن ، فظهر فى شعر المتنبى من أجل هذا عاطفة دينية تلح على إبراز هذا المعنى مع غيرها من العواطف الشخصية ، التى تتمثل فى إبراز خوالج نفسه والعواطف العامة فى حبه لهذه الحروب مع هؤلاء المعتدين الروميين .

هذا ومع أن كثيراً من الأدباء يخرجون جل شعر المديح من العواطف الصادقة(٢) إلا أن شعر أبى الطيب لا يمكن أن نصفه بأن عاطفته فيه غير صادقة ، لأنه صادر من القلب ، فهو ما مدح إلا لأنه أحب سيف الدولة بطلاً محارباً وفارساً مغواراً وقف لأعداء الدين بالمرصاد ، ممثلا للبطولة العربية فى أبهى صورها . ثم إنه تمجيد للبطولة وللخلق الفاضل الذى ينبغى أن يتحلى به كُلّ قائد ، فهو من المدح العام ، وإن تعلق فى شخصية واحدة .

وكمثال على العاطفة الدينية التى تبدو كثيراً بين ثنايا قصائد أبى الطيب قوله مخاطباً سيف الدولة :

---

(١) أصول النقد الأدبى ـ أحمد الشايب (٣٢) ط٩ عام ١٩٨٠م نشر مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة .

(٢) المرجع السابق (١٨١ و ١٩١) فى النقد الادبى د / محمد عبد الرحمن شعيب (١٤٤) .

لقد سَلَّ سيفُ الدولة المجدَ معلِمًا * فلا المجد مخفيه ولا الضرب ثالمُهْ
على عاتق المَلْك الأغر نجـــادُه * وفى يد جبار السموات قائمُهْ (١)

قال البرقوقى : (هو سيف يتقلده الخليفة ويضرب الله به أعداءه ، فهو زَيْنٌ للخليفة ، ناصرٌ لدين الله). (٢)

وقـــال :

ولست مليكاً هازماً لنظــيره * ولكنّك التوحيدُ للشركِ هـــازمُ
هنيئاً لضرب الهامِ والمجدِ والعلا * وراجيك والاسلام أنك سالـــمُ
ولِمْ لا يقى الرحمن حدّيك ما وقى * وتفليقه هامَ العدا بك دائم (٣)

قال البرقوقى : (لماذا لا يصونك الله سبحانه - مادامت صيانتــه للأشياء ـــ أى أبداً ـــ وأنت الذى يصول به على أعدائه). (٤)

وقـــال :

خضعت لمنصلك المناصلُ عنوةً * وأذل دينُك سائرَ الأديـــانِ
وعلى الدروب وفى الرجوع غضاضةٌ * والسير ممتنع من الإمكـــانِ
والطُرْق ضيقةُ المسالكِ بالقنـــا * والكفر مجتمع على الأديـــانِ (٥)

فنلاحظ فى الأمثلة السابقة - مع ما مر بنا من غيرها - (٦) تركيزه على ارتباط سيف الدولة بالخليفة ، وهذا ما يُمَكِّنُ له الطاعةَ ، ويجعل جهاده

---

(١) ديوانه (٤/٥٩ — ٦٠) .
(٢) ديوانه حاشية(١) (٤/٦٠) .
(٣) ديوانه (٤/١٠٧ — ١٠٨) .
(٤) ديوانه حاشية (٣) (٤/١٠٨) .
(٥) ديوانه (٤/٣١٣) .
(٦) انظر ديوانه (٤/٦٨ ، ٤/٧٠ — ٧١ ، ٤/١٢٨ — ١٢٩ ، ٤/١٤١ ، ٤/٢١٣ ، ٤/٢٩٩) .

جهاداً شرعياً متقبلاً ، لأنه خاضع لولي الأمر مطيع له . كما نلحظ ـ أيضا ـ تركيزه على أن يجعل جهاد سيف الدولة دفاعاً عن الإسلام حينما اجتمعت عليه قوى الكفر ، ولذلك قربه سيحميه ، ويصد عنه كل من يحاول الكيد له .

ومن أمثلة قصائده التي نجد عواطفه الشخصية متمثلة فيها قصيدته :

فهمت الكتابَ أبر الكتب * فسمعاً لأمر أمير العرب (١)

فإنه قدم لهذه القصيدة بمقدمة عاطفية أثارتها هذه الرسالة التي يسأله فيها سيفُ الدولة المسيرَ إليه ، واستئناف عرى المودة بعد انقطاع دام أكثر من ست سنوات .

لقد مست هذه الرسالةُ شغاف قلبه ، وفرح بها فرحًا شديداً ، تمثل في عدة أشياء في موسيقى بحرها الراقص ، وفي قافيتها البائية المقيّدة التي جاءت مُصَدِّقة لكل كلمة يقولها ، كالختم على مصداقية كلامه ، أو الطبل الموقِّع على أعقاب النشيد مما يؤيد صدقه وحماسه ، كما تمثلت هذه العاطفة في معانيها الجياشة التي تزاحمت في الأبيات:وعيُ الكتاب ،واستجابةُ لمرسله ، وتبجيل له ، وتكرارٌ للطاعه وابتهاجٌ بالكتاب ، واعتذار عن التقصير وابداءٌ لأسبابه وحكمة تصدِّق هذا الاعتذار (وإن الوشايات طُرُقُ الكذب) اعتذارٌ طويل ، وتودد ، وتذكيرٌ له بما بينهما من سالف الود (وينصرني قلبه والحَسَبْ) و (ولا اعتضت من ربِّ نعمايَ رَبّ) وحكم تزيد هذه المعاني رسوخاً :

ومن ركب الثور بعد الجواد أنكر أظلافه والغَبَبْ

ثم ينتقل من هذا الاعتذار إلى مدح سيف الدولة ، بمدح فياض بالعواطف الجياشة ، ولكنها عواطفُ دينية ، فهو يراه كما يراه المسلمون أملهم

---

(١) ديوانه (١/ ٢٢٥ ـ ٢٣٢) .

والمدافع عن دينهم ، فى وقت حالُ المسلمين فيه بين الضعف والقوة :

وأطعنُ من مسَّ خطيّةً * وأضرب من بحسام ضَرَبْ
بذا اللفظ ناداك أهلُ الثغور * فلبيتَ والهامُ تحت القُضُبْ
وقد يئسوا من لذيذ الحياة * فعين تغورُ وقلبٌ يَجِبْ

فهم محتاجون إليه لا يستغنون عنه ولا يغيب عنهم ذكره ، حتى فى أشد الأوقات حرجاً حين احتدام الوغى ، فإنهم ينادونه ، وقد كررّ هذا المعنى بصورة أخرى ، حيث بَيّن حال المسلمين وما هم فيه من مَدٍّ وجزر ، من حيث غلبتُهم للكفار حيناً ، وغلبةُ الكفار لهم حيناً آخر وسيفُ الدولة نـاذِرٌ نفسه لحمى دين ربه ، ساهرٌ من أجله ، متعبٌ نفسه فى ذات اللـه فعدّه من أجل ذلك مع الله ، كأنه هو الموحِّد له ومن سواه غير موحدين له فكأنهم لخضوعهم للنصارى وذلتهم لهم من بنى دينهم ومن يدينون بالثالوث:

أرى المسلمين مع المشركين * إمّا لعجز وإمّا رَهَبْ
وأنت مع الله فى جانبٍ * قليلُ الرقاد كثيرُ التعبْ
كأنّك وحدَك وحّدته * ودان البريةَ بابن وأَبْ

لقد التزم أبو الطيب جانب الصدق فى عاطفته هذه ، ولهذا فقد ألح ، وكرر إثبات محبته لسيفِ الدولة فى آخر القصيدة ، لأنها عاطفة جياشة صادقة تطغى عليه فلا يمكنه إخفاءها أو الاكتفاء بها مرة واحدة .

ومثال آخر على عاطفته قصيدتُه التى مدح بها سيف الدولة :

عواذلُ ذاتِ الخال فى حواسدُ * وإن ضجيع الخودِ منى لماجدُ (١)

فقد جمع فى هذه العاطفة بين عواطفه الشخصية وعاطفته الدينية .

---

(١) ديوانه (١/ ٣٩٠ — ٤٠٤) .

وتمثلت عواطفه الشخصية في إظهاره صفاته الشخصية ، وهي ما فتئ يرددها في أكثر قصائده ، من إظهاره عفته ، مع ما اعتراه من العشق ، ومنها تضجره من محاربة الليالي له ، وعدم إنالته مبتغاه ، وإدامة وحدته ، ووصف نفسه بالفروسية والشجاعة والثناء على شاعريته فكل ما تعرض له في هذه المقدمة صفةٌ ملازمةٌ له لا تفارقه ، وعاطفةٌ راسخة تطغى على أغلب قصيده .

ونأخذ الآن من هذه المقدمة بعض الأبيات لنَدُلَّ على ذكره تلك الصفات الآنف ذكرها :

يرد يداً عن ثوبها وهو قادرٌ * ويعصى الهوى في طيفها وهو راقدُ

إذا كنت تخشى العار في كُلِّ خلوة * فَلِمْ تتصباك الحسانُ الخرائدُ

ألحّ على السقمُ حتى ألفتُـه * وملَّ طبيبى جانبى والعوائدُ

أَهِمُّ بشيء والليالي كأنّها * تطاردني عن كونه وأطاردُ

وحيدٌ من الخِلّانِ في كل بلدة * إذا عظم المطلوبُ قلَّ المساعِدُ

محرمةٌ أكفالُ خيلى على القنا * محلَّلَةٌ لباتُها والقلائدُ

وأورد نفسي والمهندُ في يدى * موارد لا يُصْدِرْنَ من لا يُجالِدُ

خليلى إنى لا أرى غيرَ شاعر * فَلِمْ منهم الدعوى ومنى القصائدُ

ثم لم يخل انتقاله من هذه المقدمة إلى المدح من فخر بنفسه لسيطرة هذه العاطفة عليه فإنه قال :

فلا تعجبا إنَّ السيوفَ كثيرةٌ * ولكنَّ سيفَ الدولةِ اليوم واحدُ

وقد جاء هذا البيت بعد البيت السابق المذكور آنفاً ودلالته صريحة في الافتخار بشاعريته فإنه (يقول إنه في الشعراء كسيف الدولة ، فكل منهما منقطع النظير ، وإن كان له أشباه ونظائر في التسمية).[1]

---

(١) ديوانه (١/ ٣٩٤) حاشية (٤) .

ثم بدأ يسجل إعجابه ببطولة هذا القائد بسرد عدد غزواته الكثيرة التى عبر عنها بقوله :

شننت بها الغاراتِ حتى تركتَها ✱ وجفنُ الذى خلف الفرنجة ساهدُ

وكما قلنا فإن العاطفة الدينية مرادفة لهذه العواطف الشخصية فإنه وصفه بالعبودية لله فى قوله :

وغلَّس فى الوادِى بهنّ مشيَّعٌ ✱ مباركُ ما تحت اللثامين عابِدُ

ثم بعد أبيات من المدح المنبعث من خلجات نفسه ، تعود إليه هذه العاطفة ، فيسطر لسيف الدولة مفخرةً عظيمة ، ناظراً إلى لقبه حيث جعله سيفاً (الله ضارب به) الأعداء ، ولواءً (الله عاقده) ليشن به الغارات عليهم صباح مساء :

فأنت حُسَامُ المَلْكِ والله ضاربٌ ✱ وأنت لواءُ الدين واللهُ عاقدُ

وبعد سرده لنسبه إعجاباً بعراقته وشجاعة آبائه ، يجعلهم عدة الخلافة ، وحماتها الذين عنها يدافعون ، وهذا له صلة بالعاطفة الدينية

أولئك أنياب الخلافة كُلِّها ✱ وسائر أملاك البلاد الزوائدُ

وقد قلنا قبل قليل إنه جاء بمديح منبعث من خلجات نفسه ، لأنه فتّى لديه الحكمة ، والحكمةُ لا تظهر إلا للتأثر بما يعرض عليه الفكر والعاطفة من مرأى ، ومن هذه الحكمة قوله :

بذا قضت الأيام ما بين أهلِها ✱ مصائبُ قوم عند قوم فوائدُ

وكلٌّ يرى طُرُقَ الشجاعة والندى ✱ ولكن طبع النفس للنفس قائدُ

فهاتان الحكمتان فجّرتْهما عاطفة الاعجاب بشخصية سيف الدولة ، فالأولى فجّرها عنده إعجاب بكثرة ما سبى من نساء الروم الجميلات ، اللواتى

— مع ماحبسين به من هذا الجمال — لا يلتفت إليهن جند ممدوحه ، لعفتهم وترفعهم ، بينما بطارقة الروم وقادتُهم يبكون عليهن أشد البكاء والفقدُ مصيبة ، وقعت على هؤلاء الروم ولكنه فائدة لنا ، فما ساءهم سرنا .

والثانية : أن أعداء سيف الدولة يحسدونه على شجاعته ، وهم يرون فعله ، ويرون طرق الشجاعة ، ولكنهم لا يستطيعون أن يفعلوا مثل فعله ، ولا أن يسلكوا طُرُقَهُ وذلك لأن طباعهم لا تؤهلهم لذلك .

وهاتان الحكمتان لهما صلة بحالته النفسية ، فإن ما فيه من المصائب والهموم مساءة له ، مغنم لأعدائه ، وما يسلكه من طلب المعالى طبع في نفسه يقودُه إليها أما هم فليسوا مثله لأنهم لا يملكون ما يملك من الطبع القائد إلى المعالى ، فالعواطف الشخصية في هذه القصيدة ثابتة قوية ومسيطرة على كل أجزائها — كما تقدم — وهي عواطف سامية ، لأنها تبعث مشاعر نبيلة كالعفة والشجاعة والجَلَد والفروسية .

كما أنها عواطف صادقة ليس فيها مراءٌ ، فعفته ملازمةٌ له ، وإعجابه بشجاعة هذا القائد منبعثٌ من حبٍّ له لا يحول .

وكمثال لعواطفه في قصائده التي تخلو من المقدمات قصيدته :

عقبى اليمين على عقبى الوغى نَدَمُ * ماذا يزيدُك في إقدامك القَسَمُ (١)

لقد هجم المتنبى في هذه القصيدة على غرضه مباشرة دون أن يقدم لها بمقدمات غزلية أو طللية ، ولهذا فالعاطفة المسيطرة عليها في أكثرها عاطفة عامة ، إعجابٌ بالبطولة ، لكنّ المتنبى لحبه هذا القائد حولّها الى عاطفة خاصّة شخصية ، فهو ينفى البطولة عن غيره ويثبتها له .

(١) ديوانه (١٢٩/٤–١٤٢) .

هجم على غرضه مباشرة لأنه بدأ بالخطاب مباشرةً لهذا القائد الرومى الذى آلى أن ينتصر على سيف الدولة إن لقيه ، فبيّن له أن الحروب لا تكون عاقبتها لمن حلف عليها ، فيندم على حلفه ، وإنما الشجاع يبقى شجاعاً دون أن يحلف ، فهذا الحَلِف لا يزيده فى إقدامه ، بل فى الحلف دلالة على الجُبْن والاتهام فى الإقدام :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم * ماذا يزيدك فى إقدامك القَسَمُ

وفى اليمين على ما أنت واعده * ما دَلّ أنك فى الميعادِ مُتَّهَمُ

فعاطفة الشاعر عاطفةُ الثائر الحنق على عدوه ، ولهذا أظهر له نتيجة حلفه مباشرة ، وأن الحلف على نهايات الحروب ندامةً وخسار ، وعارٌ وشنار وجبن وخور .

ثم تخلص إلى مدح سيف الدولة بأن جعله فى إيقاعه بهذا القائد الرومى مبطلاً ليمينه ، ومبالغةً منه فى وصف سيف الدولة بالشجاعة جعله فتىً منسوباً إلى الضرب ، لكثرة ضرابه وقتاله .

وكما ذكرنا آنفاً من أن حبه له حوّل هذه العاطفة من عاطفة عامة معجَبَة بالبطولة مطلقاً إلى عاطفة خاصة معجَبَة بهذا القائد الفذ ، فإنه وسمه بالثبات وعدم ملل هذه المعارك حينما يَمَلُّها غيرُه .

كل السيوف إذا طال الضراب بها * يمسها غيرُسيف الدولة السَّأمُ

وانطلاقاً من هذا الإعجاب فإنه سطر تحركاتِه ، فكلُّ بلدٍ هبطه سَجّلَ له صوراً رائعةً من سجل البطولات الخالدة لهذا القائد ، فقد صور عمل السيوف فى رؤوس الأعداء صورةً خيالية ما استنتجها إلا بواسطة عاطفته التى ترى أن فى كل عمل يعمله إهانة لأعدائه :

وَلَّى صوارِمَه إكذابَ قولِهِمُ * فهنّ ألسنةٌ أفواهُها القِمَمُ
نواطقٌ مخبراتٌ في جماجمهم * عنه بما جهلوا منه وما علموا

فقد جعل السيوف مخبرةً له حين قطعها رؤوسهم بكذبهم في دعاواهم ، مبرهنةً على بطلانها ومن هذا المنطلق صور قضاءه على هؤلاء الأعداء بكنايات جميلةٍ جاءت حاصِرَةٌ لكل خسائرهم بعاطفة مليئة غبطة وفرحاً بكُلِّ ما حدث لهم :

وأصبحت بقرى هنزيط جائلة * ترعى الظُّبَى في خصيبٍ نبتُهُ اللِّمَمُ
فما تركن بها خلداً له بصرٌ * تحت التراب ولا بازاً له قَدَمْ
ولا هزبراً له من دِرْعِه لِبَدُ * ولا مهاةٌ لها من شبهها حَشَمُ

ومثل هذه العاطفة عاطفته في قوله من القصيدة نفسها في بيان صورة أخرى من غارات هذا القائد :

صدمتَهُمْ بخميس أنتَ غُرَّتُهُ * وسمهريّتُهُ في وجهه غمَمُ
فكان أثبت ما فيهم جسومهم * يسقطن حولك والأرواحُ تنهزمُ
إذا توافقتِ الضرباتُ صاعدةً * توافقتِ قُلَلٌ في الجوّ تصطدمُ

حيث عدد بفرح واعتزاز وإعجاب ما لحظه في هذا الموقف من كثرة القتلى ، والذي عبر عنه بانهزام الأرواح ، وبقاءِ الجثث لتسقط حول ممدوحه ، وعند انهزام هذه الأرواح تتطاير رؤوس الأعداء كلما توافقت عدة ضربات صاعدةً بها ، فتصطدم في الجو .

ونتيجة لتلك الصور المثيرة المفزعة فقد فزع منها هذا القائد الرومي فولى الدُّبُرَ ، لا يرجو بقاء ، حتى إذا ما أراد التنفس ، تنفس سريعةً خاطفاً نفسه القريب ، فهو لا يأمل كامل نفسه لظنه أنّ روحه ستفلت قبل استتمامه وعليه درع حصينة منعته من أن يصاب ، مما كان سبباً في حزن سيف الدولة

ودعائه على كل ما واراه من شجر .

ثم ختم القصيدة ببيان مقوماتِ بطولةِ سيف الدولة التي هي علـو الهمة وعدم اللهو ، وشكره الله ، وضربه بالسيوف ، فكان كل ذلك سبباً في إطاعة دماء الروم وإلقائها المقاليدَ إليه ، حتى لو دعاها بلا ضرب لأجابت ، ولذا فهُمْ لا يموتون موتاً طبيعيّاً ولا يهرَمون ، إنما يموتون تحت سيوفه .

ألهى الممالك عن فخر قفلتَ به * شُرْبُ المدامةِ والأوتارُ والنّغَـمُ
مقلداً فوقَ شكرِ الله ذا شطـبٍ * لا تستدامُ بأمضى منهما النّعَـمُ
ألقت إليك دماءُ الروم طاعتها * فلو دعوت بلا ضربٍ أجـابَ دَمُ
يسابقُ القتلُ فيهم كُلَّ حادثةٍ * فما يصيبُهُمُ موتٌ ولا هَـرَمُ
نَفَتْ رقادَ عليٍّ عن محاجـرِه * نفسٌ يُفرّجُ نفساً غيرَها الحُلُـمُ

ثم يلتفت إلى نسب ممدوحه وعلوه على سائر الملوك وهو خاتمتهم ، ونتيجة لهذا الحب فقد خلد ذلك بحكمة باقيةٍ ، أعقبها بفخر بشاعريته ليقرن بينهما في الفضائل ، وهذا من أكبر الدلائل على تأثُّرِ المتنبي بعواطفه التي لا تفارقه كُلَّ حين :

لا تطلبَنَّ كريماً بعد رؤيتـه * إن الكرام بأسخاهم يَدَاً ختمـوا
ولا تُبَالِ بشعرٍ بعدَ شاعـره * قد أُفْسِدَ القولُ حتى أُحْمِدَ الصَّمَمُ

إن إثباتَ هذه العاطفة ظاهر في عدم انقطاعها إلى آخر بيت في القصيدة ، فإنه لما هاجم هذا القائد على حَلِفهِ الأيمان قبل الأوان ، ذَكَرَ الحروب التي أُبطلت يمينه ، وما نتج عنها من فراره بعدَ ذلك ، وكل ذلك مفخرةٌ لسيف الدولة ، ولذا ذكر بعد ذلك مقوماتِ بطولتِهِ ، وهي من أسباب انتصاره على هذا الحالف .

وقوتُها تتمثل في شَدِّنا إلى متابعتها عند كل حركة يتحركها الممدوح

وعند كل نبرةٍ للشاعر .

وصدقُها يتمثل فيما عرف عنه من حبّه لسيفِ الدولة وعدم مخالَفتِهِ ذلك ودقة إحصائه تحركاتِهِ ، ثم فى فخره بشاعريته ختاماً لهذه القصيدة ليقرن بين بطل السنان واللسان .

٣ ـ الأفكـــــار :

الأفكار هي المعاني التي تُصَبُّ فيها القوالب الفنية ، وهي مــن عناصر الأدب المكونة له ، فإن الأدب يتكون من (عاطفة وخيال وفكــرة وعبـــارة)[(١)]

والمعاني هي محصلة عقل الأديب ، ونتاج فكره ، فيها يحكم على فنه ، فيعرف مقدارُ قيمته الفنية .

هذا وقد سبق الحديثُ عن بعض مقاييس هذه الأفكار عند حديثنـــا عن أفكار شـعر الحرب لدى البحتري .[(٢)]

وها هنا سنحاول تطبيق بعض هذه المقاييس على أفكار شعر الحرب لدى المتنبي كالآتي :

أ ـ الافكار بين التلاؤم والتفكك :

سبق وأن بينا تعريف التلاؤم ومنزلته في الشعر وأقوال النقاد فيه عند حديثنا عن هذا المقياس في شعر الحرب لدى البحتري ،[(٣)] وقلنا إنه يعـــني (أن يكون هناك تلاق بين الأفكار الجزئية بحيث يوجد خيط رفيع يصل بينها حتى تبعد عن التنافر والتضارب)[(٤)]

وإذا نظرنا في شعر الحرب عند المتنبي فإننا نجد أفكاره ـ في أكثرها ـ متوائمة لا تنافر بينها سواء أكان ذلك في الفكرة الواحدة أو بين عدة فكـــر

---

(١) اصول النقد الأدبي ـ الاستاذ أحمد الشايب (١٢٤) .
(٢) ص: (٤٩٣) من الرسالة .
(٣) ص: (٤٩٣) من الرسالة .
(٤) في ميزان النقد الأدبي د / طه أبو كريشه (٤٠) .

ومن أمثلة ذلك – :

ولست أبالي بعد إدراكي العلا * أكان تراثاً ما تناولت أو كَسْبَا
فَرُبَّ غلام عَلَّمَ المَجْدَ نفسه * كتعليم سيف الدولة الطعنَ والضربا
إذا الدولة استكفت به في ملمة * كفاها ، فكان السيفَ ، والكفَّ والقلبا
تُهابُ سيوفُ الهند وهي حدائد * فكيف إذا كانت نزارية عُرْبَا
ويُرْهَبُ نابُ الليث ، والليث وحدَهُ * فكيف إذا كان الليوثُ له صحبَا
ويخشى عبابُ البحر وهو مكانه * فكيف بمن يغشى البلاد إذا عَبَّا
عليم بأسرار الديانات واللغى * له خطراتٌ تفضح الناس والكُتُبَا
فبوركت من غيثٍ كأن جلودنا * به تُنْبِتُ الدِّيباج والوشي والعَصْبَا
ومن واهب جزلاً ومن زاجر هلاً * ومن هاتك درعاً ومن ناثرٍ قُصْبَا
هنيئاً لأهل الثغر رأيك فيهم * وأنك حزبَ الله صرت لهم حِزْبَا
وأنك رعت الدهر فيها وريبه * فإن شك فليحدثْ بساحتها خطبا
فيوماً بخيل تطرد الروم عنهم * ويوماً بجود يطرد الفقر والجدبا
سراياك تترى والدمستق هاربٌ * وأصحابُهُ قتلى وأُمواله نهبى
أتى مرعشاً يستقرب البعد مقبلاً * وأدبر إذا أقبلتَ يستبعد القربا
كذا يَتْرُك الأعداءُ من يكره القنا * ويقفلُ من كانت غنيمته رُعْبَا
وهل ردَّ عنه باللقان وقوفُه * صدورُ العوالي والمطهمةُ القُبَّا
مضى بعد ما التف الرماحان ساعة * كما يتلقى الهُدْبُ في الرقدة الهُدْبا
ولكنه ولى وللطعن سورةٌ * إذا ذكرتها نفسه لَمَسَ الجنبا
وخلى العذارى والبطاريق والقرى * وشعثَ النصارى والقرابين والصُلُبَا
أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه * حريصاً عليها مستهاماً بها صَبَّا
فحُبُّ الجبان النفسَ أورده التقى * وحُبُّ الشجاع النفسَ أورده الحربا
ويختلف الرزقان والفعل واحد * إلى أن يُرَى إحسانُ هذا لذا ذنبا (١)

(١) ديوانه (١/ ١٨٦ – ١٩٠).

ففكرة هذه الأبيات تدور حول مدح سيف الدولة بالشجاعة والدهاء والكرم ووصف فرار الدمستق ، والأبيات كلها آخذة برقاب بعض ومتوائمة فإنه تخلص من فخره بنفسه الذى لم يكن مذموماً هنا ، لأنه لم يجئ داخل مدح ممدوحه إنما جاء به ضمن المقدمة ، تخلص به إلى المدح بالشجاعة ودلل على ذلك بعدة أشياء : منها كفايته الدولة بالمهمات وهيبة الناس له ثم تحدث عن دهائه ـ وهو للشجعان ومن صفاتهم ـ ، وعن كرمه ـ وهو من أخلاقهم ـ ثم عاد إلى الشجاعة فعدّد بعض أعماله الحربية ، ومنها صَدُّه عن أهل الثغور هجوم الدمستق عليهم وما وقع للدمستق بعد ذلك من الهرب ، وهو فى خلال ذلك يؤكد كُلَّ فكرة بحكمةٍ تبقى على الدهر ، تردِّدها الألسنة كقوله :

١ ـ تُهابُ سيوف الهند وهى حدائد * ...

٢ ـ ويُرهَبُ ناب الليث والليث وحده * ...

٣ ـ ويخشى عباب البحر وهو مكانه * ...

٤ ـ كذا يَتْرُك الأعداءَ من يكره القنا * ...

٥ ـ أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه * ...

٦ ـ فحب الجبان النفس أورده التقى * ...

٧ ـ ويختلف الرزقان والفعل واحد * ...

هذا وقد سبق القول بأن (أفكاره متوائمة ـ فى أكثرها ـ) (١)

فقلت (فى أكثرها) لأنه قد يدخل بين الفكرة والفكرة فخراً بنفسه أو شاعريته وهذا يعد عدم توائم وتنافراً ، لأن المقام مقام مدح للغير ، ووصف لشجاعته وحروبه ، ولكن إذا علمنا أنه ما عمد إلى ذلك إلا لسيطرة عواطفه الشخصية على نفسه وما عرف عنه من حبه لذاته ، وضجره من الحياة ، إذا علمنا ذلك ،

---

(١) ص (٦٣٢) من الرسالة .

فسنعذره فى هذا ، لأنه قد أصبح عادةً له .

وإن كان هذا التسويغ ليس مطَّرداً فى كل حال وذلك فى مثل قوله :

يهز الجيش حولك جانبيه * كما نفضت جناحيها العقابُ
وتسأل عنهم الفلواتِ حتى * أجابك بعضُهُم وهُم الجوابُ
فقاتَلَ عن حريمهمُ وفرُّوا * ندى كفيك والنَّسَبُ القُرابُ
وحفظك فيهم سَلَفَى معدٍّ * وأنهم العشائر والصِّحابُ
تكفكف عنهم صم العوالى * وقد شرقت بظُعنهمُ الشِّعابُ
وأُسقطت الأجنة فى الولايا * وأجهضت الحوائلُ والسِّقابُ
وعمرو فى ميامنهم عمور * وكعب فى مياسرهم كِعابُ
وقد خذلت أبو بكر بنيها * وخاذلها قريظ والضِّبابُ
إذا ما سرت فى آثار قوم * تخاذلت الجماجم والرقاب
قَعُدنَ كما أُخِذْنَ مكرماتٍ * عليهن القلائدُ والمِلَابُ
يُثِبْنَكَ بالذى أوليت شكراً * وأين من الذى تولى الثوابُ
وليس مصيرهن إليك شيئاً * ولا فى صونهنّ لديك عابْ
ولا فى فقدهن بنى كلاب * إذا أبصرنَ غُرَّتَكَ اغترابْ
وكيف يتم بأسك فى أناس * تصيبهم فيؤلمك المصابُ (١)

ففكرة هذه الأبيات تدور حول مطاردته بنى كلاب وفرارهم ، ثم دفاعِ سيف الدولة عن حريمهم ، فى البيت الثالث ، ثم ذكر بعض آثار تلك المعركة ، ثم عود إلى النساء فى البيت العاشر وما بعده ثم طلب العفو فى البيت الرابع عشر .

---

(١) ديوانه (١/٢٠٥ — ٢٠٨).

فيلحظ تكرار الحديث عن النساء ، وعود الضمير (نون النسوة) بعد انقطاع ، وهذا ما يخل بالتوازم ، وقد لحظ ذلك الدكتور طه في ميزانه ، ولكنه اعتذر لابى الطيب بقوله : (وما جاء من بقية الحديث عن النساء غير متآخ مع الأبيات التى جاءت قبله ، وحقاً ، إن الفاصل بعيد بين الحديثين ، لكن إذا تذكرنا أن الحديث الأول كان خاصاً بوقت المعركة والحديث الثانى كان خاصاً بما بعد الحرب وإرجاع الأسرى إلى ذويهم ، لم يدهشنا هذا الفاصل فى الحديث . . .) (١)

ولكننى أرى أنه من الممكن أن يرتب المتنبى حديثَهُ ، فيبين آثار المعركة أولاً ثم يتحدث عن النساء وتكريمهنّ ثم يتحدث عن العفو وطلبه ، فيكون ترتيب الأبيات كالتالى :

يهزُّ الجيشُ حولك جانبيه * كما نفضت جناحيها العقاب
وتسأل عنهم الفلوات حتى * أجابك بعضها وهم الجواب
وأسقطت الأجنة فى الولايا * وأجهضت الحوائل والسقاب
وعمرو فى ميامنهم عمور * وكعب فى مياسرهم كعاب
وقد خذلت أبو بكر بنيها * وخاذلها قريظ والضباب
إذا ما سرت فى آثار قوم * تخاذلت الجماجم والرقاب
تُكَفْكِفُ عنهم صُمَّ العوالى * وقد شرقت بظعنهم الشعاب
فقاتل عن حريمهم وفروا * ندى كفيك والنسب القراب
وحفظك فيهم سلفى معد * وأنهم العشائر والصحاب
فعدن كما أخذن مكرمات * عليهن القلائد والملاب
يثبنك بالذى أوليت شكراً * وأين من الذى تولى الثواب
وليس مصيرهن إليك شيناً * ولا فى صونهن لديك عاب

(١) فى ميزان النقد الأدبى (٨٨).

ولا فى فقدهن بنى كـلاب * إذا أبصرن غرتك اغـتراب
وكيف يتم بأسك فى أنـاس * تصيبهم فيؤلمك المصـاب

وبهذا يحدث التواؤم وتترتب الأفكار لأن الحديث حينئذ جاء عن إخباره بملاحقة سيف الدولة لهؤلاء القوم حتى إذا ما وجدهم فى الصحارى وأحدث ما أحدث فيهم من إسقاط الأجنة وإجهاض الحوائل والسقـاب وتمزيقهم شذر مذر ـ عفا عنهم .

ونساؤهم فى حالة عفوه عنهم فى كل شعب ، فأخذهن وأكرمهـن لكرمه ولما يربطه بهم من النسب ومن ثم أعادهن معززات وهكذا . . .

أما عدم التواؤم الحاصل من فخره بنفسه أو شاعريته أثناء مدحـه ممدوحه فقد ذكرنا العِلّة فى ذلك عند حديثنا عن العاطفة .(١)

ب ـ الأفكار بين الوضوح والغموض :

الأفكار التى يعرض لها أبو الطيب فى شعره الحربى واضحةٌ لا غموض فيها ولا تعقيد ، فهو يعرض علينا شعره الحربى الذى يصور به شجاعـة ممدوحه وأجواءَ المعارك ، ومن ضرورياته الوضوح لنفهم عنه صوره الـتى يؤلفها خيالُه وقد كان كذلك فى أكثر صوره ومن ذلك قوله يذكر بناء سيـف الدولة مرعشاً :

فأضحت كأنّ السور من فوق بدئه * إلى الأرض قد شَقَّ الكواكبَ والتُربـا
تَصُدّ الرياح الهوج عنها مخافـة * وتفزع منها الطير أن تلقط الحبـا
وتردى الجياد الجرد فوق جبالها * وقد نَدَفَ الصِّنَّبرُ فى طُرقِها العُطُبَا(٢)

---

(١) ص (٦٢٥) من الرسالة .

(٢) ندف : غزل ، الصنبر : السحاب البارد والريح ، العطبا : القطن ومراده الثلج .

كفى عجبا أن تعجب الناس أنه * بنى مرعشاً تبّا لآرائهم تبّـــا
وما الفرق ما بين الأنام وبينـه * إذا حَذِرَ المحذور واستُصعبَ الصَّعْبا
لأمر أعدته الخلافة للعـــدا * وسمته دون العالم الصارمَ العضبا
ولم تفترق عنه الأسنة رحمـــةً * ولم يترك الشامَ الأعادى له حُبّـا
ولكن نفاها عنه غيرَ كريمـــة * كريمُ الثنا ، ما سُبَّ قط ولا سُبَّـا
وجيش يثنى كل طود كأنـــه * خُريقُ رياح واجهت غُصُنا رطبـا
كأن نجومَ الليل خافت مغاره * فمدت عليها من عجاجته حجبـا
فمن كان يُرضِى اللؤمَ والكفرُ ملكه * فهذا الذى يُرضِى المكارِمَ والرَّبا (١)

فأفكار هذه القصيدة كلها واضحة ، لا غموض فيها ، وشعر الحرب عامة لديه على هذا المنوال لأنه جاء في فترة نضجه الفنى ، وإن جاء فيـــه غموض ما، فليس من جهة الفكرة ، إنما من تصنيع حاوله ، أو تقديم أو تأخير أو حذف ، أو إغراق ، وهذا الغموض لا يكون فى كُلِّ الفكرة ، إنما يكـــون فى بيت واحد من القصيدة ، ويمكن لنا فهمه لو أمعنا النظر فيه ، ومـــن ذلك قولـــه :

ذى المعالى فليعْلُوَنْ من تعالى * هكذا هكذا وإلا فـــلا لا
شرف ينطح النجوم بروقيـــــه * وعزٌ يقلقل الأجبـالا
حالُ أعدائنا عظيم وســـيف الدولـــة ابن السيوف أعظم حالا
كلما أعجلوا النذيرَ مَسِـــيراً * أعجلته جيادُهُ الإعجـــالا
فأتتهم خوارق الأرض ما تحـــمل إلا الحديد والأبطـــالا
خافيات الألوان قد نسج النقـــع عليهـــا براقعـاً وجـــلالا

---

(١) ديوانه (١/ ١٩٢ — ١٩٥) .

حالفته صدورها والعـــولى * لَتخوضَنّ دونه الأهـــــوالا
ولتمضـن حيث لا يجد الـرمـــح مداراً ولا الحصانُ مَجَـــالا(١)

فأفكار هـذه القصيدة واضحة لا غموض فيها إلا البيت الرابـع فـإن الشراح قد حاروا فى فهم معناه واضطربوا فيه ، وهـذا ليس لغموض الفكـرة ولكنه لتركيبه ، فعود الضمير فى (أعجلته) ملبس ، هـل هو عائد إلـى أقرب مذكور وهما المسير أو النذير أو إلى سيف الدولة ، فالمتنبى لم يلتفت إلى هـذه القاعدة النحوية فأعاد الضمير إلى سيف الدولة مع وجود فاصل بينه وبين ذكره السابق ، ومما عقّد معناه وألبسه ثوب الغموض إحالته أيضا فـى معناه إذ كيف يمكن لجياد سيف الدولة أن تعجله الإعجال الذى يحاولـه أعداؤه ، فان معنى البيت : كلما حاول هؤلاء الأعداء سبقَ نذير سيـــف الدولة ، سبقت بسيف الدولة جياده سَبْقَهم ومحاولتهم سبق نذيره ، والسياق واضح على أن الضمير عائد إلى سيف الدولة والمتنبى لا يعـــبأ بالنحويين لأن سيف الدولة غير بعيد عن ذاكرته وإن بعـد فى الكـــلام هـذا على رواية البرقوقى ، فإن أخذنا رواية أبى العلاء :

كلما أعجلوا النذير مسيراً * أعجلتهم جياده الإعجـــالا(٢)

لم يكن فى البيت غموض من حيث تركيبه فمرجع الضمير ظاهـر ، ويبقى غموضه من حيث إغراقه وكون جياد سيف الدولة تسبق إستعجالهم لنذيرهـم أو نذير سيف الدولة على خلاف فى كونه نذير من ، فقد جعـل الإعجـــال يعجـــل .

---

(١) ديوانه (٣/٢٥٤ — ٢٥٦).

(٢) معجز أحمد تحقيق د / عبدالمجيد دياب ـ دار المعارف مصـــر ط الأولى ١٩٨٦م (٣/٥٠٢).

هذا وقد يأتى الغموض لديه أحياناً من عدم وضوح الصورة لديه إما لعمق خيالها أو من الخطأ فى التشبيه والتخيل وعدم الإحسان فيه ومن ذلك قوله :

كل ذِمْرٍ يزيدُ فى الموت حسناً * كبدور تمامها فى المَحَاق (١)

فإن الشراح قد تخبطوا فيه ،وماذاك إلا لعدم إحسانه التشبيه فإنه حاول أن يشبه هؤلاء الفرسان فى حبهم الموت ، وكأنهم لا تكتمل شجاعتهم وكرمهم إلا إذا ماتوا ، فشبههم بالبدور التى لا يكون تمامها إلا بعد مرورها بالمحاق ، ولكن التشبيه إذا لم يكن واضحاً فلاجمال فيه ، وفى غيره من الصور غنية عنه ، ولذا رماه بعض النقاد بالتناقض ، وبعضهم بعدم جدوى هذا التشبيه .(٢)

جـ ــ الأفكار بين العمق والسطحية :

عرف عن أبى الطيب عمقُ أفكاره ودقةُ معانيه وعدم سطحيتها فى سائر شعره وفى شعره الحربى خاصة ، ولقد بلغ قمة العمق فى سيفياته ، لأنه يعبر فيها عما يختلج فى نفسه ، ولقد تمثل هذا العمق فيما يلى :

أولا : تأثره بما حوله من أحداث ، وبخاصة الأحوال والملابسات المحيطة بشخصيته فترجمها فى شعره الحربى حكما خالدة ، وكذا تأثره ببعض صور الحرب ، ومن ثم تحويلها إلى صور مثاليّة للحياة ، ففشت من أجل ذلك الحكمة فى شعره ،ومن ذلك قوله حينما رأى هرب الدمستق :

---

(١) ديوانه (٣/ ١٠٦) بعد البيت السابق .

(٢) ديوانه (٣/ ١٠٦) حاشية ٤

ولكنه ولى وللطعن ســـورةٌ * إذا ذكرتها نفسه لَمَسَ الجنبـــا
وخلى العذارى والبطاريق والقرى * وشعث النصارى والقرابين والصلبا
أرى كلنا يبغى الحياة لنفســه * حريصاً عليها مستهاماً بها صَبّـــا
فحُبُّ الجبان النفس أورده التقى * وحبّ الشجاع النفس أورده الحربا
ويختلف الرزقان والفعل واحد * إلى أن يرى إحسان هذا لذا ذنبا (١)

فإنه لما رأى فرار هذا الجبان من حومة الوغى ، وتخليفه كل تلك الدوافع ــ الحافزة على الإقدام ــ حرصاً على حياته ، وَلَّدَ ذلك فى ذهنه حكماً عادت به إلى فكره العميق وعقله الباطن ، وأكدت نظرته إلى الحيـــاة فرأى أن كُلَّ الناس يريدونها لأنفسهم ويختلف هذا الحب بحسب مشاربهم ، فالجبان أحبها فهرب من الحرب حفاظاً عليها ليبقى دون موت ، والشجاع أحبها فألقى نفسه فى أتون الحرب ليبقى ذِكْرُهُ بعد ، فيحيا حياة خالدة وهكذا يفعل الرجلان الفعل الواحد ، فيرزقان بسببه رزقين مختلفـين :

أحدهما : رزق محمود ، والآخر رزق مذموم .

ثانياً : دقة تصويره للمعارك ، ومن هذه الدقة صار يفتّق الصورة الواحدة ، فيستخرج منها عدة صور ، ومن ذلك قوله من القصيدة السابقة :

لا ألوم ابن لاون ملك الـــــــــروم وإن كان ما تمنى محـــالا
أقلقته بنيّة بين أذنيــــــــــه وبانٍ بغى السماء فنـــالا
كلما رام حطّها اتسع البَنْــــــيُ فغطى جبينه والقـــــذالا
نزلوا فى منازل عرفوهـــا * يندبون الأعمام والأخـــوالا
تحمل الريح بينهم شعر الهـــــام وتذري عليهم الأوصـــالا

---

(١) ديوانه (١/١٩٠ ــ ١٩١) .

تنذر الجسم أن يقيم لديها * وتريه لكل عضوٍ مثالا
أبصروا الطعن فى القلوب دِراكاً * قبل أن يبصروا الرماح خيالا
وإذا حاولتْ طعانَك خيلٌ * أبصرت أذرع القنا أميالا
بسط الرعب فى اليمين يمنياً * فتولوا وفى الشمال شِمالا
ينفض الروع أيدياً ليس تدرى * أسيوفاً حملن أم أغلالا
ووجوهاً أخافها منك وجهٌ * تركت حسنها له والجمالا (١)

فإن هذه الأبيات اشتملت على ثلاث فكر رئيسة :

الأولى : وصفه نفسية ابن لاون ملك الروم فى سبب مهاجمته لهذه القلعة وذلك أنها أقلقته لوقوعها فى دياره ، ولكون صاحبها أعلى قدراً منه فكان كلما حاول مهاجمتها مريداً نقضها ، صدّه سيف الدولة عنها فزاد فيها ، لكن الشاعر لم يقل ذلك صراحة ، بل جاء بصور نفسية وخيالية زادت من بشاعة هذه التصويرات عنده ، فبدلاً من أن يجعلها فى أرضه وبين بلدانه جعلها بين أذنيه ، وبدلاً من أن يصف سيف الدولة ببلوغ ما يريده جعله يبلغ عنان السماء وبدلا من أن يجعل فشله فى هدمها وزيادة سيف الدولة فيها حقيقة وبلفظ صريح جعلها ما زالت باقية بين أذنيه مع زيادة فى الطول والعرض حتى غطّت رأسه والقذالا ، مما يشعر بشدة قلقه منها ، فهذا تصوير دقيق لنفسيته وخيال خصب من أبى الطيب .

الثانية : حديثه عن نزول هؤلاء الأعداء فى موقع معركة سالفة لهم مع سيف الدولة وتصويره بشاعة هذا المنزل على أنفسهم فى جعل كل ما حولهم يوحى إليهم بالخوف والفزع من ممدوحه ، مما جعلهم يندبون أعمالهم وأخوالهم الذين قضى عليهم سيف الدولة فى تلك المعركة

---

(١) ديوانه (٣/٢٥٧ - ٢٦١) .

فالريح إذا هبت كانت كالنذير لهم بألاّ يحصل لهم ما حصل لأسلافهم من قتل ، ولذا فهي تحرك بينهم شَعَرَ الهام ، وتفتت عليهم رفات أسلافهم كما ترى كلّ واحد منهم لكل عضو منه مثالاً من أعضاء سلفه ، قد مزق شر ممزق ، ونتيجة لهذا فقد تصوروا أن ما وقع لأسلافهم سيقع لهم ، فالطعن الذى لاقاه أسلافهم تصوروه هم قبل حدوث المعركة وكأنه قد صب عليهم فى قلوبهم تباعاً ،كل هذا يصور حالتهم النفسية ، وفيه دلالة على شجاعة سيف الدولة وخوف الأعداء منه ، ودقة خيال المتنبى وعمقِ فكرهِ ، وكيف استطاع أن يغوص إلى أعماق نفوسهم . وإلى أن يرى بمنزلهم هذا المنزل كلّ ما ذكر .

الثالثة : وصفٌ لحال الأعداء عند التقائهم بسيف الدولة وما بلغ فيهم من الخوف والفزع منه ، ودقةُ تصوير هذا الفزع تظهر فى أربع صور :

١ — جعل خيل أعدائه تفزع منه أيضاً كفزع أصحابها ، فتتخيل أن القناة قد صارت أميالاً ، لظنها أنها ستلحقها حتى ولو فرّت .

٢ — أن جعل الرعب يهىء لهم زيادة ميمنة وميسرة جيش ممدوحة ، فولوا هرباً لذلك وقال البرقوقى : (إن الرعب شاع فيهم وعمهم حتى كأنه بسط يمينه فى ميمنة جيشهم وشماله فى ميسرته ، فتولوا هاربين)[(١)] وقال ابن الافليلى : (المعنى بسط الرعب فى أيديهم أيدياً مثلها ، تمنعها من البطش فولوا مخذولين)[(٢)] والأول أرجحهما عندى .

٣ — جعل الخوف متمكناً منهم ، فهز أيديَهُمْ هزّاً عنيفاً ، حتى كأن السيوف التى فى أيديهم أغلالاً فيها ، دلالة على عدم غنائها عنهم .

(١ ، ٢) ديوانه ج ٢ (٣/٢٦١) .

٤ — جعل وجوههم سُلبَتْ حسنها وجمالها ، وتركته لممدوحه خوفاً من وجهه المقطب عليهم الكالح في وجوههم ، دلالة على خوفهم حتى من منظره في الحرب ، وعادة ما يرهب الأبطال خصومهم عند اللقاء .

وبهذا نرى كيف فتق المتنبي من المعنى الواحد عدة صور في قصيدة واحدة ، هذا وقد يكرر المعنى الواحد ويدقق فيه في عدد من القصائد ومن ذلك مثلاً معنى : عدم نفع السيف إذا لم يكن حامله شجاعاً (١) فإنه قال :

إن السيوف مع الذين قلوبهم * كقلوبهن إذا التقى الجمعان
تلقى الحسام على جراءة حده * مثلَ الجبانِ بكف كلِّ جبان (٢)

ثم أثبت القوة كلها للكف الضاربة به فقال :

إذا ضربت في الحرب بالسيف كفه * تبينتَ أن السيفَ بالكف يَضْرِبُ (٣)

ثم أعاده فقال :

إذا الهند سوت بين سيفَيْ كريهةٍ * فسيفُكَ في كَفٍّ يزيلُ التساويا (٤)

ثم نقله إلى الخيل والرماح فقال :

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا * إذا لم يكن فوق الكرامِ كرامُ (٥)

ومثله تكراره لمعنى تحطم السيوف والرماح (٦) فإنه قال :

---

(١) الوساطه (٢٨٨) .
(٢) ديوانه (٤/٣١٦ — ٣١٧) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٣) ديوانه (١/٣٠٦) من قصيدة يمدح بها كافورا .
(٤) ديوانه (٤/٤٣١) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٥) ديوانه (٤/١١٠) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٦) الوساطة (٣٢٧ — ٣٢٨) .

وهولٍ كشفتَ ، ونصلٍ قصفتَ * ورمحٍ تركتَ مباداً مبيدا (١)

ثم أعاده فقال :

فتسفرُ عنه والسيوف كأنما * مضاربُها مما انفللن ضرائبُ (٢)

ثم أعاد وزاد إذ جعل الحديد مقتولاً فقال :

قتلت نفوس العدا بالحديد حتى قتلت بهنَّ الحديدا (٣)

ثم كرره وزاد إذ جعله مقتولاً فى جسم القتيل وجعل للسيوف آجالاً فقال :

القاتلِ السيفَ فى جسم القتيل به * وللسيوف كما للناس آجالُ (٤)

ثم أعاد وزاد تشبيها فقال :

ومنعفرٍ لنصلِ السيف فيه * توارِى الضبِّ خاف من احتراشِ (٥)

وقال :

نُصَرِّفُهُ للطعن فوق حوادِرٍ * قد انقصفت فيهنَّ منه كعابُ (٦)

وقال وزاد :

ونالت ثأرها الأكبادُ منه * فأولته اندقاقاً أو صدوعا (٧)

---

(١) ديوانه (٢ / ٨٨) من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار الأسدى .

(٢) ديوانه (١ / ٢٣٥) من قصيدة يرثى بها محمدبنإسحاق التنوخى

(٣) ديوانه (٢ / ٨٩) من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار الأسدى .

(٤) ديوانه (٣ / ٣٩٩) من قصيدة يمدح بها أباشجاع فاتك (المجنون)

(٥) ديوانه (٢ / ٣١٨) من قصيدة يمدح بها أبا العشائر .

(٦) ديوانه (١ / ٣١٨) من قصيدة يمدح بها كافورا .

(٧) ديوانه (٢ / ٣٦٢) من قصيدة يمدح بها على بن إبراهيم التنوخى

ثالثاً : غوصه فى أعماق النفس الإنسانية :

وما نتج عن ذلك من دقة تحليل للنفس البشرية سواء أكانت نفسيته أم نفسية أعدائه أم أعداء ممدوحه وقد عُدَّت هذه الظاهرة ميزة امتاز بها عن غيره من الشعراء وكأنه أحدُ علماء التحليل النفسي.(١)

ومن مظاهر ذلك قوله فى رسولِ ملكِ الروم :

أتاك يكادُ الرأسُ يجحد عنقَهُ * وتنقدُّ تحت الذعر منه المفاصِلُ(٢)

فلا يكفى أن نقول إنه وصفه بشدة الخوف والاضطراب ، لأننا (هنا بإزاء ، معنى جديد أضافه المتنبى وابتكره ، وهو عجز الشخص عن استجماع أطراف نفسه ، حتى كأن أطرافه ينفر بعضها من بعض وأنها تنتقم من نفسها لجرأتها على المخالفة والعصيان)(٣)

وقوله :

أبصروا الطعن فى القلوب دراكاً * قبل أن يبصروا الرماح خيالا

ينفض الروع أيدياً ليس تدرى * أسيوفاً يحملن أم أغلالا(٤)

فإنه وصف شدة ما اعتراهم من الخوف حتى تخيَّل لذلك صوراً عدة منها أنهم لما رأوا ما حل بمن قبلهم من أعمامهم وأخوالهم خافوا من ذلك فكأنهم أبصروا الطعن الذى وقع بسلفهم قد وقع فى قلوبهم طعناً متتابعاً كل ذلك تخيلاً لا حقيقة فالرماح التى هى أدوات الطعن لم تر بعد .

---

(١) المتنبى بين ناقديه (١٢٠) .

(٢) ديوانه (٣/٢٣٣) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٣) المتنبى بين ناقديه (١٢١) .

(٤) ديوانه (٣/٢٦٠ — ٢٦١) .

ومن شدة الفزع ارتعدت أيديهم الحاملةُ للسيوف حتى لم يتمكنوا من معرفة ما تحمله أيديهم أسيوفًا تحمل أم أغلالاً لثقلها عليهم .

وقوله عن الدمستق لما هرب :

ولكنّه ولّى وللطعن سورةٌ * إذا ذكرتها نفسه لمس الجُنبا (١)

فإن شدة الفزع وما لحقه من الخوف جعلته غير مصدق بأنه غدا سالماً ، فيتفقد نفسه بين الحين والآخر هل سَلِمَ من الطعن الذى سمع دَوِيَّهُ .

وقولـه :

إذا ما سرت فى آثارِ قومٍ * تخاذلت الجماجمُ والرقابُ (٢)

فهذا البيت يكشف لنا (عن مدى استبداد الخوف بالنفوس ، ومدى استيلائه على الأفئدة حتى أصبح الخائفون أعواناً للممدوح على أنفسهم فتخونهم جماجمهم ورقابهم ،وتتخاذل حينما تعلم أن الممدوح سار فى أثرهم وخرج فى طلبهم ، فكان تلك الأعضاء أسهمت فى حلول العقاب بباقى أجزاء الجسم وكانت عوناً للممدوح على ذويها) . (٣)

ومثلـه :

يرى فى النوم رمحك فى كلاه * ويخشى أن يراه فى السهاد (٤)

وذلك غيض من فيض ، وما الحكم المنتشرة فى ديوانه إلا بعض هذا التحليل النفسى البارع منه .

---

(١) ديوانه (١/١٨٩) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢) ديوانه (١/٢٠٧) من القصيدة السابقة .

(٣) المتنبى بين ناقديه د/ شعيب (١٢٢) .

(٤) ديوانه (٢/٨٤) من قصيدة يمدح بها على بن إبراهيم التنوخى .

د ـ الأفكار بين التقليد والتجديد :

هناك معان مشتركة بين الشعراء يتواردون عليها ، فيعذرون فيما توافقوا فيه منها ، وذلك لأنه شيء لابد منه كالمدح بالكرم والشجاعة أو وصف الغزل والأطلال والطيف ، ولهذا فنحن سنعذر المتنبي فيما جاء من ذلك لديه مما يوهم التقليد .

ولقد تحدث الدكتور طه عن هذه النقطة فقال : (أما عن التقليد في بعض الصور البيانية فقد لاحظنا أن ذلك يأتي في الأغراض التي يتكلفها المتنبي تكلفاً ، والتي لا يقولها لذاتها ، وإنما يتخذها وسيلةً إلى غرض آخر) (١).

ولقد مُنِي المتنبي بنقادٍ تتبعوا كل شعره ، فاتهموه بسرق الكثير منه ، وجُلّ ما أتوا به من ذلك هو من قبيل هذه المعاني العامة ، وقد دافع عنه القاضي الجرجاني في ذلك خير دفاع في كتابه (٢).

والذي يهمنا هنا هو معرفة مدى تجديد أبي الطيب في أفكاره في قصائده الحربية ، والواقع أن صور شعره الحربي أكثرها جديد لم يسبق إليه فهو (يأخذ فيه من معين نفسه ولا يتلكأ خياله ليستقي من معين غيره) (٣)

ومن هذه الصور قوله في بناء قلعة الحدث :

بناها فأعلى والقنا يقرع القنا * وموج المنايا حولها متلاطمُ
وكان بها مثل الجنون فأصبحت * ومن جثث القتلى عليها تمائمُ

---

(١) الخيال الشعري عند أبي الطيب المتنبي (٢٠٥) .

(٢) الوساطة (ص ٢١٤ ـ ٤١١) ففيها أحكام واتهام بالسرقة لم يسلم به القاضي الجرجاني .

(٣) الخيال الشعري عند أبي الطيب المتنبي (٢١١) .

...

أتوك يجرون الحديد كأنّما * سروا بجياد مالهن قوائمُ
إذا برقوا لم تُعْرَف البِيْضُ منهم * ثيابُهُمُ من مثلها والعمائِمُ
خميس بشرق الأرض والغرب زحفه * وفي أذن الجوزاءِ منه زمازِمُ

قال الشراح : (لم يسمع في وصف جيش مثل هذا ...) (١)

...

وقفت وما في الموت شكٌ لواقف * كأنّك في جفن الردى وهو نائِمُ
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة * ووجهك وضاحٌ وثغرُك باسِمُ
تدوس بك الخيلُ الوكورَ على الذُّرَى * وقد كثرت حولَ الوكورِ المطاعِمُ
تظن فراخُ الفتخ أنّك زرتَهَا * بأمّاتِهَا وهي العتاق الصلادِمُ
إذا زلقتْ مشّيتَهَا ببطونها * كما تتمشى في الصعيد الأراقِمُ (٢)

فهذا كله من قصيدة واحدة .

وقوله :

وربّ جواب عن كتاب بعثتَهُ * وعنوانُهُ للناظرين قتامُ
تضيق به البيداء من بعد نشره * وما فضّ بالبيداء عنه ختامُ
حروفُ هجاء الناس فيه ثلاثةٌ * جوادٌ ورمحٌ ذابلٌ وحسامُ

ومن الأفكار الجديدة في شعره الحربي استعماله معاني الغزل والنسيب في أوصاف الحرب والجِدّ وهو (مما لم يسبق إليه وتفرّدَ به ، وأظهر فيه الحذق بحسن النقل ، وأعرب عن جودة التصرف والتلعُّب بالكلام) (٣) كقوله :

---

(١) ديوانه حاشية(١) (٤ / ١٠٠) .
(٢) ديوانه (٤ / ٩٦ — ١٠٥) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٣) يتيمة الدهر (١ / ١٩٣) .

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل * والطعن عند محبيهن كالقبل (١)

(فقد عهدنا حديث القُبَلِ فى مواقف الغرام بين العاشقين ، فإذا شُبِّه بها الطعن فى الحرب الذى قد يصيب المحارب ، فليس لذلك من وجه إلا التلذذ بها فى سبيل الوصول إلى عزة الملك وهيبة السلطان) (٢)

وقولـــه :

وقد علم الروم الشقيون أننـــا * إذا ما تركنا أرضَهُمْ خلفنا عُدْنـــا

وأنا إذا ما الموت صرَّح فى الوغى * لبسنا إلى حاجاتنا الضرب والطعنا

قَصَدْنَا له قصد الحبيب لقـــاؤه * إلينا،وقلنا للسيوف هَلُمَّنَـــا (٣)

فقد شبه حرصهم على الموت وحبهم للقتال بمن يحرص على لقـــاء حبيبه لشدة محبته له ، وفيه ما فيه من نفى مظنة التهيب أو الخوف من لقاء الأعـــداء .

وقوله عن خيل ممدوحه :

ملاقيةً نواصيهـــا المنايـــا * معوَّدةً فوارِسُها العناقَـــا (٤)

(فكلمة العناق ، لا تستعمل إلا فى مواقف الشوق ، وفى التعبير من فرحة اللقاء فإذا كان هذا فى الحرب والقتال فإنه يوحى بسعادة المقاتل وهو يصارع الأبطال ، وبأنه مدفوع إلى ذلك بدافع الهوى الذى يملأ قلبه ، وفى هذا كله إشارة ورمز إلى القلب الجسور الذى تعَوَّد أن يلقى مصارعيه دون فاصل بينه وبينهم) (٥)

---

(١) ديوانه (٣ / ١٦٣) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢) الخيال الشعرى عند أبى الطيب د / طه أبو كريشة (٦٢-٦٣) .

(٣) ديوانه (٤ / ٣٠٠) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٤) ديوانه (٣ / ٤٥) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٥) الخيال الشعرى عند أبى الطيب د / طه أبو كريشة (٦٢) .

ومثل هذه الأبيات كثير في شعره، مما لفتت أنظار الباحثين فلقد قال الدكتور/ محمد شعيب (والذى نراه أن المتنبى وقد أدرك ما أدرك من الحروب مع سيف الدولة ، وخاض ما خاض من المعارك شعر بلذة النصر وما تستشعره النفس من فرح وغبطة وسرور بالانتصار على الأعداء ، ونشر السلطان عليهم وعلى بلادهم . . . من أجل ذلك هام بها المتنبى وتغنى بذكرها كما لو كانت شيئا حبيباً إلى نفسه أثيراً لدى فؤاده) . (١)

ومن الجديد له في هذا المجال : حسن تصرفه في مديح سيف الدولة بجنس السيفية (٢) فإنه (اتخذ من اسمه أوسمة وقلائد حلّى بها صدر ذلك الأمير ، بصورة لم يسبق إليها شاعر) (٣)

ومن ذلك قوله :

لولا سمي سيوفه ومضاؤه * لما سُلِلْنَ لَكُنّ كالأجفانِ (٤)

وقوله :

كل السيوف إذا طال الضراب بها * يَمَسُّهَا غيرُ سيف الدولة السَّأمُ (٥)

وقوله :

تهاب سيوف الهند وهى حدائد * فكيف إذا كانت نزارية عُرْبَا (٦)

---

(١) المتنبى بين ناقديه فى القديم والحديث د / محمد عبد الرحمن شعيب (١٠٠ — ١٠١) .

(٢) يتيمة الدهر (١/ ١٨٥) .

(٣) اله (١١٥) .

(٤) ديوانه (٤/ ٣٠٨)

(٥) ديوانه (٤/ ١٣٠) .

(٦) ديوانه (١/ ١٨٦) .

وقولـــــه :

لقد سلَّ سيفُ الدولةِ المجدَ مُعْلَمَاً * فلا المجد ثانيه ولا الضربُ ثالمُــهْ

على عاتق المَلْكِ الأغرِّ نجــــادُهُ * وفى يد جَبّار السمواتِ قائمُـــــهْ

وإن الذى سمى (عليّاً) لمنصفٌ * وإن الذى سماه (سيفاً) لظالمه

وما كل سيف يقطع الهام وحـــده * وتقطعُ لزباتِ الزمان مكارِمُهْ (١)

وغيرها من الأبيات التى (يشهد لها المقام والمناسبة التى قيلت فيها أنها جيده مبتكرة ، وأنها حمت نفسها أيضاً من الإغارة عليهـــــا لملابستها للمقام ملابسة يستحيل انتزاعها منه) (٢)

ومما جاء له من التقليد مما عده بعض العلماء سرقات من شعــــره الحربى قوله :

وكلّ فتى للحرب فوق جبينــه * من الضرب سطرٌ بالأسنة معجَّمِ (٣)

فإنه من قول أبى تمام :

كَتَبَتَ أوجههم مشقاً ونمنمةً * طعناً وضرباً يَفُلّ الهامَ والقُلَلَا (٤)

وليس فيه إلا أنهما جعلا كتابة فى الوجه وأبو الطيب قد زاد فيــه بأن جعلها سطور كتابة معجمة حيث جعل ضرب السيف طولاً سطراً وطعــن الرمح إعجاماً .

---

(١) ديوانه (٤/ ٩ ه ـــ ٦١) .

(٢) المتنبى بين ناقديه د/ شعيب (١١٥) .

(٣) ديوانه (٤/ ٧٥) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٤) الوساطة (٢٢٤) .

وقولـــه :

وأسمر ذى عشرين ترضاه وارداً * ويرضاك فى إيراده الخيل ساقيا (١)

فإنه من قوله عبد الله بن طاهر :

أخو ثقةٍ أرضاهُ فى الروع صاحباً * وفوقَ رضاه أننى أنا صاحبُهْ (٢)

وقولـــه :

تحمى السيوف على أعدائه معه * كأنهن بنوه أو عشــــائرُهُ (٣)

فإنه من قول أبى تمام :

كأنّها وهى فى الأوداج والغـةٌ * وفى الكلى تجد الغيظ الذى يَجِدُ (٤)

وهو من قول النّمْرى :

ومصلتاتٍ كأنّ حقــــداً * بهـا علـى الهام والرقــابِ (٥)

وبيت أبى الطيب فيه استعارة زادته لطفاً وتشبيهٌ زاده جمالاً :

" تحمى " " كأنهن بنو أو عشائره "

وقولـــه :

يرى فى النوم رمحك فى كـلاه * ويخشى أن يراه فى السـهادِ (٦)

فإنه من قول أشجع السلمى :

وعلى عدوك يابن عم محمــد * رصدان ضوءُ الصبحِ والإظــلام
فإذا تنبه رعته ، وإذا غفا * سَلّتْ عليه سيوفَكَ الأحــلامُ (٧)

---

(١) ديوانه (٤ / ٤٣٠) من قصيدة يمدح بها كافورا .
(٢) الوساطة (٢٢٧) وديوان المتنبى (٤ / ٤٣٠) حاشية (٢) .
(٣) ديوانه (٢ / ٢٢٤) من قصيدة يمدح بها جعفر بن كيْغلغ .
(٤ ، ٥) الوساطة (٢٤٨) وديوان المتنبى (٢ / ٢٢٤) حاشية (١) ويرى المحقق أن البيت الثانى للبحترى وليس للنمرى ، وأظنه تصحيف .
(٦) ديوانه (٢ / ٨٤) من قصيدة يمدح بها على بن إبراهيم التنوخى .
(٧) الوساطه (٢٥٣) ودوان المتنبى (٢ / ٨٤) حاشية (٢) .

(فقصر المتنبى فى ذكر (السهاد) لأنه أراد أن يقابل بها النوم ، وبذلك يتم المعنى وليس كل يَقَظَةٍ سهاداً ، إنما السهاد امتناع الكرى فى الليل ، ولا يسمى المتصرف فى حاجته بالنهار ساهداً وإن كان مستيقظا).(١)

وقولــــه :

وضاقت الأرض حتى كان هاربُهُم * إذا رأى غيرَ شيءٍ ظنَّه رَجُلا (٢)

فإنه من قول جرير :

ما زال يحسِبُ كُلَّ شيءٍ بعدهُمْ * خيلاً تَكرُّ عليهمُ ورجالا (٣)

فبالغ وأحالَ وقصّر عن بيت جرير .

وقولــــه :

أعدوا رماحاً من خضوع فطاعنوا * بها الجيش حتى رَدَّ غربَ الفيالق (٤)

فإنه من قول أبى تمام :

فحاط له الاقرارُ بالذنب روحه * وجثمانه إذ لم تَحُطْهُ قنابِلُهْ (٥)

لكن أبا الطيب قد فاقه فى الخيال إذ جعل من الخضوع رماحاً .

وهناك أبيات أخر ليس المقام مقام استقصاء لها إنما المراد من ذلك التدليل على أنه قد يقلد فى بعض معانيه وقد يحصل تفاوت أثناء هذا التقليد .

---

(١) الوساطه (٢٥٣) .

(٢) ديوانه (٣/٢٨٧) من قصيدة يمدح بها سعيد بن عبدالله الكلابى وهو أيضا من قوله تعالى (يحسبون كل صيحة عليهم) المنافقون (٤) .

(٣) الوساطة (٢٦٣) وديوان المتنبى (٣/٢٨٨) تتمة حاشية (٥) .

(٤) ديوانه (٣/٧٢) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٥) الوساطة (٢٨٦) وديوان المتنبى (٣/٧٢) حاشية (٢) .

هـ ـ الأفكار بين المبالغة والاقتصاد :

المبالغة والإفراط (مذهب عام في المحدثين وموجود كثيراً في الأوائل ، والناس فيه مختلفون ، فمستحسن قابل ، ومستقبح راد)(١) فمن قائل (خير الشعر أكذبه)(٢) أي المبالغ فيه ومن قائل : (أحسن الشعر ما قارب فيه القائلُ إذا شبه ، وأحسن منه ما أصاب الحقيقة فيه)(٣).

ويرى النقاد أن المبالغة سمة من سمات القرن الثاني اهتم بها شعراؤه (وظل هذا الاهتمام ينمو شيئاً فشيئاً حتى قدم القرن الرابع فغدت المبالغة في اختيار المعاني ظاهرة أدبية عامة ، وسمة مضمونية بارزة في أغلب ما أثر عن شعرائه ، في موضوعاتهم الشعرية الجادة)(٤)

وأبو الطيب من جملة شعراء هذا القرن ، متأثر بما حوله ، ولكن كعادته في حيازة قصب السبق ، فقد قال عنه ابن رشيق : (... فإذا صرت إلى أبي الطيب صرت إلى أكثر الناس غلوّاً ، وأبعدهم فيه همّة ، حتى لو قدَرَ ما أخلى منه بيتاً)(٥) وقد لحظ ذلك الثعالبي فعدها من معائب شعره.(٦)

---

(١) الوساطة (٤٢٠) .

(٢) أسرار البلاغة ـ عبد القاهر الجرجاني (٢٣٦) .

(٣) العمدة (٢٨٧) والقول للمبرد .

(٤) اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري من خلال كتاب اليتيمة د / نبيل خليل أبو حاتم ، دار الثقافة ـ الدوحة ط الأولى ١٤٠٥ هـ . (١١٩)

(٥) العمدة (٢٨٩) .

(٦) يتيمة الدهر (١/١٦٤) .

وقد عدها الدكتور طه حسين من مقومات فنّه فقال : (ومجال الشعر عند المتنبى . . . راجع إلى هاتين الخصلتين الفنيتين : المطابقة من ناحية والمبالغة من ناحية أخرى . . .) (١)

وكل ما مضى من قول ابن رشيق والثعالبى والدكتور طه حسين عام فى شعره كله ، والواقع أننا لو تتبعنا شعره لرأينا هذه الظاهرة تظهر كثيراً فى شعر فترة ما قبل سيف الدولة وما بعده ، وذلك لأنه مدح سيف الدولة مدحاً صادقاً من قلبه فوجد للقول فيه مجالاً ، فمدحه مدحاً مدعّماً بالحقائق حيث الحروب التى خاضها مع الأعداء ، والسمات البارزة فى شخصية ممدوحه ، وهذا لا يعنى خلو هذا الفترة من المبالغات مطلقاً ، ولكنها مبالغات — فى الغالب — سائغة مقبولة ليس فيها إحالة أو إغراق .

هذا ومبالغات أبى الطيب فى شعره الحربى — فى أكثرها — مقبولة ، وشعر الحرب تزيده المبالغات التى لم تصل إلى حد الإغراق والإحالة تصويراً وتأثيراً ومن ذلك قوله :

عجاجاً تَعْثُرُ العِقْبَانُ فيه * كأن الجو وعثٌ أو خَبَارُ (٢)

فجعل العقبان تعثر فيه لكثرته ، واستخدم (كأنّ) التى تخفف من المبالغة وشبهه بالأرض الوعثة اللينة أو الخَبَارُ التى قد وقع عليها المطر فصارت طيناً لازباً .

ثم أعاده فقال فى موضع آخر :

عقدت سنابكها عليها عِثْيَرَاً * لو تبتغى عَنَقَاً عليه لأمكنا (٣)

---

(١) مع المتنبى (٥١) .

(٢) ديوانه (٢/٢٠٦) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٣) ديوانه (٤/٣٣٦) من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار .

(وهذا اكثر مُغالاة من الأول)[١] ولكنه مقبولٌ لأنه شرط بـ (لـــو)
ولما فيه من تصوير كثرة الغبار المرتفع من جراء إغارة الخيل وكثافته .

وقولـــه :

نثرتَهُمُ فوق الأُحيدب كلـه * كما نثرتْ فوق العروسِ الدراهِمُ[٢]

فهذا مقبول لإمكان وقوع ذلك ولما فيه من تصوير بديع .

وقولـــه :

فقد مَلَّ ضوءُ الصبح مما تغيره * ومَلَّ سوادُ الليل مما تزاحمُـــهْ
ومَـلّ القنا مما تدق صـــدوره * ومَلَّ حديد الهند مما تلاطمُهْ[٣]

وهذا أيضا مقبول لموقع الاستعارة منه ولما فيه من عمق الخيال .

وقولـــه :

وجيشٍ يُثَنّى كلَّ طود كأنَّـــه * خريقُ رِياحٍ واجهت غُصُنًا رَطْبًا[٤]

أى وله جيش ينفي الأذى عنه إذا جاور جبلاً آخر من كثرته صـــار جبلين ، وهذا ــ أيضاً ــ لكثرة الجيش ولما فيه من عُدَدٍ وأعلام مرتفعـــة تبدو من بعيد وكأنها جبال لكثرتها وارتفاعها ، وقد أعاد هذا المعنى فقـــال :

تغيب الشواهق فى جيشه * وتبدو صغاراً إذا لم تغـــب[٥]

هذا والمبالغات التى أحال فيها رُدَّت عليه إمّا لعدم إمكـــان

---

(١) المثل السائر (٣/٢٢٤) .
(٢) ديوانه (٤/١٠٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٣) ديوانه (٤/٥٥) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٤) ديوانه (١/١٩٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .
(٥) ديوانه (١/٢٣٠) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

وقوعها أصلاً أو لمخالفتها الشريعة ولما فيها من تنقُّص للــدّين ، فمــن الأول قولــه :

كأنّها تتلقاهم لتسلُكَهُــم * فالطعن يفتح فى الأجواف ماتَسَعُ (١)

فقد جعل من طعن الفرسان أعداء ممدوحه ما يمكن الخيل مــن المرور داخل تلك الطعنات (وعلى هذا ورد قول قيس بن الخطيم :

ملكتُ بها كفى فأنهَرْتُ فتقَهَا * يرى قائمٌ مِنْ دونِها مَنْ وراءهــا

لكنْ أبو الطيب أكثر غلواً فى هذا المعنى ، وقيس بن الخطيــم أحسن ، لأنه قريب من الممكن ، فإنّ الطعنة تنفذ حتى يتبين فيها الضوء وأما أن يجعل المطعون مسلكا يُسْلَكُ كما قال أبو الطيب فإن ذلك مستحيل) (٢)

وقولــه :

فبعده وإلى ذا اليوم لو رَكَضَتْ * بالخيل فى لهوات الطفل ماسعلا (٣)

فقد أحال بتصغيرهم،هم وخيلهم وجعلهم أقل من الذَّرِ حتى لــو ساروا فى حنجرة طفل ما شعر بهم فسعل ، وقلتُ أقلّ ولو قاربت لقلتُ مثل الهباء ، فهو الذى لو وقع فى حلق صبى ما شعر به ، أما الذر فيشعر بــه الكبير والصغير .

ومن الثانى قوله عن نفسه :

فهو أمضى فى الروع من ملك الموت * وأسرى فى ظلمة من خيــال (٤)

---

(١) ديوانه (٢ / ٣٣٦) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢) المثل السائر (٣ / ٢٢٥) .

(٣) ديوانه (٣ / ٢٨٧ — ٢٨٨) من قصيدة يمدح بها سعيد بــن عبد الله الكلابى .

(٤) ديوانه (٣ / ٣١٠) من قصيدة يمدح بها عبد الرحمــن ابن المبارك الأنطاكى .

ففضل نفسه على ملك الموت ، معاذ الله من ذلك .

وقولـــه :

ويستكبرون الدهر والدهر دونه * ويستكبرون الموتَ والموتُ خادمُه[1]

يقول : (هم يعدون الدهر كبير الأثر عظيم الشأن ، لما يفعله من إسعاد قوم وإشقاء آخرين ، والدهر دونه ، لأنه طوع لـــه ، لا يفعل من ذلك إلا ما كان على هواه ، و يعظمون الموت لأنه أعظم حادث والموت خادمه ، لأنه ينفذ أوامره فى أعدائه)[2]

وقولـــه :

وتملك أنفس الثقلين طـــرأً * فكيف تحوز أنفُسَها كـــلابُ[3]

وكل ما سبق من أبيات هذا القسم الثانى ناتج عن رقة فى الديـن وإبعاد فى الادعاء وقد يؤدى إلى كفره .

وبهذا نأتى إلى ختام الحديث عن خصائص شعر الحرب عنـــد المتنبى .

---

(١) ديوانه (٤ / ٦٠) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٢) ديوانـــه (٤ / ٦٠) حاشية ٣

(٣) ديوانه (١ / ٢٠٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

الفصل الثالث

الموازنة بين الخصائص الفنية لشعر الحرب عند الشاعرين

بين خصائص الشكل :

- في الألفاظ والتراكيب .
- في الصورة البيانية .
- في القيم الصوتية .
- في البناء الفني لقصيدة الحرب عند الشاعرين .

بين خصائص المضمون :

- في التجربة الشعرية .
- في العاطفة .
- في الأفكار .

الموازنة بين الخصائص الفنية لشعر الحرب عند الشاعرين

١ - من حيث الشكل

أولاً : فى الألفاظ والتراكيب :

أ ـ الألفـاظ :

كان الشاعران حريصين على اختيار ألفاظهما ، ملائمة للغرض ، جامعة بين الجزالة والفصاحة ، محتوية لأشهر مفردات الشعر الحربـــى بيد أن المتنبى أجزل ألفاظاً من البحترى .

ولعلنا نعذر البحترى فى هذا فإن شعره مرَّ بطورين :

الطور الشامى : وكان يحتفى به فى شعره كثيراً فيختار له أجزل الكلمات ، ويكثر فيه من البديع لاحتذائه أبا تمام ولمدحه قادة عرباً خُلَّصاً .

الطور العراقى : وفيه اتصل بالخلفاء فرقَّقَ ألفاظ شعره مراعـــاة لطبيعتهم ، واتباعاً لتوجيهات الفتح له بذلك .(١)

أما المتنبى فأكثر شعره فى بدر بن عمار وأبى العشائر وسيـــف الدولة وهم قادة أدباء ، احتفى بشعره من أجلهم .

ولا يعنى هذا عدم وجود ألفاظ جزلة فى شعر البحترى الحربـــى فإن فيه الكثير ، لكنه ليس بمثل الكثرة التى نجدها فى شعر المتنبى ومن أمثلة ذلك لدى البحترى قوله :

---

(١) ص (٥٧) من الرساله .

معاقلهم سمر القنا وكنوزُهُــم * شريجان أسيافٌ وقمصُ حديــد
إذا غمراتُ الموتِ أدجت تكشفتْ * بهم عن أسـود زوحفـت بأسـودِ
هم أخمدوا نار العدو وأوقدوا * من الحرب ناراً غير ذات خمـودِ
بشهباء من ماء الحديد كأنها * جبال شروري أضرمت لوقـودِ
تريك إذا ماالحرب غامت سماؤها * نجوم صعادٍ في سماء صعيـدِ
فلم يبق من أعدائهم غير موغـل * به الخوف أو نائي المحل شريـدِ
يمزقهم وقع الصفيح فموثــق * أسير ومسلوبُ الحشاشة مودِ (١)

فإنه قد استخدم كلماتِ جزلة ، قوية الجرس ، معاقلهم ، القنـا ، كنوزهم ، شريجان ، قمص ، غمرات ، أدجت ، تكشفت ، زوحفـت ، أخمـدوا .

ومن قول المتنبي :

فلله وقت ذوب الغش نــاره * فلم يبق إلا صارم أو ضبـارمُ
تقطّع مالا يقطع الدرع والقنـا * وفرّ من الأبطال من لا يصـادمُ
وقفت ومافي الموت شكٌّ لواقـف * كأنّك في جفن الردى وهو نائـمُ
تمر بك الأبطالُ كلمى هزيمـةً * ووجهك وضاح وثغرك باسـمُ
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى * إلى قول قوم أنت بالغيب عالـمُ
ضممت جناحيهم إلى القلب ضمّةً * تموت الخوافي تحتها والقـوادمُ
بضرب أتى الهامات والنصر غائب * وصار إلى اللباب والنصر قادمُ (٢)

فإنه استخدم كلمات جزلة ، قوية الجرس ، صارم ضبارم ، تقطع يقطع ، فر ، يصادم ، كلمى هزيمة ...

---

(١) ديوانه (٢/ ٧٧٩) من قصيدة يمدح بها بني الفصيص .
(٢) ديوانه (٤/ ١٠١ — ١٠٣) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

وزاد المتنبى على البحترى فى الإكثار من الحروف المفخمة الطاء والظاء والصاد والضاد .

هذا ويحمد للبحترى خلو شعره من غريب اللغة ووحشيها - فى الأعم - بينما نجد المتنبى يتعمد ذكر بعض الغريب الوحشي وإن كان فى شعره الحربى قليلاً ، إلا أنه من معائب شعره .

ب ـ التراكيب :

جمل تراكيب الشاعرين حسنة السبك جيدة التأليف منتقاة ، الجزالة غالبة على أفرادها بيد أنها لدى البحترى تختفى وراء حسن النغم الذى يحرص عليه .

وللتراكيب عندهما دلالة ظاهرة ، ولذا فهما ينتقيانها بحيث لو وضع غيرها مكانها لم يف بالمعنى المراد .

كما تتراوح جمل تراكيبهما بين الخبرية والإنشائية ، والخبرية لديهما أكثر لكون الغرض منصباً على الإخبار بأخلاق وأفعال ممدوحيهما ، وما خاضاه من معارك .

وأكثر ما تكون الجمل الإنشائية لدى البحترى فى مطالع قصائده لما فى استخدام الأسلوب الإنشائى من شد لانتباه السامع .

أما المتنبى فأكثر ما تكون جمله الإنشائية داخل قصائده .

هذا ويحمد للبحترى خلو تراكيبه من التقديم والتأخير الذى يؤدى إلى تعقيد الكلام تعقيداً تضل فيه المعانى ، وذلك لكونه حريصاً على التناسق الداخلى المؤدى إلى جمال الإيقاع ، ولذا جاء أسلوبه سهلاً ممتنعاً كل يظن أنه يؤلف مثله وهو لا يستطيعه حقيقة .

ونجد المتنبي يكثر من التقديم والتأخير ويحسن استثمار ذلك بحيث يجعل منه أداة تبهر المتابع له فيقرأ شعره بتأنٍ وتؤده محاولاً ربط أوله بآخره .(١)

ومما عيب عليه أيضا عدم إحسانه استخدام حروف الجر والضمائر بحيث يؤدى استخدامه لها إلى معاظلة لفظية .

هذا وقد اختص المتنبى بخصائص تركيبية منها حسن التقسيم.(٢)

وسنعرض هنا لموازنة بينهما فى تراكيبهما ومحاسن ذلك ومساوئه

فقد قال البحترى :

حتى إذا ما الحية الذكر انكفا * من أرزن حنقاً يَمُجّ حريقَا

غضبانَ يلقى الشمس منه بهامَةٍ * تُعْشِى العيونَ تألُّقاً وبريقَا

أو فى عليه فظن من دهش به * البَرَّ بحراً والفضاءَ مضيقَا

غدرت أمانيه به وتمزقت * عنه غيابَةُ سكره تمزيقَا

طلعتْ جيادك من ربا الجوديّ قد * حُمِّلنَ من دفع المنون وسُوقَا

يطلبنَ ثأر الله عند عصابةٍ * خلعوا الإمامَ وحالفوا التوفيقا

يرمون خالقهم بأقبح فعلهم * ويحرفون كتابه المنسوقا

فدعا فريقاً من سيوفك حتفُهُمْ * وشددت فى عقد الحديد فريقا

ومضى ابن عمرو قد أساء بعمره * ظنّاً يُنَزّقُ مهرُهُ تَنْزِيقَا

ركبتْ جوانحُهُ قوادِمَ رُوعِهِ * يخذفنه خذفَ المريرِ الفُوقَا

فاجتاز دجلة خائضاً وكأنّها * قعبٌ على باب الكُحَيل أريقا

لولا اضطراب الخوف فىأحشائه * رَسَبَ العبابُ به فماتَ غريقَا

هيهات مارسَ قُلقُلاً متيقّظاً * قلقاً إذا سكن البليدُ رشيقا

مستسلفاً جعل الغبوق صبوحه * ومرى صبوح غدٍ فكان غبوقا (٣)

(١) ص (٥٢٨) من الرسالة .

(٢) ص (٥٢٩) من الرسالة .

(٣) ديوانه (١٤٤٩/٣) من قصيدة يمدح بها أباسعيد ويذكر قتاله محمداً الشاري .

وقال المتنبى :

أتاهم بها حشو العجاجة والقنا * سنابكها تحشر بطون الحمالِق
عوابس حلّىٰ يابس الماء حزمَها * فهنّ على أوساطها كالمناطِق
فليت أبا الهيجا يرى خلف تدمر * طوالَ العوالى فى طوالِ السمالِق
يفرق ما بين الكماة وبينها * بضرب يسلى حرُّه كُلَّ عاشِق
أتى الظعن حتى ما تطير رشاشَةٌ * من الخيل إلا فى نحور العواتِق
بكل فلاة تنكر الأنسَ أرضُها * ظعائنُ حمرُ الحَلْى حمرُ الأيانِق
وملمومةٍ سيفيةٍ ربعيّةٍ * يصيح الحصى فيها صياح اللقالِق
بعيدة أطراف القنا من أصوله * قريبة بين البَيْض غبر اليلامِق
توهمها الأعرابُ سورةَ مترفٍ * تذكره البيداءُ ظلَّ السرادِق
فذكرتهم بالماء ساعة غبرت * سماوة كلب فى أنوف الخرانِق
وكانوا يروعون الملوك بأن بدوا * وأن نبتت فى الماء نبت الغلافِق
فهاجوك أهدى فى الفلا من نجومه * وأبدى بيوتاً من أداحى النّقانِق
وأصبر عن أمواهه من ضبابه * وآلف منها مقلة للودائِق
وكان هديراً من فحول تركتها * مهلبة الأذناب خرس الشقائِق
فما حرموا بالركض خيلَك راحةً * ولكن كفاها البرُّ قطعَ الشواهِق
ولا شغلوا صم القنا بقلوبهم * عن الركز لكن عن قلوب الدماسِق (١)

فالقصيدتان من بحرين يصلحان لغرض الحماس ووصف الحرب ، وحرف الروى واحد ، وهما فى وصف حال الخارجين على ممدوحيهما ، والبحترى اختار بحر الكامل وقافية على وزن (فعيلا) والمتنبى اختار بحر الطويل وقافية على وزن (فاعل) فقافية البحترى أسهل ، ولهذا فقافية المتنبى

---

(١) ديوانه (٣/ ٦٥ — ٧٠) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

ستكون أجزل ، وسيكلفه عسر القافية كلماتٍ غريبةً وهذا ما كان فعلاً ، فكثير من قوافيها غريب وحشي .

وقصيدة البحترى قليلة الحذف أو التقديم والتأخير وهذا أسلوبه فإنه يعتمد على كلام متصل لا يحتاج منه إلى تقديم أو تأخير بخلاف المتنبى فإن أكثر القصيدة قائم على التقديم والتأخير والحذف ، لكنّ تقديمه وتأخيره هنا وحذفه غير مخل بنظم القصيدة .

فمما قدم فيه وأخر قوله :

سنابكها تحشو بطون . . . فأصله تحشو سنابكها بطون . . .

وقوله :

فهن على أوساطها كالمناطق فأصله فهن كالمناطق على أوساطها

وقوله :

بكل فلاة تنكر الأنسَ أرضُها ، ظعائن أصله ظعائن ... بكل فلاة تنكر الانسَ أرضُها

وقوله :

نهاها وأغناها عن النهب جوده فأصله نهاها جوده عن النهب وأغناها ...

فنلاحظ أن كل تقديم وتأخير سابق كان الهدف منه شد انتباه السامع وهو مما يجعله يربط بين أول البيت وآخره ، لأن المعنى لا يكتمل إلا باكتمال البيت ، لكن هذا يجعل القافية غير معروفة للمستمع قبل اكتمال البيت بخلاف أبيات البحترى ، فإنّ من لديه بصراً بالشعر يستطيع إكمال القافية قبل تمام البيت .

ومما حذفه المتنبى فى هذه القصيدة قوله :

يفرق ما بين الكماة وبينها ... ، أى يفرق سيف الدولة

وقوله :

أتى الظعن ... ، أى أتى سيف الدولة .بجنده الظعن

وقولــــه :

نهاها وأغناها عن النهب جوده ، أى نهاها جوده عن النهب وأغناها عنه

وقولــــه :

توهمها الأعــــــراب ... ، أى توهم الأعراب حربك سورة مترف .

وقولــــه :

وكانوا يروعون الملوك بأن بدوا * وأن نبتت فى الماء نبت الغلافــــق

فأصله : وكانوا يروعون الملوك بأنهم بدوا وأن الملوك نبتت ...

وقولــــه :

(فهاجوك أهدى ... وأبدى ... وأصبر ... وآلف) أصله :

فهاجوك فإذا أنت أهدى ... وإذا أنت أبدى وإذا أنت أصــــــبر

وإذا أنت آلف .

وقولــــه :

(وكان هديراً ....) أى وكان فعلهم هديراً ...

وقولــــه :

ولا شغلوا صم القنا ... لكن عن قلوب ...) فأصله (لكن شغلوه عـن

قلوب ...)

فنلاحظ سلامة تراكيب البحترى من التقديم والتأخير والحذف ،

فجاء شعره متسلسلاً سهلاً ممتنعاً ، وهذا ما وصفه فيه ابن الأثير حين قال :

(وشعره هو السهل الممتنع الذى نراه كالشمس قريباً ضوؤها ، بعيداً مكانها

وكالقناة ليناً مسها ، خشناً سنانها ...) (١)

بينما نجد تراكيب المتنبى كثيرة التقديم والتأخير والحذف ولكــــن

هذا لم يؤثر على جودة شعره ، بل زاده جودة لما فيه من دلالات وإيحاءات

دلّ عليها كل أمر من هذه الأمور حين أحسن الشاعر استخدامه عن وعى مـا

يقتضيه ترتيب الكلم ونظم العبارات .

---

(١) المثل السائر (٣/١٥١) .

ثانياً : فى الصورة البيانية :

لقد أحسن الشاعران في تصوير الحرب ، وما يدور فيها ، فرسم خيالهما أجمل الصور لذلك عن طريق التشبيه والاستعارة والكناية ، وعلى الإجمال فالمتنبى أدق تصويراً من البحترى في رسم الصورة ، وأحسن غوصاً منه في الخيال ، ولقد صدق ابن الأثير فيه حين قال : (واختص بالإبداع في مواقف القتال ، وأنا أقول قولاً لست فيه متأثماً ، ولا منه متلثماً ، وذاك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا).(١)

فنجد للبحترى كثيراً من الصور لكنها صور مأخوذة من الواقع ، ليس فيها إغراق في الخيال كثيراً ، فوجه الشبه لديه ظاهر تماماً .

أما المتنبى فصوره مغرقة في الخيال كثيراً ، بعيدة المأخذ ليست قريبة وجه الشبه وهو كثير المبالغة فيها .

ويحمد للبحترى تكراره الصورة الواحدة ووصفها بعدة أشياء في كل مرة يكررها كتشبيهه مشى القائد وفرسانه في المعركة(٢) وتشبيهه ضمور الخيل.(٣)

ويحمد للمتنبى إحسانه في نقل الصورة الواحدة إلى معنيين كقوله :

كأنّ الهام في الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد(٤)

---

(١) المثل السائر (٣ / ٢٧٠ — ٢٧١) .

(٢) ص (٤٤٢) من الرسالة .

(٣) ص (٤٤٤) من الرسالة .

(٤) ديوانه (٢ / ٨٠) من قصيدة مدح بها على بن إبراهيم التنوخى .

وقولـــــه :

وقد صغت الأسنة من هموم * فما يخطرن إلا في فــؤاد (١)

فإن الصورة مؤدها واحد وهو أن لدينا شيئين لا يَحُلّ كلّ واحد منهما إلا في مكانه المناسب له فالنوم لا يَحلّ إلا في العيون والهموم لا تَحُل إلا في القلب ، فشبه السيوف حينما لا تقع إلا في الهام بالنوم لا يقـــع إلا في العيون وشبه الرماح حينما لا تقع إلا في القلوب بالهموم لا تقع إلا فـــي الأفئـــدة .

ولِنُظْهِرَ الفرق بينهما في الصورة المتحدة ننظر إلى قول البحترى :

أباحَ حمى الديالم في حـــروب * سقت هيمَ القنا حتى روينـــا (٢)

وقول المتنبى :

ريانَ لو قذف الذى أسقيته * لجرى من المُهَجات بحرٌ مزبدُ (٣)

فالبحترى جعل رماح ممدوحه (هِيْماً) أى عطاشاً شديدة العطش شبهها بالإبل ، وحذف المشبه به ، ورمز إليه بشئ من لوازمه ، وهو الهيـــام ، فلما سقاها لم ينصرف عنها حتى رويت .

أما المتنبى فقد جعل سيف ممدوحه ريان ، وجعل علامة هـــذا الرِىّ أنه لو قذف ما شرب من هذه الدماء لجرى منه بحر مزبد ، ففضل بيتُ المتنبى بيتَ البحترى بما فيه من المبالغة ، إذ لم يكتف بالشرب والرى ، حتى جعل ما شرب بحراً مزبداً دلالة على كثرة الدماء التى تقتضى كثـــرة المقتولين .

---

(١) ديوانه (٢ / ٨٠) بند سابقه .

(٢) ديوانه (٤ / ٢٢٠٩) من قصيده مدح بها اذكوتكين .

(٣) ديوانه (٢ / ٦٠) من قصيده مدح بها شجاع الطائى .

وفى مجال تسخير المنايا لممدوحيهما نجد البحترى يقول :

يغتدى جيشه فتغدو المنايا * بين راياته وبين البنـــود (١)

ونجد المتنبى يقول :

تغدو المنايا فلا تنفك واقفةً * حتى يقول لها عودى فتندفع (٢)

فقد عبر الشاعران كلاهما عن مصاحبة المنايا لممدوحيهما ، إلا ان البحترى وقف عند هذه المصاحبة ولم يجعل هذه المنايا رهن إشارة ممدوحه كما جعلها المتنبى حين قال : (فلا تنفك واقفةً حتى يقول لها عودى فتندفع) وهذا زيادة فى التسخير والإطاعة له ، وتشخيص بديع ، وقد أشار البحترى إلى هذه الاطاعة فى بيت آخر وهو قوله :

الهزبر الذى إذا التفَّت الحـــــــــرب به صرّف الردى كيف شاء (٣)

ولكنه أيضا لا يبلغ تشخيص المتنبى لها ، لأن المتنبى جعلهـــا عاقلة يأمرها فتطيعه وتسمع كلامه .

وفى مجال إثبات مهارة ممدوحيهم وفرسانهم القتالية نجد البحترى يقـــول :

ملوك يعدون الرماح مخاصــراً * إذا زعزعوها والدروع غلائــلا (٤)

ونجد المتنبى يقول :

وطعن غطاريف كأن أكفهـــم * عرفن الردينيات قبل المعاصم (٥)

---

(١) ص (٥٤) من الرسالة .
(٢) ص (٢٥٦) من الرسالة .
(٣) ص (١٥٣) من الرسالة .
(٤) ص (٣٥٥) من الرسالة .
(٥) ص (٢٦٣) من الرسالة .

فالبحترى قال إنهم لدربتهم لا يرون الرماح إلا عصيًّا صغيرة يلعبون بها فى أيديهم ، وكذلك لا يرون الدروع إلا ألبسة خفيفة توضع على الصدور فهى خفيفة عليهم لتعودهم لبسها فليس فى صورته خيال أو مبالغة .

أما المتنبى فقد بالغ وغاص فى أعماق الخيال فإنه لما رأى مهارة ممدوحه فى الطعن بالرماح ، تخيل أن أكفهم قد عرفت الرماح وألفتها قبل أن تخلق على معاصمهم ، والواقع أن هذا إحالة لكنه يرينا منهج المتنبى فى اختراع الصور وأنه قائم على الخيال والمبالغة .

وفى مجال حجم الخسائر التى نزلت بالأعداء نجد البحترى يصف كثرة القتلى بقوله :

كأنّ النسورَ الواقعاتِ عشيةً * على نقدٍ حول الجمارِ مذبّحِ (١)

قوله :

كأنهُمُ تحت السيوف غرائب * من البدن سيقت يوم عيد إلى النحر (٢)

وقوله :

فقتلت جيشَهُمُ وجئت بسبيهمْ * وتركتهم بالغور كالأكداس (٣)

وقوله :

وفى أرض الديالم هامُ قتلى * نظام السهل منها والحزون (٤)

وقوله :

وقد شرقت جبال الطيب منهم * بيوم مثل يوم النهروان (٥)

---

(١) ص (٢٢٣) من الرسالة .
(٢،٣،٤،٥)ص(٢٢٠) من الرسالة .

ونجد المتنبي يصف ذلك بقوله :

نثرتهُمُ فوق الأحيدب كله * كما نثرت فوق العروس الدراهمُ (١)

وقولـــه :

لما تحكمت الأسنة فيهـــم * جارت ، وهن يجرن في الأحكامِ

فتركتهم خلل البيوت كأنمـا * غضبت رؤوسهم على الأجســامِ

أحجار ناس ، فوق أرض من دم * ونجوم بَيْض في سماء قتــامِ (٢)

وقولـــه :

حتى انتهى الفرس الجاري وما وقعت * في الأرض من جثث القتلى حوافِرُهُ (٣)

وقولـــه :

يتعثرن بالرؤوس كما مَــــرَّ بتاءات نطقه التمتــــامُ (٤)

فنجد البحتري يصور صوراً مبتذلة وفيها الدلالة على الكثرة لكنها خالية من الخيال أو المبالغة إلا إذا استثنينا قولـــــه :

(وقد شرقت جبال الطيب فيهم * ...) فإن فيه نوعاً من الخيال في كون الجبال تشرق بهم كناية عن امتلائها وازدحامها بجثث القتلى .

أما ابيات المتنبي فالبيت الأول فيه الدلالة على الكثرة بصورة فرحة تسعد سامعها ، قد لا تتناسب مع شعر الحرب لكننا إن علمنا أن ذلك هو منهج المتنبي في إدخال جو البهجة على قصائد الحرب ، لكونه محباً لهـا تسعده أُحداثها ، فلا يراها إلا شيئاً جميلاً ، إذا علمنا ذلك منه قبلناه له .

---

(١) ص (٣٢٤) من الرسالة .
(٢) ص (٣٢٥) من الرسالة .
(٣،٤) ص (٣٢٧) من الرسالة .

والمعنى الثانى الذى أشار اليه بقوله :

فتركتهم خلل البيوت كأنما * غضبت رؤوسهم على الأجسام

أحجار ناس فوق أرض من دم * ونجوم بيض فى سماء قتام

علل له تعليلاً خيالياً وهو غضب الرؤوس على الأجسام وجاء بالبيت بعده بأربع صور تشبيهية لكنه لم يجئ بالتشبيه فيها على ما ألفناه بحرف التشبيه ، إنما جاء به عن طريق الإضافة .

والمعنى الثالث الذى يمثله البيتان الأخيران فيه دلالة على الكثرة والتفات إلى معنى آخر وهو عدم تمكن الخيل من الوطء على أرض المعركة مباشرة لأنها لا تقع إلا على جثث وأشلاء ورؤوس مقطعة وزاد هذه الصورة لديه جمالاً استطاعته استحضار نطق التمتام بالتاءات إذا توالت وربطها بهذه الصورة .

ثالثاً : في القيم الصوتية :

١ ــ الوزن :

نظم الشاعران قصائدهما الرثائية على البحور التالية :

الطويل والبسيط والوافر والكامل والمنسرح والخفيف والرمل والمتقارب إلا أن مجيء البحتري بوزن الكامل أكثر من مجيء المتنبي به ، كما جاء المتنبي بالوافر والمتقارب والمنسرح أكثر من مجيء البحتري بها وانفرد المتنبي برجزية وصف فيها مهره وصفاً ينبئ عن قوته ومهارته وأنه أعده للحرب.(١)

وعدد القصائد الرثائية التي نظمها البحتري (٥٥) قصيدة ، والتي نظمها المتنبي (٦٦) قصيدة وهذا له دلالة فنية تعود إلى امتزاج نفس المتنبي بالحرب من ناحية وبما هيئ له من ممدوحين كثيري الحروب .(٢)

٢ ــ القافيــة :

نظم الشاعران على القوافي التالية :

الباء والجيم والحاء والدال والراء والسين والعين والقاف واللام والميم والنون .

وقد نظم البحتري على رويي الراء والنون أكثر من المتنبي ، أما المتنبي فقد نظم على اللام والميم والقاف أكثر من البحتري .

---

(١) ص (٥٧٧) من الرسالة .

(٢) ص (٥٧٤، ٥٧٦) من الرسالة . وانظر تخريج هذه القصائد في (٤٦٤ - ٤٦٥) و (٥٧٦ - ٥٧٧) .

البحور والقوافي التي نظم عليها الشاعران

البحور			القوافي					
البحر	عدد القصائد		الروي	عدد القصائد		الروي	عدد القصائد	
	البحتري	المتنبي		البحتري	المتنبي		البحتري	المتنبي
الطويل	١٩	٢١	أ	٣	—	ع	١	٢
البسيط	٦	٨	ب	١٠	٩	ف	٢	—
الوافر	٣	١٠	ت	—	١	ق	١	٥
الكامل	١٦	٩	ج	٢	١	ل	٦	١٥
المنسرح	١	٤	ح	١	١	م	٦	١٢
الخفيف	٧	٨	د	٧	١٠	ن	٩	٤
الرمل	٢	١	ذ	—	١		٥٥	٦٦
الرجز	—	١	ر	٦	٢			
المتقارب	١	٤	ز	—	١			
	٥٥	٦٦	س	١	—			
			ش	—	١			

وانفرد البحتري بالنظم على حروف روى الهمز والفاء والسين ، والمتنبي انفرد بالنظم على حروف روى التاء والذال والزاى والشين ، وفي هذا دلالة على قدرة المتنبي على النظم على هذه القوافي الحوش حتى في الأغراض الجادة .

والعجيب منه عدم نظمه في شعره الحربي على حروف روى الهمز والفاء والسين مع أنها قواف سلسلة لا وعورة فيها .

وكمثال لحروف الروى التي لا يسهل قيادها إلا على الشاعر المفلق

نأخذ بعضاً من قصيدة البحترى التى مطلعها :

لها منزل بين الدخول فتوضح * متى تسره عين المتيَّم تسفحِ

فمنها :

هنتك أميرَ المؤمنين بشارة * من الشرق جاءت بالبيان المصرِّحِ

تخبر عن نصر الموالى وعزهم * وخذلان عبدوس وإفلاح مفلحِ

لقد زُلزلت أرض الجبال بوقعة * أسالت دماً فى كل نشر وأبطحِ

كأن النسور الواقعات عشية * على نقد حول الجمار مذبَّحِ

ولو وقف المغرور لا لتبست به * زنانير سُرعان الخميس المجنّحِ

إذاً لاحتسى كأساً دهاقاً من الردى * متى يشرب الباقى بها يترنَّحِ

لقد شردته الخيل كل مشرد * وطرَّحنه يوم الوغى كلّ مطرحِ (١)

ونأخذ قول المتنبى من قصيدته التى مطلعها :

جللاً كما بى فليك التبريح * أغذاء ذا الرشإ الأغن الشيحُ

فمنها :

ألبابنا بجماله مبهورة * وسحابنا بنواله مفضوحُ

يغشى الطعان فلا يرد قناتَهُ * مكسورة ومن الكماة صحيحُ

وعلى التراب من الدماء مجاسد * وعلى السماء من العجاج مسوحُ

يخطو القتيل إلى القتيل أمامه * ربُّ الجواد وخلفه المبطوحُ

فمقيل حُبِّ محبه فرح به * ومقيل غيظ عدوه مقروح

يخفى العداوة وهى غير خفية * نظرُ العدوّ بما أسَرَّ يبوح (٢)

---

(١) ديوانه (١/٤٥١) من قصيدة يمدح بها المعتز بالله .

(٢) ديوانه (١/٢٧٥ ـ ٢٧٦) من قصيدة يمدح بها مساور بن محمد الرومى .

فنجد سلاسة قافية البحترى ومواتاتها له ومما يدل على ذلك تجنيسه فيها كقوله : (إفلاح مفلح) و (طرحنه . . . كل مطرح) ومطابقته بين (مفسد ومصلح) (نشرٍ وأبطح) بينما نجد نفرة القافية لدى المتنبى وضيقها عند الحديث عن الحرب فجمع فيها بين : مبطوح ومفروح ومفضوح) كلمات غير شاعرية .

وكمقارنة بينهما فى القصائد التى اتفقا فيها من حيث الوزن والقافية فقد وجدت أن المتنبى وافق البحترى فى ست قصائد هى كالآتى :

١ — قال البحترى :

كُفِّى الملامة أو دومى على العَذَل * ما اللوم أُكثر هِمَّاتى ولا شغلى (١)

وقال المتنبى :

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل * والطعن عند محبيهن كالقبل (٢)

وقال أيضاً :

أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل * دعا فلباه قبل الركب والإبل (٣)

فالقصائد الثلاث من بحر البسيط ورويها لام مكسورة ، وقد وافق المتنبى البحترى من الأولى فى عشرة قواف هى : قُلَل ، مُقَل ، وَجَل ، جَبَل ، بَخَل ، بطَل ، دُوَل ، زَلَل ، جَذَل ، الأُوَل ، من بين (٢٨) بيتاً .

ووافقه من الثانية فى اثنتى عشرة قافية هى : عَذَل ، الأسل ، المُقَل ، عَسَل ، جَبَل ، بَخَل ، الأُوَل ، الدول ، بطل ، لم يزل ، الكحل ، القلل ، من بين (٤٨) بيتاً .

---

(١) ديوانه (٣ / ١٩٠١) من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيبانى

(٢) ديوانه (٣ / ١٦٣) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٣) ديوانه (٣ / ١٩٨) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

٢ — وقال البحترى مادحاً المعتز بالله :

أترى الزمان يعيد لى أيامى * بين القصور البيض والآطـــام (١)

وقال المتنبى مادحاً سيف الدولة :

ذكرُ الصبا ومراتع الآرام * جلبت حمامى قبل وقت حمامى (٢)

فالقصيدتان من بحر الكامل .

ووجدت المتنبى قد وافق البحترى فى ست قواف من بين (٣٤) بيتاً وهذه القوافى هى : حَرَام ، تمام ، الإنعام ، الإسلام ، النقـــض والابرام ، مرام .

٣ — وقال البحترى مادحاً أبا مسلم بن حميد :

دموع عليها السكب ضربة لازم * تُجَدِّدُ من عهد الهوى المتقادم (٣)

وقال المتنبى :

أنا لائمى إن كنت وقت اللوائم * علمت بما بى بين تلك المعالم (٤)

فالقصيدتان من بحر الطويل .

قد وافق المتنبى البحترى فى تسع قواف من بين ستة وثلاثين بيتـاً وهذه القوافى هى : المعالم ، النواعم ، العَزائم ، الجماجم ، المكارم ، الصوارم ، نائم ، المتقادم ، هاشم .

٤ — وقال البحترى مادحاً المتوكل :

لبيت فيك الشوق حين دعانى * وعصيت نهى الشيب حين نهانـى (٥)

---

(١) ديوانه (٣/ ٢٠١٥) .
(٢) ديوانه (٤/ ١١٩) .
(٣) ديوانه (٣/ ١٩٦٥) .
(٤) ديوانه (٤/ ٢٣٦) من قصيدة مدح بها أبا محمد الحسن بـــن عبيدالله بن طغج الأخشيدى أمير الرملة .

(٥) ديوانه (٤/ ٢٢٥٢) .

وقال المتنبى مادحا سيف الدولة :

الرأى قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهى المحل الثانى (١)

فالقصيدتان من بحر الكامل .

وقد وافق المتنبى البحترى فى ست قواف من بين تسعة وأربعين بيتاً وهى : قريب دانى ـ عند البحترى القريب الدانى ، العقبان ، أمان إخوان ـ عند البحترى ـ ، أخوان ـ الأغصان ، إحسان .

٥ ـ وقال البحترى مادحاً المعتز بالله :

رويدك إن شأنك غير شانى * وقَصْرَك لستُ طاعة من نهانى (٢)

وقال المتنبى مادحاً عضد الدولة :

مغانى الشعب طيباً فى المغانى * بمنزلة الربيع من الزمـــان (٣)

فالقصيدتان من بحر الوافر .

وقد وافق المتنبى البحترى فى خمس عشرة قافية منها من بين ثمانية وأربعين بيتاً وهى : الزمان ، البنان ، الغوانى ، المكان ، ثان ، عوان سنان ، العيان ، المثالث والمثانى ، الحسان ، هجان ، عان ، رهان معانى ، أمان .

وقد وافقه فى قافيتين وردتا عنده وعند البحترى متتاليتين فى هاتين القصيدتين وهما : مكان ، ثان ، والثانية منهما عكس المتنبى فيها معنى البحترى ، فإن البحترى قال :

---

(١) ديوانه (٤ / ٣٠٧) .

(٢) ديوانه (٤ / ٢٢٧٥) .

(٣) ديوانه (٤ / ٣٨٣) .

فإنّك أوّلٌ فى كُلّ فضـــلٍ * نعدده وعبدالله ثـــان (١)

وقــال هــو :

فإن الناس والدنيا طريــق * إلى من ماله فى الناس ثان (٢)

هذا والذى دعانى إلى عقد هذه الموازنة أُمران أولهما التوافق فى الوزن والقافية .

وثانيهما أننى وجدت نصاً فى الصبح المنبى مفاده أن بعضهم وجد ديوانى أبى تمام والبحترى فى رحل المتنبى لما قتل (٣) فقلت لعل ذلك مدعاة إلى الاقتفاء .

وبعد هذه الموازنة نعود إلى الحديث عن قوافيهما :

فمن جهة إطلاق القوافى أو تقييدها ، فجل قوافيهما مطلقة ، وقد يصلان المطلقة بهاء وصل ساكنة تزييناً للقافية وتحبيباً لنفس الممدوح إن كان من البحور الطويلة ، ومن ذلك قول البحترى :

مع الدهر ظلم ليس يقلع راتبه * وحكم أبت إلا اعوجاجاً جوانبُهْ (٤)

وقول المتنبى :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه * بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه (٥)

والبحترى أكثر قافية مقيدة من المتنبى فله سبع قصائد مقيدة (٦)

---

(١) ديوانه (٤/ ٢٢٧٨) .

(٢) ديوانه (٤/ ٣٩٠) .

(٣) الصبح المنبى (١٨٦)

(٤) ديوانه (١/ ٢١٩) مطلع قصيدة مدح بها الموفق بالله .

(٥) ديوانه (٤/ ٤٣) مطلع قصيدة مدح بها سيف الدولة .

(٦) انظر ديوانه (١/ ٢١٩ ، ٢/ ٦٦٧ ، ٧٣٥ ، ٨٧٦ ، ٣/ ١٦٨٠ ، ١٨٧٤ ، ٤/ ٢١٥٣) .

بينما لا نجد للمتنبى إلا قصيدتين [١] وهما لا يأتيان بهذه القوافي المقيدة إلا من بحور خفيفة التفاعيل غالباً كالمتقارب مثلاً ولهذه الكثرة لدى البحترى دلالة وهى كونه يحرص على حسن نغم الأبيات فتقييد القافية يعطى الإيقاع رنيناً خاصاً وموسيقى بديعة .

٣ - الموسيقى الداخلية :

شهد جل النقاد للبحترى بحسن موسيقى قصائده عامة ، فهاهو القاضى الجرجانى يعقب على أبيات له بقوله : (. . . ثم تأمل نفسك عند إنشاده ، وتفقد ما يتداخلك من الارتياح ويستخفك من الطرب إذا سمعته..) [٢]

وابن الأثير يقول عنه : (قينة الشعراء فى الإطراب ، وعنقاؤهم فى الإغراب) [٣] وقال — أيضاً — (. . . أراد أن يشعر فغنّى) [٤]

وهذا ما حدا بالدكتور شوقى ضيف أن يصفه بأنه (بلبل الشعر العربى يصدح دائما بأنغامه) [٥]

وجمال هذه الموسيقى يكمن لديه فى المواءمة بين الألفاظ والمعانى وحسن استخدام الأفعال المضارعة ، والكلمات المنونة ، والإكثار من المحسنات البديعية طباقها وجناسها وعطف النظير على نظيره ورد الأعجاز على الصدور . [٦]

---

(١) انظر ديوانه (١/ ٢٢٥ ، ٢/ ١٤٨) .

(٢) الوساطه (٢٧) .

(٣) المثل السائر (٣/ ١٥١) .

(٤) المرجع نفسه (٣/ ٢٧٠) .

(٥) فى النقد الأدبى (٩٧) .

(٦) الرسالة ص (٤٦٩ - ٤٧٥)

كما أنه لا يتكلف الطباق والجناس ، ولا يعمد إلا إلى ما خف منهما على السمع وهاهنا ، نستطيع أن نستعرض بعضاً من النصوص التي لذّ نغمها ، وحسنت موسيقاها يقول البحترى :

زينت بخالد الدنيا وزينتُها * وأبسم الملك عن عز وعن جذل
كم مارقٍ مرقت فيه أسنته * والموت يصدر عن عِلٍّ وعن نهل
وناكثٍ نكثت فى الدين أسرته * عنه وقد نشبت فيه شبا الأسل
لما رأى خيله تزجى سحاب ردى * ينهلُّ هيدبها بالصيِّب الخَضِل
فى موضع ضنك تمسى معاقِلُهُ * إذا اسبطرَّ شهابُ الموتِ كالعقُلِ
تغدو أسنته زرقاً فيكحلُها * يوم الكريهة فى الأحداق والكحل
إذا انتضى السيف يوم الروع أغمده * مخضباً من دم الأعداء بالقلل
فإن تأودت الأرماح ثقّفها * بكاهل بطلٍ من فارسٍ بطلِ
إذا اغتدى اغتدت الآمال تقدمه * إلى نفوس العدى بالخبل والوجل (١)

وقال المتنبى من قصيدة على وزن وقافية هذه القصيدة :

ومن على بن عبد الله معرفتى * بحمله من كعبد الله أو كعلى
معطى الكواعب والجرد السلاهب والبيض القواضب والعسالة الذبل
ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملك * ملء الزمان وملء السهل والجبلِ
فنحن فى جذل ، والروم فى وجل * والبر فى شغل والبحر فى خجل
من تغلب الغالبين الناس منصبه * ومن عدى أعادى الجبن والبخل
انظر إذا اجتمع السيفان فى رهج * إلى اختلافهما فى الخَلْق والعملِ
هذا المعدُّ لريب الدهر منصلتاً * أعدَّ هذا لرأس الفارس البطلِ
فالعرب منه مع الكدرى طائرة * والروم طائرة منه مع الحجلِ
وما الفرار إلى الأجبال من أسد * تمشى النعام به فى معقل الوعِلِ (٢)

---

(١) ديوانه (٣ / ١٩٠٢–١٩٠٣) من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيبانى .

(٢) ديوانه (٣ / ٢٠٤–٢٠٧) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

فإننا نجد موسيقى أبيات البحترى تتكون من اعتماده على جناس الاشتقاق (مارق مرقت) (ناكث نكثت) ومن التكرار (عن عز وعن جذل) (عن عل) و (عن نهل) (بكاهل بطل) (من فارس بطل) (اغتدى اغتدت) (من مثل) (من مثل) ومن عطف النظير على نظيره (الأحداق والكحل) (الخيل والوجل) (الروع والوهل) (يطوى على وجل) (مرتين) .

بينما نجد موسيقى المتنبى تعتمد على التكرار الترنمى (ضاق الزمان — ملء الزمان ، ملء السهل والجبل) (هذا المعد ... أعد هذا) و (فالعرب منه مع ... طائرة والروم طائرة منه مع) لكننا نجد هذا التكرار لا يكون على نسق واحد كما هو عند البحترى وبهذا يفقد نوعا من الموسيقى العذبه .

كما جاءت الموسيقى عنده فى جناس الاشتقاق (تغلب الغالبين) (عدى أعادى) أقل عذوبة من موسيقى جناس البحترى ، لشدة المجانسة فى قول البحترى (مارق مرقت) (ناكث نكثت)

وإنما بَرَزَ المتنبى فى إجادته التقسيم واقتداره على أن يأتى بالبيت كُلّه مقسَّمًا فى فقر قصيرة :

فنحن فى جذل ، والروم فى وجل * والبر فى شغل والبحر فى خجل

وبعد هذه الموازنة نستطيع أن نقول إن جمال موسيقى الشاعرين تكمن فى أربعة أشياء : الطباق والجناس وعطف النظير على نظيره والتكرار الترنمى فأما موسيقى الطباق والجناس فالبحترى أجمل موسيقى فيهما من المتنبى وأما عطف النظير على نظيره فهما فيه مشتركان فى الجمال وأما التكرار الترنمى فالمتنبى أجمل تكريراً من البحترى فيه وهذا ما حدا

بالدكتور عبدالله الطيب أن يفضل المتنبي فيه على جرير والبحتري فقال (ويكاد ـ المتنبي ـ يستطيع الإتيان بهذا النوع من التكرار الترنمي في كل بحر يردده ، وفي كل وزن يتعاطاه ، وهو في هذه الجهة يربي على البحتري وجرير الذين أكثر ما تجدهما يكرران في الوافر والكامل) (١) مع العلم بأن الدكتور الطيب يدخل ضمن التكرار الترنمي ما عرف بحسن التقسيم وهو مُحِقٌّ في هذا ، فالتقسيم تكرار لنغمة معينة أجاد فيها المتنبي وأبدع بشكل لافت للنظر وبطريقة موقّعة بديعة (٢)

---

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب (٢/ ٥١٢).

(٢) ص : (٥٨٦) من الرسالة .

رابعاً : في بناء القصيدة :

لم تكن القصيدة الحربية عند البحتري مستقلة ، بل كانت مختلطة بالأغراض الأخرى كالمدح والرثاء والفخر ، وكذلك جاءت أكثر قصائد المتنبي الحربية ، بينما جاء بعضها مقصوراً على وصف الحرب.(١)

أما من حيث الأجزاء التي تقوم عليها القصيدة عندهما وهي الابتداء والعرض والخاتمة فسنناقش هاهنا مدى إجادة كل منهما في ذلك .

أ ــ الابتداء :

ابتداءات البحتري كلها تقليدية إما غزلية أو طللية أو شكوى من الدهر أو بكاء على الشيب أو وصف للطبيعة أو ذكر لطيف الخيال ، وقد أجاد في هذين الأخيرين منها .

وليس له في ابتداءاته معيب إلا أنني أرى أن قوله :

دموع عليها السكب ضربةُ لازم * تجدَّد من عهد الهوى المتقادم(٢)

لا يصلح مطلعاً في قصيدة مدح ، لأنه يوحي بالتشاؤم .

أما ابتداءات المتنبي فأكثرها جيد حسن ، وبعضها قبيح معيب(٣) ولكن النقاد عللوا عدم جودة مثل هذه المطالع بكون المتنبي يغرب فيها ثقة بنفسه(٤) وإدلالا على شعراء عصره .

---

(١) انظر هذه القصائد في ديوانه (١/٣٥٩ ، ٢/١٨٥ ، ٢٠٢ ، ٣/٢٥٤ ، ٤/٦٩ ، ٩٤ ، ٢٩٩ ، ٣٠٧).

(٢) ديوانه (٣/١٩٦٥) من قصيدة يمدح بها أبا سلم بن حميد الطوسي .

(٣) انظر هذه القصائد في ديوانه : (١/٣٦٥ ، ٣٨٤ ، ٢/٤٤ ، ٧٤ ، ٢٨١ ، ٣٥٧).

(٤) العمدة (٦٦) والصنعة الفنية د/ صلاح حافظ (٤٢٠ ، ٤٢١)

وتشتمل هذه المبادئ على نوعين من المقدمات :

مقدمات طللية أو غزلية في فتيات غير معينات ، وبما أنه ثائر على المقدمات التقليدية ، فإن هذه المقدمات لم تكن تقليدية تماماً ، بل اعتراها بعض التغيير في كونه يفتخر بنفسه فيها أو يصف الخيل والصديق أو يتذكر الأوطان أو يشكو من الدهر ، ويدبج الحكم في أثناء ذلك .

ومقدمات تجديدية يهجم بها على الغرض مباشرة بعد تصدير القصيدة بحكمة لها صلة بالموضوع ، وهذه المقدمات مما انفرد به عن البحتري

فمن مطالعهما التقليدية قول البحتري :

١ــ رأى البرق مجتازاً فبات بلا لُبِّ * وأصباه من ذكر البَخِيلَةِ ما يصبي (١)

٢ــ قليل لها أني بها مغرمٌ صبُّ * وإن لم يقارف غيرَ وَجْدٍ بها القلب (٢)

٣ــ هبيه لمنهلِّ الدموعِ السواكِبِ * وهبات شوق في حشاه لواعب (٣)

٤ــ مع الدهر ظلمٌ ليس يقلعُ راتبه * وحكم أَبَتْ إلا اعوجاجاً جوانبُه (٤)

٥ــ لم يبق من تلك الرسومِ بمنعجِ * إما سألتَ معرَّجٌ لمعرِّج (٥)

٦ــ لها منزل بين الدخول فتوضحِ * متى تره عين المتيَّم تسفح (٦)

٧ــ أصبا الأصائل إن برقة منشدِ * تشكو اختلافك بالهبوب السرمدِ (٧)

---

(١) ديوانه (١ / ١٠٤) من قصيدة يمدح بها عبد الله بن دينار .

(٢) ديوانه (١ / ١٢٢) من قصيدة يمدح بها أحمد بن طولون .

(٣) ديوانه (١ / ١٧٧) من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغرى .

(٤) ديوانه (١ / ٢١٩) من قصيدة يمدح بها الموفق بالله .

(٥) ديوانه (١ / ٣٩٩) من قصيدة يمدح بها محمد بن حميد الطوسى .

(٦) ديوانه (١ / ٤٥٠) من قصيدة يمدح بها المعتز بالله .

(٧) ديوانه (١ / ٥٤٤) من قصيدة يمدح بها أبا محمد الثغرى .

٨ــ جائر فى الحكم لوشاء قصد * أخذ النوم وأعطانى السهـــــد (١)

٩ ــ إذا عرضت أحداج سلمى فنادِها * سقتك غوادى المزن صَوبَ عهادِها (٢)

١٠ ــ رنوّ ذاك الغزال أو غيدُهُ * مولعُ ذى الوجد بالذى يجـــدُهُ (٣)

١١ ــ أقصرا قد أطلتما تفنيدى * ومن الجهل لومُ غير سـديدِ (٤)

١٢ ــ ألم تر تغليس الربيع المبكر * وما حاك من وشى الرياض المنشر (٥)

١٣ ــ تريك الذى حدثت عنه من السحر * بطرف عليل اللحظ مستغرب الفترِ (٦)

١٤ ــ سهر أصابك بعد طول نعاس * لصدود أغْيَدَ فاتن ميّـــاسِ (٧)

١٥ ــ أتراك تسمع للحمام الهتَّفِ * شجواً يكون كشجوك المستطرف (٨)

١٦ ــ استوقفا الركب فى أطلالهم وقفا * ولن أمحّ بلىً مأثورها وعفـا (٩)

١٧ ــ أأفاق صب من هوى فافيقا * أم خان عهداً أم أطاع شفيقـا (١٠)

١٨ ــ أرى بين ملتف الأراك منازلا * مواثل لو كانت مهاها مواثـلا (١١)

١٩ ــ أهلا بذلكم الخيال المقبل * فعل الذى نهواه أو لم يفعـلِ (١٢)

---

(١) ديوانه (٢ / ٦٦٧) من قصيدة يمدح بها المعتمد على الله .

(٢) ديوانه (٢ / ٦٧٤) من قصيدة يمدح بها المهتدى بالله .

(٣) ديوانه (٢ / ٧٣٥) من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن يحيى بن خاقان

(٤) ديوانه (٢ / ٨٠٥) من قصيدة يمدح بها أحمد بن عبد العزيز الشلمغان

(٥) ديوانه (٢ / ٩٨٠) من قصيدة يمدح بها أحمد بن دينار .

(٦) ديوانه (٢ / ١٠٠٤) من قصيدة يمدح بها المعتز بالله .

(٧) ديوانه (٢ / ١١٦٥) من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله بن طاهر

(٨) ديوانه (٣ / ١٤١١) من قصيدة يمدح بها أبا محمد الثغرى .

(٩) ديوانه (٣ / ١٤٣٢) من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد العقيلى

(١٠) ديوانه (٣ / ١٤٤٥) من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغرى .

(١١) ديوانه (٣ / ١٥٩٩) من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغرى .

(١٢) ديولنه (٣ / ١٧٣٣) من قصيدة يمدح بها محمد بن على القمى .

٢٠ـ لادِمْنَـةٌ بلوى خبتٍ ولا طللُ * يَرُدُّ قولاً على ذى لوعة يَسَـلُ (١)

٢١ـ هـل الربع قد أمست خلاءً منازِلُهْ * يجيب صداه أو يخبر سائلُهْ (٢)

٢٢ـ كُفِّى الملامة أو دومى على العَذَل * ما اللوم أكثرهمّاقى ولا شغلى (٣)

٢٣ـ طفقت تلوم ولات حين ملامـه * لا عند كبرته ولا إحجامـه (٤)

٢٤ـ أترى الزمان يعيد لى أيامى * بين القصور البيض والآطـام (٥)

٢٥ـ هـذى المعاهد من سعاد فسلمِ * واسأل وإن وجِمَت ولم تتكلمِ (٦)

٢٦ـ لامت على أنها فى الدمع لم تلمِ * لكنْ على أنّ فيضَ الدَّمع لم يدمِ (٧)

٢٧ـ قلما لا تتصبانى الدّمـن * وتعنّينى بذكرى من شجـن (٨)

٢٨ـ هم أولى رائحون أم غادونا * عن فراقٍ ممسون أم مصبحونا (٩)

٢٩ـ أقول لعنسٍ كالعَلَاة أمونِ * مضبَّرة فى نسعةٍ ووضـينِ (١٠)

٣٠ـ يكادُ عاذ لُنَا فى الحبِّ يغرينا * فما لِجَاجُكَ فى لوم المحبينا (١١)

٣١ـ عَزَمْتَ على المنازل أن تبينا * وإن دِمَنٌ بلين كما بلينا (١٢)

---

(١) ديوانه (٣ / ١٧٥٤) من قصيدة يمدح بها أباسعيد الثغرى .

(٢) ديوانه (٣ / ١٨٧٤) من قصيدة يمدح بها طغج بن جف .

(٣) ديوانه (٣ / ١٩٠١) من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيبانى .

(٤) ديوانه (٣ / ١٩٨٣) من قصيدة يمدح بها أبا نهشل بن حميد .

(٥) ديوانه (٣ / ٢٠١٥) من قصيدة يمدح بها المعتز بالله .

(٦) ديوانه (٤ / ٢٠٨٠) من قصيدة يمدح بها الهيثم بن عبد الله الغنوى

(٧) ديوانه (٤ / ٢١٢٧) من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق التغلبى .

(٨) ديوانه (٤ / ٢١٥٣) من قصيدة يمدح بها أبا جعفر الطائى .

(٩) ديوانه (٤ / ٢١٦١) من قصيدة يمدح بها أباسعيد الثغرى .

(١٠) ديوانه (٤ / ٢١٨١) من قصيدة يرثى بها أبا محمد الثغرى .

(١١) ديوانه (٤ / ٢٢٠٠) من قصيدة يمدح بها خمارويه بن أحمد بن طولون

(١٢) ديوانه (٤ / ٢٢٠٧) من قصيدة يمدح بها اذكوتكين .

٣٢ـ لبيت فيك الشوق حين دعاني * وعصيت نهي الشيب حين نهاني (١)

ومن مطالع المتنبي التقليدية :

١ـ فديناك من ربع وإن زدتنا كربا * فإنك كنت الشرق للشمس والغربا (٢)

٢ـ دمع جرى فقضى في الربع ماوجبا * لأهله وشفى أنّىٰ ولا كربا (٣)

٣ـ بأبي الشموس الجانحات غواربا * اللابسات من الحرير جلاببا (٤)

٤ـ سربٌ محاسنه حرمت ذواتِها * دَانِي الصفات بعيدُ موصوفاتها (٥)

٥ـ أهلا بدارٍ سباك أغيدُها * أَبْعَدَ مابان عنك خردها (٦)

٦ـ أياخدَّدَ اللهُ وردَ الخدود * وقدَّ قُدُودَ الحسانِ القدودِ (٧)

٧ـ نسيت وما أنسى عتابا على الصدّ * ولا خفراً زادت به حمرة الخدّ (٨)

٨ـ أيدري الربع أيّ دمٍ أراقا * وأيَّ قلوبِ هذا الركب شاقا (٩)

٩ـ لعينيكِ مايلقى الفؤاد وما لقى * وللحبِّ مالم يُبْقِ مني وما بقى (١٠)

١٠ـ تذكرت مابين العذيب وبارق * مَجَرَّ عَوَالِينَا ومجرى السوابق (١١)

---

(١) ديوانه (٤ / ٢٢٥١) من قصيدة يمدح بها المتوكل على الله .

(٢) ديوانه (١ / ١٨٢) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٣) ديوانه (١ / ٢٣٧) من قصيدة يمدح بها المغيث العجلي .

(٤) ديوانه (١ / ٢٥٠) من قصيدة يمدح بها علي بن منصور الحاجب .

(٥) ديوانه (١ / ٣٤٧) من قصيدة يمدح بها أباأيوب أحمد بن عمران .

(٦) ديوانه (٢ / ١٧) من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله المشطب

(٧) ديوانه (٢ / ٦٣) من قصيدة يمدح بها الأمير الذى سجنه .

(٨) ديوانه (٢ / ١٦١) من قصيدة يمدح بها أبا الفضل بن العميد .

(٩) ديوانه (٣ / ٣٩) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(١٠) ديوانه (٣ / ٤٨) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(١١) ديوانه (٣ / ٦٠) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

١١ـ أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة بالمآقي (١)

١٢ـ ليالِيّ بعد الظاعنين شكولُ * طوال وليل العاشقين طويلُ (٢)

١٣ـ كدعواك كل يدعى صحة العقل * ومن ذا الذى يدرى بما فيه من جهل (٣)

١٤ـ ذكر الصبى ومراتع الآرام * جلبت حمامي قبل وقت حمامي (٤)

١٥ـ الحبُّ ما منع الكلام الألسنا * وألذُّ شكوى عاشق ما أعلنا (٥)

١٦ـ مغاني الشعب طيباً فى المغانى * بمنزلة الربيع من الزمان (٦)

فهذه هى أجمل مطالع قصائدهما التقليدية ولكنّ بينهما فى حسن المطلع بوناً شاسعاً فى هذا الباب فمطالع البحترى هذه كلها منتقاة مختارة جمع فيها معانى شتى فمرة يتذكر أحبابه ، ومرة يقف على الأطلال الدوارس ومرة يخاطب محبوبته حال رحليها ، ومرة يلوم من يلومه فى الحب ومرة يخاطب الطّيف ويصفه ومرة يشكو الدهر ومصائبه وفراق أحبابه ، ومرة يشكو الشيب وحلوله فى رأسه ومرة يخاطب ناقته ، ومرة يتمنى عود الليالى الجميلة .

وأما معانى مقدمات المتنبى فمع أنها هى أجمل مقدماته تلك إلا أنها ليست كلها مختارة ، وليس فيها معنى رائق إلا بَذْلُه كلَّ ما يلاقى لعينى حبيبه ومن أجل حُبِّه ، وتذكُّرُه ديارهم وشكوى طول ليله، وليس معانى البحترى أجمل فحسب بل موسيقى مقدماته سالمة من التعقيد والتقديم والتأخير أو التجوز فى اللغة مما هو فى مقدمات المتنبى هذه .

---

(١) ديوانه (٣ / ١٠١) من قصيدة يمدح بها أبا العشائر.

(٢) ديوانه (٣ / ٢١٧) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٣) ديوانه (٤ / ٣) من قصيدة يمدح بها أبا الفوارس دلير بن لشكروز .

(٤) ديوانه (٤ / ١١٩) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

(٥) ديوانه (٤ / ٣٢٧) من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار .

(٦) ديوانه (٤ / ٣٨٣) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

أما إن جئنا إلى مقدمات المتنبى التجديدية فيكفيه منها انفراده بها عن البحترى مع ما حوته من بديع المعانى ، ومع صلتها الوثيقة بشعر الحرب .(١)

ومنها قولـــه :

١ـ ذى المعالي فليعلون من تعالى * هكذا هكذا وإلا فــلالا

٢ـ عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم * ماذا يزيدك فى إقدامك القسمُ

ب ـ العـــرض :

يعرض البحترى قصائده الحربية ، خليطاً من أغراض شتى ، بيد أنه لم يكن من المشهورين بالإحسان فى التخلص من غرض إلى آخر ، لكنـه لا يتكلفه فإن جاء بشئ منه جاء بشئ حسن ومن ذلك قوله :

قل لداعى الغمام لبيك واحلُلْ * عقل العيس كى تجيبَ الدعــاءَ

عارض من أبى سعيد دعانـا * بسنابرقه غداة تــــراءَى

كيف نثنى على ابن يوسف لا كيـف سرى مجدُهُ ففات الثناءَ(٢)

وقولـــه :

ركبوا الفرات إلى الفرات وأملوا * جذلان يبدعُ فى السماح ويُغْرِبُ(٣)

وقولـــه :

والعيس تنصل من دجاه كما انجلى * صِبْغُ الشباب عن القذال الأشيب

يطلبن مجتمع العلا من وائـل * فى ذلك الأصلِ الزكيِّ الأطيبِ(٤)

---

(١) ص (٦٠٠) من الرسالة .

(٢) ديوانه (١/ ١٤) من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغرى .

(٣) ديوانه (١/ ٧٤) من قصيدة يمدح بها اسحاق بن ابراهيم المصعبى

(٤) ديوانه (١/ ٨٠) من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق التغلبى .

أما المتنبي فقد اشتملت قصائده التي قدم لها بمقدمات تقليدية على أغراض متعددة كالبحتري ، وهذه تحتاج منه إلى تخلص ليربط أغراضها ، وقد أبدع أبو الطيب في أكثر تخلصاته حتى اشتهر بهذا الفن كما ذكر ذلك القاضي الجرجاني [(١)] وابن رشيق [(٢)] وشعره شاهد على ذلك إلا أن تكلفه يوقعه أحياناً في مواطن منه قبيحة .

ومن أمثلة تخلصاته البديعة قوله :

مابال هذي النجوم حائرةً * كأنها العمي مالها قائد
أو عصبةٌ من ملوك ناحية * أبو شجاع عليهم واجد [(٣)]

وقوله :

ولست أبالي بعد إدراكي العلا * أكان تراثاً ما تناولت أم كسبا
فرب غلام علّم المجد نفسه * كتعليم سيف الدولة الطعن والضربا [(٤)]

وقال :

أظمتني الدنيا فلما جئتها * مستسقياً مطرت على مصائبا
وحبيت من خوص الركاب بأسود * من دارش فغدوت أمشي راكبا
حال متى علم ابن منصور بها * جاء الزمانُ إليَّ منها تائبا [(٥)]

---

(١) الوساطة (٤٨) .

(٢) العمدة (١٦٣) .

(٣) ديوانه (٢ / ١٧٥) من قصيدة يمدح بها عضد الدولة .

(٤) ديوانه (١ / ١٨٦) .

(٥) ديوانه (١ / ٢٥٢) من قصيدة يمدح بها علي بن منصور الحاجب

جـ ـ الخاتمـة :

وأما ختام القصيدة فإن البحترى لم يكن يحسِنُه ، وقد يمهد لـه بالفخر بقصيدته أو نفسه ، أو الدعاء لممدوحه أو حكمـة وهو قليل .(١)

وأما المتنبى فمثل البحترى فى أكثر قصائده ،إلا أنه إن ختمهـا بحكمة فحكمه رائعة مشهورة ، وقد يشعرنا بنهاية القصيدة فى عوده إلـى مدح ممدوحه وهذا محمود ، لولا أنه يتعارض مع الوحدة الموضوعيـة للقصيدة .(٢)

ويكفى المتنبى فى بيان إبداعه فى مبادئ قصائده وحسن عرضها وختامها قولة ابن رشيق عنه : (وقد أربى أبو الطيب على كل شاعر جودة فى فصول هذا الباب الثلاثة)(٣)

هذا ومن جهة طول قصائدهما الحربية فالبحترى أطول قصائد من المتنبى فبينما نجد للبحترى قصيدة بلغ عدد أبياتها ٨٩ بيتا ،(٤) نجـد أطول قصيدة للمتنبى بلغ طولها خمسة وستين بيتا ،(٥) وأكثر قصائده تتراوح بين خمسةوثلاثين وخمسةوأربعين بيتا .

كما أن لهما قصائد حربية قصيرة النفس لقلة عدد أبياتها ولكنهـا قصائد لا تتجاوز خمس قصائد للبحترى وثمان قصائد للمتنبى(٦)

---

(١) ص (٤٨٠) من الرسالة .
(٢) ص (٦٠٦) من الرسالة .
(٣) العمدة (١٦٦) .
(٤) ديوانه (٢/٨٠٥) ومثلها فى الطول (٢/١١٦٥، ٣/١٤٤٥) .
(٥) ديوانه (٢/ ٢٠٢) .
(٦) قصائد البحترى فى ديوانه (١/ ٥٨، ٧٨ ، ٥٠٠، ٢/٦٦٧ ، ٣/١٨٧٤)
وقصائد المتنبى فى ديوانه (١/ ٢٣٤، ٢٦١، ٣٥٩، ٣٨٤، ٢/٨٦ ، ١٨٥، ٣/٢٨٢، ٤/٢٩٩) .

٢ - من حيث المضمون :

أولا : فى التجربة الشعرية :

تجربتا الشاعرين المسيطرتان على قصائدهما الحربية تجربتان شخصية واجتماعية ، لكن تجربة المتنبى الشخصية أكثر ظهوراً فى قصائده الحربية ، وذلك لما يعانيه فى نفسه من أمور ذاتية وجدانية .

والذى يهمنا هنا هو الموازنة بينهما فى التجربة الاجتماعية لأنها هى التى تمثل شعر الحرب فعلاً ، ومنبعهما لديهما واحد ، وهو أنهما يتأثران بحروب ممدوحيهما ، فيصفانها ، بيد أن المتنبى مخالط لهذه التجارب ومعايش لها فى أكثرها ، يصف شيئاً رآه وتأثر به .

أما البحترى ـ فيصف ـ فى الأكثر ـ تجارب لم يرها وإنما سمع عنها ، وقد نص ـ هو ـ على ذلك فى شعره مراراً [1] أعنى أنه يشير إلى عدم رؤيته هذه الحروب ، وإنما تصله الأخبار فيضوغها لحناً شاعرياً ، ويحمد له إجادته فى تجسيد هذه الأخبار ، حتى يجعلها كأنها ماثلة أمامنا .

هذا والمتنبى يفضل البحترى فى استيفائه تجاربه ، أما البحترى فكثيراً ما تُقصِّر قصائده عن وصف تجاربه ، يبتر التجربة ، وأنت تود لو أنه أسهب فى الحديث عنها ، مع أن قصائده أطول من قصائد المتنبى .

وكمثال على تجاربهما الحربية نأخذ هذين النصين لهما فى وصف بعض مواقع ممدوحيهما فقد وصف البحترى بعض معارك ابي محمد الثغرى فقال

فى كل درب قد أبات جيادَهُ * تهوى هُوِيّ جنادب فى حر جَـف

جازت على الجوزات وانكدرت على * ظهرٍ من الصفصاف قاع صفصَـف

صبحن من طَرَسُوسَ خرشنة التى * بعدت على الأمل البعيد الموجف

---

(١) ص (٤٨٤) من الرسالة .

وتركن ماوة وهى مأوى للصدى * مشفوعة بصدى الرياح العُصّفِ
وعلى قذاذية انحططن براية * أوفت بقادمتي عقاب منكفِ
جزن الخصى وقد تقحّم طالباً * ثأر الخصى بركض جدٍ مقرف
بهتته أهوال الوغى فلوانه * عين لشدة رعبه لم تطرفِ
يا يوسف بن محمد ما أحمد الـ ـروم انصلاتك بالحسام المرهف
ودوا وداداً لو جَدَعْتَ أنوفهم * جدع الرؤوس خلافُ خدع الآنف
خطبت إليك السلمَ ربةُ ملكهم * لو كان يطلب نائل من مسعفِ
وكأنني بك قد اتيت بعرشها * والسيف أسرع هبة من آصفِ
أنزلت بالإنجيل ثم بأهله * ذلاً أراهم عزَّ أهل الصحفِ
أسخطته بالبارقات وإنما * أرضيته لو كان غير محرَّف
فتح سبقت به الفتوح فجاء في * ميلاد ملك العاشر المستخلف(١)

وقال المتنبى فى وصف بعض معارك سيف الدولة :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم * ماذا يزيدك فى إقدامك القسم
وفى اليمين على ما أنت واعده * ما دّل أنك فى الميعاد متهم
آلى الفتى ابن شمشقيق فأحنثه * فتىً من الضرب تنسى عنده الكلم
وفاعلٌ ما اشتهى يغنيه عن حلف * على الفعال حضور الفعل والكرم
كل السيوف إذا طال الضراب بها * يمسها غيرَ سيف الدولة السأم
لوكَلّتِ الخيل حتى لا تحمله * تحمّلَتْهُ إلى أعدائه الهمم
أين البطاريق والحلف الذى حلفوا * بمفرق الملك والزعم الذى زعموا
ولّى صوارمه إكذاب قولهم * فهنّ ألسنة أفواهها القممُ
نواطق مخبرات فى جماجمهم * عنه بما جهلوا منه وما علموا
الراجع الخيلَ محفاة مقوّدة * من كل مثل وبار أهلها إرمُ

---

(١) ديوانه (٣/١٤١٥ — ١٤١٦) . وفى قوله (أنزلت بالإنجيل ...) ما يتنافى وطبيعة التوجه الإسلامى الداعى إلى الإيمان بالكتب السماوية واحترامها ، ولعله لم يرد الإنجيل وإنما قصد بإذلاله لأهل الإنجيل لأجسامهم .

كَتَلّ بطريقِ المغرورُ ساكنها * بأنّ دارك قِنّسرينُ والأجمُ
وظنهم أنك الصباح فى حلب * إذا قصدت سواها عادها الظلمُ
والشمس يعنون إلا أنهم جهلوا * والموت يدعون إلا انهم وهموا
فلم تتم سروج فتحَ ناظرها * إلا وجيشك فى جفنيه مزدحمُ
والنقع يأخذ حرّاناً وبقعتَها * والشمس تسفر أُحيانا وتلتثم
سحبٌ تمر بحصن الران ممسكةً * وما بها البخل لولا أنها نقم
جيش كأنك فى أرض تطاوله * فالأرض لا أَمَمٌ والجيش لا أَمَمُ
إذا مضى علم منها بدا علم * وإن مضى علم منه بدا علم
وشُزّبٍ أحمت الشعرى شكائمَها * ووسمتها على آنافها الحَكَمُ
حتى وردن بسمنين بحيرتها * تَنِشُّ بالماء فى أشداقها اللجم
وأصبحت بقرى هنزيط جائلة * ترعى الظبى فى خصيب نبته اللِّمَمُ
فما تركن بها خلداً له بصر * تحت التراب ولا بازاً له قدم
ولا هزبراً له من درعه لِبَد * ولا مهاةً لها من شبهها حَشَمُ
ترمي على شفرات الباترات بهم * مكامنُ الأرض والغيطانُ والأكمُ
وجاوزوا أُرْسَنَاسَاً معصمين به * وكيف يعصمهم ما ليس ينعصم
وما يصدك عن بحر لهم سعة * وما يردك عن طود لهم شمم
ضربته بصدور الخيل حاملة * قوماً إذا تلفوا قدماً فقد سلموا
تجفل الموج عن لبات خيلهم * كما تجفل تحت الغارة النعم
عبرت تقدمهم فيه وفى بلد * سكانه رِمَمٌ مسكونُها حِسَمُ (١)

فنجد بوناً شاسعاً بين الشاعرين فى استقصاء وقائع المعركة وآثارها فى كل بلد فالبحترى أفرد لكل بلد مر بها ممدوحه بيتاً واحداً وقد جمع فى البيت الواحد الحديث عن بلدين حديثاً مجملا لا تفصيل فيه، لا يبرز

(١) ديوانه (٤/١٢٩ — ١٣٦).

آثار المعركة حقيقية كما يبرزها المتنبي فها هو يقول :

وتركن ماوة وهي مأوىً للصدى * مشفوعة بصدى الرياح العُصَّف

فدل على أن مأوه قد أضحت خراباً ولكنْ لم يبيِّن آثار هذا
القصيده
الخراب وهذا يدل على أن ثوب/عنده كان أقصر من جسد التجربة ، وسبب ذلك عائد إلى عدم المشاركة الفعلية في الوقائع الحربية .

بينما نجد المتنبي لما تحدث عن (هنزيط) قال :

وأصبحت بقرى هنزيط جائلةً * ترعى الظبى فيخصيب نبته اللمم

فما تركن بها خلداً له بصر * تحت التراب ولا بازاً له قدمُ

ولا هزبراً له من درعه لِبَد * ولا مهاةً لها من شبهها حشمُ

ترمى على شفرات الباترات بهم * مكامنُ الأرض والغيطان والأكمُ

معان كثيره وأحداث شتى فصَّلها المتنبي لو استغل البحتري مثلها لأجاد وأفاد .

وأكثر ما رأيت البحتري يجيد فيه حديثه عن القائد وجنده أو عن الفارين والمصلوبين فإنه يستقصي جوانب تجربته ، ويقع على صور جميلة ، ومعان بديعة .

ثانياً : في العاطفة :

عاطفة الشاعرين في قصائدهما الحربية عاطفة الفرح النشوان ، بما حققه ممدوحوهما من انتصارات ويصاحب هذه العاطفة عاطفة دينية ناجمة عن إيمانهما العميق بأن انتصار ممدوحيهما وانتصار جندهم وخذلان أعدائهم فيه عز للاسلام ومنعة له ، وإذلال للكفر وأهله .

وهناك عاطفة ثالثة ولكنها قليلة الظهور ـ وهي عاطفة الحزن مما يرى من تقتيل الأقارب بعضهم بعضاً ، ولم تظهر هذه العاطفة لدى البحترى إلا في قصيدتيه اللتين وصف فيهما حروب ربيعة وتغلب ، وظهرت لدى المتنبي في قصيدتيه اللتين وصف فيهما بعض حروب سيف الدولة الداخلية مع بعض الأعراب .

ونتيجة لهذه العاطفة الحزينه فإن كلا الشاعرين شفعا لدى ممدوحيهما في هؤلاء القوم ، وذكراهم بقرابتهم منهم ، وحقهم عليهم .

وكمثال على عاطفة الفرح بالنصر نأخذ قول البحترى :

لله درك يوم بابك فارساً * بطلاً لأبواب الفتوح قروعا
لما أتاك يقود جيشاً أرعنا * يُمشى عليه كثافة وجموعا
وزّعتهم بين الأسنة والقنا * حتى أبدت جموعهم توزيعا
في معرك ضَنِكٍ تخال به القنا * بين الضلوع إذا انحنين ضلوعا
ما إن ثنى فيه الأسنة والظبا * لطلى الفوارس سجداً وركوعا
حلّيته بشعاع رأس ردّه * لبس الترائك للهياج صليعا
لما رأوك تبددت آراؤهم * وغدا مصارع حدهم مصروعا
فدعوتهم بظبا الصفيح إلى الردى * فأتوك طُرّاً مهطعين خشوعا
حتى ظفرت ببذهم فتركته * للذل جانبه وكان منيعا

وبذى الكلاع قدحت من زند القنا * حرباً بإتلاف الكماة ولوعا
لما رميت الروم فيه بضمَّرٍ * تعطي الفوارس جريها المرفوعا
كنت السبيل إلى الردى إذ كنت فى * قبض النفوس إلى الحمام شفيعا
فى وقعة أبقى عليهم غبُّها * رخمَ الفيافى والنسورَ وقوعا
هذا وأى معاند ناهضته * لم تُجْرِ من أوداجه ينبوعا؟ (١)

وقال المتنبى :

ألهى الممالك عن فخر قفلت به * شربُ المدامة والأوتارُ والنغمُ
مقلداً فوق شكر الله ذا شطبٍ * لا تستدامُ بأمضى منهما النِّعَمُ
ألقت إليك دماءُ الروم طاعتها * فلو دعوت بلا ضربٍ أجابَ دَمُ
يسابق القتلُ فيهم كلَّ حادثة * فما يصيبُهُم موتٌ ولا هَرَمُ
نفت رقادَ عليٍّ عن محاجره * نفسٌ يفرج نفساً غيرها الحُلُمُ (٢)

وقال :

فوت العدو الذى يمَّمتَهُ ظفرٌ * فى طيِّهِ أسفٌ فى طيِّه نعمُ
قد ناب عنك شديدُ الخوفِ واصطنعت * لك المهابةُ مالا تصنعُ البُهَمُ
ألزمت نفسك شيئاً ليس يلزمُها * ألاّ يوارِيَهم أرضٌ ولا علمُ
أكُلَّمَا رمت جيشاً فانثنى هرباً * تصرَّفَتْ بك فى آثاره الهِمَمُ
عليك هزمهم فى كُلِّ معتركٍ * وما عليك بهم عارٌ إذا انهزموا (٣)

فنجد عاطفة الفرح ظاهرة فى قول البحترى عن طريق التعجب فى قوله (لله درك ...) والاستنكار (هذا وأى معاند ...)

---

(١) ديوانه (٢ / ١٢٥٦) من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغرى .
(٢) ديوانه (٤ / ١٤١) من قصيدة يمدح بها سيف الدوله .
(٣) ديوانه (٤ / ٨١ — ٨٢) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

وفى أبيات المتنبى فى عدّه انتصارات سيف الدولة فخراً اختص به وفى كون سيف الدولة قد أكثر القتل فيهم ، وفى تصوُّره انهزام المنهزمين منهم نصراً له .

فهذا ما ظهر من هذه العاطفة وأما مابطن منها فيكمن فى متابعتهما لأحداث المعارك والمتنبى أشد إعجابا من البحترى بهذه الأحداث ، ولذا ظهرت قصائده حاوية لكثير من دقائق وأحداث هذه المعارك .

وكمثال لعواطفهما حين الانتصار على عدوٍّ قريب من الممدوح نجد البحترى يقول مخاطباً المتوكل حين انتصر على ربيعة :

لما رأوا رهج الكتائب ساطعاً * قالوا الأمان ولات حين أمان
يثلون من حر الحديد وخلفهم * شعل الظبا وشواجر الخرصان
يوم من الأيام طال عليهم * فكأنه زمن من الأزمان
أُيّدت بالنصر الوشيك وأتبعوا * فى ساعة الهيجاء بالخذلان
راموا النجاة وكيف تنجو عصبته * مطلوبة بالله والسلطان
جاءتك أسرى فى الحديد أذلةً * مشدودة الأيدى إلى الأذقان
لك فى بنى غنم بن تغلب نعمة * فهلم أخرى فى بنى شيبان
أعمام نتلة أمكم وهى التى * شرفت وأخوة عامر الضحيان
نمرية ، ولدت لكم أُسْد الشرى * والنمر بعد ووائل أخوان
من شاكرعني الخليفة فى الذى * أولاه من طول ومن إحسان (١)

---

(١) ديوانه (٤/٢٢٥٣ — ٢٢٥٤).

ويقول المتنبى :

بنو كعب وما أثرت فيهم * يدٌ لم يدمها إلا السوار
بها من قطعه ألم ونقص * وفيها من جلالته افتخار
لهم حق بشركك فى نزار * وأدنى الشرك فى أصلٍ جوار
لعل بنيهم لبنيك جند * فأول قرح الخيل المهار
وأنت أبرُّ من لوعف أفنى * وأعفى من عقوبته البوار
وأقدرُ من يُهَيِّجُهُ انتصار * وأحلم من يحلّمه اقتدار
وما فى سطوة الأرباب عيب * ولا فى ذلة العبدان عار (١)

فنجد عاطفة المتنبى أشد حزناً على مصير هؤلاء ، لأنه لما شفع لهم ضرب الأمثال فقال (يد لم يدمها إلا السوار . . .) وبيّن قرابتهم من ممدوحه وحقوقهم عليه من قرابة وجوار وبين ما يرجى لهم من الصلاح ومساندته ومساندة أبنائه وذكّره بكرم أخلاقه . أما البحترى فلم يذكر من ذلك إلا قرابتهم من ممدوحه وهذا وحده لا يكفى .

هذا وقصائد المتنبى التى اختلطت فيها الأغراض كثيراً ما تكون عاطفته فى مطالعها عاطفة شخصية ، حزينة يائسة ، لعظم ما يلاقيه من حساده ، ولعدم تحقق مطامعه وآرابه .

وأما قوة العاطفة لديهما ، فالمتنبى أقوى عاطفة من البحترى فى أكثر قصائده الحربية إذا علمنا أن البحترى يمدح كثيراً من القادة ، واختص بمدح عدد من الخلفاء ، إلا اذا استثنينا قصائده فى أبى سعيد وابنه ، فإن عاطفته فيهما قوية مؤثرة .

---

(١) ديوانه (٢ / ٢١٥ — ٢١٦) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة.

وأما ثبات العاطفة وصدقها لديهما ، فهما فيه سواء ، إذ كل قصائدهما تجعلنا نتابعها بشوق شديد ، لما ينقلان لنا من صور الحرب ، كما تترك فى أنفسنا أثراً عظيماً بحيث لا نَمَلُّ استعادتها .

ثالثاً : في الأفكــار :

الأفكار التي عالجها الشاعران في قصائدهما الحربية متقاربة جداً وأكثر قصائدهما متوائمة الأفكار ويدعو بعضها بعضاً ، وإن وجد في بعضها ما يشعر التفكك (١) .

أما من حيث الوضوح والغموض فالبحتري أكثر وضوحاً في معانيــه من المتنبي ، وهذا راجع إلى مذهبه الشعري ، وأنه لم يكن ممن يدقّقــون عند عرض أفكارهم ولا ممن ينحون مناحي فلسفية ، كذلك لم يكن ممن يعاظل بين ألفاظه بالتقديم والتأخير غير البليغ أو ممن يحشد الضمائر مع عدم مراعاة مرجع كل منها لأن كل ذلك مما يزيد في الغموض ومثال ذلك لمعرفة الفرق فيما بينهما في ذلك نأخذ قول البحتري في وصف ممدوحه وانبهار الأعــداء حين رؤيته :

لما رأوك تبددت آراؤهـــم * وغدا مصارع حدّهم مصروعـــا
فدعوتهم بظبا السيوف إلى الردى * فأتوك طُرّاً مهطعين خضوعـــا (٢)

وقال المتنبي في مثل هذه الحال :

لما رأوك رأوا أباك محمداً * في جوشن وأخا أبيك معــاذا
أُعجلت أَلسنهم بضرب رقابهــم * عن قولهم لا فارس إلا ذا (٣)

فالبحتري ذكر من علامات هذا الانبهار تفرق الكلمة ووقوع الهزيمة عليهم وإكثار القتل فيهم وكأنّما جاءوا بإرادتهم .

والمتنبي ذكر من علامات هذا الانبهار أنهم لما رأوه تصوروه أباه

---

(١) ص : (٤٩٦ ، ٦٣٤) من الرسالة
(٢) ديوانه (٢/١٢٥٦) من قصيدة يمدح بها أبا سعيد .
(٣) ديوانه (٢/١٨٦) من قصيدة يمدح بها مساور بن محمد الرومي

أو أخاه، وليس في مشابهته لهما في الشجاعة مثلاً كبيرُ فخر بل الفخـــر أن لا يكون له مثل ، وذكر أيضا أنهم لو مكنوا من الكلام لقالوا لا فارس إلا ذا وهذا جيد .

وكمثال آخر نأخذ وصفهما للفرسان المقاتلين فالبحتري يقول :

سمونا لهم في عصبةٍ بحتريـّـةٍ * يُكِرُّون ليسوا يعرفون سوى الكَرِّ
إذا وتروا اخلَّوا جفون سيوفهم * خلاءً،ولا يغضون جَفْناً على وَتْرِ (١)

والمتنبي يقول :

واذا أشفق الفوارس من وقع القنا * أشفقوا من الإشـــــفاقِ
كل ذمرٍ يزيد في الموت حسنـاً * كبدور تمامهـا في المحاق (٢)

فالبحتري وصفهم بالإقدام وأنهم لا يعرفون سوى الكر فلا يخافون ويفرون ، والمتنبي أراد أن يصفهم بالإقدام والثبات في ميدان المعركـة ولكنه لم يجئ بصورة واضحة بل جاء بها غامضة معقدة فجعلهم في المواطن التي يخاف فيها الفرسان من الفرار هم يخافون من هذا الخوف أن يقـع في قلوبهم فلا يمكن أن يحصل لهم أصلاً فهم ثابتون دائماً ، فقد احتاج تفسيرها إلى هذا الكَمِّ من الكلمات ، وتفسير البيت التالي له،أشدُّ تعقيداً وقد تقدم الحديث عنه وعما فيه من غموض . (٣)

---

(١) ديوانه (٢/١٠٨٣) من قصيدة فخرية .

(٢) ديوانه (٣/ ١٠٦) من قصيدة يمدح بها أبا العشائر .

(٣) ص (٦٤) من الرساله .

وأما من حيث العمق والسطحية :

فالمتنبي أشد عمقاً من البحتري ، خاصة إذا علمنا أنه ينقل الصورة الواحدة إلى عدة أشياء دون أن نشعر أنها مرّت علينا من قبل مثال ذلك معنى عدم نفع أي سلاح أو عتاد حربي إذا لم يكن مستخدمه شجاعاً مقداماً ، فإن البحتري لم يثبت هذا المعنى إلا للسيف فقال :

وما السيف إلا بزُّ غادٍ لزينة * إذا لم يكن أمضى من السيف حامله (١)

وقال :

فلا تغلَبنْ بالسيف كلَّ غلائه * ليمضي فإن القلب لا السيفُ يقطع (٢)

لكن المتنبي أثبته للسيف وكرره مراراً فقال :

إن السيوف مع الذين قلوبهم * كقلوبهن إذا التقى الجمعان (٣)

وقال :

تلقى الحسام على جراءة حدّه * مثل الجبان بكف كل جبان (٤)

وقال :

إذا ضربت بالسيف في الحرب كفُّه * تبينت أنّ الكف بالسيف يضرب (٥)

وأثبته للخيل والرماح فقال :

وما تنفع الخيل الكرامُ ولا القنا * إذا لم يكن فوق الكرام كرام (٦)

(١ ، ٢) ص (١٨١-١٨٢) من الرسالة .

(٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) ص (٦٤٤) من الرسالة .

كما أنه أيضاً قد يفتق من المعنى الواحد عدّة معان بخلاف البحترى فمثلا : معنى زيارة الأعداء لم يستخرج منه البحترى إلا معنى واحداً وهو عدم الشّوق إليها فقال :

نزور بلا شوق تذورة وابنها * وقد صَدّ عنها توفل بن مخايلا (١)

بينما المتنبى قد استخرج منه معنيين الأول عدم الشوق ، والثانى الجرأة والإقدام اللذين اتصف بهما ممدوحه فقد قال :

نزور دياراً ما نحبُّ لها مغنى * ونسأل فيها غير ساكنها الأذنا (٢)

وهذا لا يعنى عدم عمق أفكار البحترى ، فإن له أفكاراً عميقة يدل عليها ما يحشده فى قصيدته من معانٍ شتى فهو مثلاً يمدح الخليفة أو الأمير بالشجاعة والكرم والديانة وسداد الرأى وحسن الخلق ، وهيبة الناس له ، وعراقة نسبه وجمال وجهه ، ولَمّ شعث الأمه ، ثم يصف معاركه ونتائجها غير ما يحشوه فى مقدمة قصائده من المعانى البديعة . (٣)

وأما من حيث التقليد والتجديد :

فمعانى البحترى كلُّها تقليديّة إلا إذا استثنينا تناوله لحرب البحر وأحوال الأسرى المسجونين . (٤)

أما المتنبى فله معان كثيرة جديدة لم يسبق إليها ومن ذلك مدحه سيف الدولة بجنس السيفية واستخدامه معانى الغزل فى حديث الحرب . (٥)

وأما من حيث المبالغة والاقتصاد :

فالبحترى ــ فى الغالب ــ مقتصد لا يبالغ كثيراً ، وإن بالغ

---

(١) ص (٣٥١) من الرسالة .
(٢) ص (٣٥١) من الرسالة .
(٣) ص (٥٠٠) من الرسالة .
(٤) ص (٥٠١ - ٥٠٧) من الرسالة .
(٥) ص (٦٤٨ - ٦٥٢) من الرسالة .

لا يفرط أو يحيل ، بينما نجد المتنبى يعمد إلى المبالغة دائماً ، حتى عدّها الدكتور طه حسين من مقومات فَنّهِ[1] ومن ذلك معنى كثرة غزوات الممدوح فإن البحترى يقول :

ووصلتَ أرض الروم وصل كُثَيِّرٍ * أطلال عَزّة فى لوى تيماء[2]

والمتنبى يقول :

أنت طول الحياة للروم غازٍ * فمتى الوعدُ أن يكون القفول[3]

وقال :

أخو غزوات ما تُغِبُّ سيوفُهُ * رقابَهُمُ إلا وسيحان جامد[4]

فالبحترى جعل إكثار ممدوحه للغزو ككثرة وصل كُثَيِّرٍ أطلال عزة فالمعنى قريب لا مبالغة فيه .

أما المتنبى فبالغ بجعله غازياً لهم طول الحياة .

وعموماً فمبالغات أبى الطيب أكثرُها مقبولٌ لأنها تزيد المعنى الحربى تهويلاً وهذا لا بأس به فى شعر الحرب .

وبهذا نأتى إلى ختام الموازنة بين الخصائص الفنية لشعر الحرب لدى الشاعرين .

---

(١) ص (٦٥٦) من الرسالة .

(٢) ص (٥٢) من الرسالة .

(٣) ص (٢٤٩) من الرسالة .

(٤) ص (٢٥٠) من الرسالة .

الخاتمة

بعد هذا التجوال فى ديواني البحترى والمتنبى الذى استطعت من خلاله الوقوف على الشعر الحربى لديهما ، والتعرف على مدى متابعتهما لخطوات الحراب خطوة خطوة ، فإنى أوجز هذه الدراسة وأبين أهم النقاط التى توصلت إليها خلالها فيما يلى :

قامت هذه الدراسة على ثلاثة أبواب ، فى كل باب ثلاثة فصول فأما الباب الأول وكان بعنوان : (عصر كل من الشاعرين وحياته) فقد تحدثت فيه فى الفصل الأول عن (عصر البحترى وحياته) بادئا بالحديث عن عصره وما كان فيه من أحداث سياسية فذكرت خلفاء العشرة وكان أولهم المأمون وآخرهم المعتضد ، كما ذكرت أشهر ما كان فيه من حروب داخلية منها : حرب بابك الخرمى ومساور الشارى ويعقوب الصفار والعلوى قائد الزنج ، ومن حروب خارجية منها : فتح المعتصم عمورية ومحاربة بغا الكبير لأهل أرمينية ، وغزوة محمد بن عبد الله القمى للبجاة بمصر وبعض حروب ولاة الثغور وولاة صقلية .(١)

ثم تحدثت عن الحياة الاجتماعية ومظاهرها المتمثلة فى تعدد أجناس الشعب وتكون المجتمع من طبقات نظراً لتغير ظروف المعيشة واضطرابها ، وتنوع الديانات من يهودية ونصرانية ومجوسية وصابئة ، التى كانت تعيش فى ظل سماحة الاسلام وذمته .

كما تحدثت عن تشكل صور الحياة العامة تبعاً للظروف التى تمر بها الخلافة من أمن وما يلحقه من رخاء وثراء أو اضطراب أحوال وما يتبعه من فقر ويأس ، وما نجم عن الحالة الأولى من كثرة الرقيق والجوارى والمجون

---

(١) الرسالة من (ص ١٢ إلى ص ٢٢) .

والتهتك لدى بعض الطبقات ، وما ترتب على الحالة الثانية من شعوبية وعداء مقيت للعرب . (١)

ثم تحدثت عن الحالة الثقافية وكيفية طلب الناس العلم في الكتاتيب وحلق المساجد وما كان من اهتمام الخلفاء ووزرائهم بالعلم وأهله وما نجم عن ذلك من كثرة العلماء والشعراء ، وقد ذكرت أشهرهم صيتاً ثم آثار هذه الثقافة وما نشأ عنها من تنوع المذاهب وتعدد الفرق كأهل السنة والمعتزلة والشيعة والصوفية والزنادقة . (٢)

وبعد حديثى عن العصر تحدثت عن حياة البحترى وعرّفت بنسبه وأنه طائى قحطانى من مواليد أرض الشام بالقرب من حمص ، وقد نشأ بين أهله وعشيرته ، ثم ارتحل أولا إلى الشام وبه تعرف على أبى سعيد الثغرى وابنه وأبى مسلم بن حميد الطوسى وإخوته وعلى الفتح بن خاقان الذى وصله فيما بعد بالخليفة العباسى المتوكل ، وقد ارتحل أيضا إلى العراق مرات عديدة كان أهمها رحلته التى نال القرب والحظوة بها من الخليفة المتوكل ومن ثم اتصاله بمن بعده من الخلفاء والوزراء وأشهر وجهاء العصر وبينت أثر هذه الرحلات عليه من شهرة وثروة ورقة ديباجة ، وإجادة فنون المنادمة وفخره بذلك . (٣)

ثم تحدثت عن شخصيته المتمثلة فى صفاته الخَلْقية والخُلُقية التى كان من أشهرها أنه كان ذكياً يعرف نفسية ممدوحه فيقف فى شعره على رغباته

---

(١) الرسالة من (ص ٢٣ إلى ص ٢٩) .

(٢) الرسالة من (ص ٣٠ إلى ص ٣٦) .

(٣) الرسالة من (ص ٣٧ إلى ص ٤٩) .

كما كان وفياً لاصدقائه كثير الفخر بنسبه وبشعره وشاعريته وبما لقيه من جاه ، كما تحدثت عن علاقته بصفة عامة بالخلفاء والوزراء وما ترتب على ذلك من وجود قرابة محبين له وأعداء مبغضين له بعضهم من أترابه ومعاصريه من الشعراء كابن الرومى وبعضهم من قراباته وأبناء عمومته . (١)

ثم تحدثت عن شعره وأشهر أغراضه من المديح والغزل والوصف والهجاء والعتاب والرثاء والفخر والتهنئة والتوديع وذم الزمان ، والإخوانيات ثم ذكرت محاسن شعره المتمثلة فى رقة الديباجة وحسن سبك اللفظ على المعنى وجمال الموسيقى وحسن الاستهلال وما عيب عليه من عدم تنسيق أفكاره وعدم إحسانه التخلص والخروج وما اتهم به من السرق ، ثم تحدثت عن شاعريته وما قاله النقاد من الشهادة له بالشاعرية حتى عدوه صاحب طريقة نسبت إليه . (٢)

كما تحدثت عن وفاته مكاناً وتاريخا وعن أشهر آثاره المتمثلة فى ديوانه ومن رواه أو شرحه وعن تأليفه كتاب حماسة على غرار حماسة أبى تمام ، وكتاباً اسمه معانى الشعر لم يصل إلينا . (٣)

وقد تحدثت فى الفصل الثانى عن (عصر المتنبى وحياته) على غرار حديثى عن البحترى ففى حديثى عن عصره تحدثت عن أشهر الأحداث السياسية من تعاقب ستة خلفاء على الخلافة أولهم المقتدر بالله وسادسهم المطيع لله ، ومن تعدد إمارات وأشهرها خمس إمارات هي :

---

(١) الرسالة من (ص ٥٠ إلى ص ٥٦) .

(٢) الرسالة من (ص ٥٧ إلى ص ٦٦) .

(٣) الرسالة من (ص ٦٧ إلى ص ٦٨) .

(الحمدانيون ، والبويهيون ، والإخشيديون ، والفاطميون ، والسامانيون)[١]

ومن كثرة الحروب الداخلية والخارجية ، حيث تمثلت الداخلية في خروج القرامطة والخوارج أول العصر على الخلافة في بادية العراق والشام ثم في تنازع الإمارات كلٌ تنازع جارتها ما قاربها من البلدان ، كما تمثلت الحروب الخارجية في صَدِّ هجمات الفرنجة التي إستشرت هذا العصر وقوى أوارها ، أو في بعض غزوات المسلمين وأشهر من ولى ذلك من أُمثال سيف الدولة .[٢]

ثم تحدثت عن الحياة الاجتماعية وملامحها المتمثلة في تعدد أجناس الشعب من عرب وترك وفرس وأفارقة ، وقد قوى نفوذ الفرس في هذا العصر نظراً لتوليهم زمام الأمور في بغداد بحكم دولتهم البويهية الديلمية ، كما تمثلت هذه الملامح في تعدد طبقات الشعب استمراراً لما كان في العصر السابق وذكرت بعض صور الحياة العامة وما فيها من ترف تعددت مراكزه نظراً لتعدد مراكز الإمارات ، وما فيها من فقر ويؤس لكثرة الفتن والحروب ، وآثار كل على الحياة من كثرة المجان والباذخين والزهاد والمتصوفة .[٣]

ثم تحدثت عن الحياة الثقافية وكيفية طلب العلم في المساجد والكتاتيب والمجالس الخاصة والمكتبات والمنتديات وفي الحدائق ، وذكرت صوراً من اهتمام الخلفاء ووزرائهم والوجهاء بالعلم وأهله وما ترتب على ذلك

---

(١) الرسالة (ص ٧٠ إلى ص ٧٤) .

(٢) الرسالة من(ص ٧٤ إلى ص ٨٤) .

(٣) الرسالة من (ص ٨٥ إلى ص ٨٩) .

من كثرة العلماء والأدباء والشعراء ، وقد ذكرت أشهرهم ، ثم ذكرت أشهر الفرق والمذاهب وقد لوحظ عليه قوة سلطان الشيعة لمناصرة الإمارات الشيعية المتمثلة فى البهويهيين والحمدانيين لهم .(١)

ثم تحدثت عن حياة المتنبى ذاكرًا أنه جعفى صريح النسب من مواليد الكوفة نشأ فى عصر كثرت فيه الفتن وقويت شوكة القرامطة ، وقد تعلم فى كتاتيب الكوفة كما ارتحل إلى البادية لإفادة الفصاحة من أهلها ، وقد صبغته هذه الرحلة بثورية ظاهرة فى شعره ، كما ظهر أثر تعلمه فى حرصه على الغريب فى شعره وفى اطلاعه على شعر من سبقه وحفظه الكثير منه ، كما بدأ بالرحلات إلى الشام فمدح أمراءها وسجن هناك متهماً بالثورة وقيل لادعائه النُبُوَّة ، ثم عاد إلى الكوفة مرة ثانية لكنه لم يلبث أن عاد إلى الشام مادحاً بعض الأمراء كان من أشهرهم بدر بن عمار الأسدى وأبو العشائر ابن عم سيف الدولة إلى ان تمكن من مدح سيف الدولة فاستأثر به إلى أن فارقه مغاضباً بعد مكث دام تسع سنين ، مُصَوِّباً أطراف الشام مما يلى الرملة ، ومنها توجه إلى الفسطاط استجابة لرغبة كافور الإخشيدى الذى لم يلق عنده ما يؤمله ففارقه فارًّا إلى أن دخل الكوفة فأقام متنقلا بينها وبين بغداد ، ثم رحل إلى ابن العميد فى أَرَّجَان من الإقليم الفارسى الذى أغراه بالوفود على عضد الدولة فى شيراز ، حيث مكث عنده مُكَرَّماً إلى أن رغب فى العودة إلى العراق فعاد ، وقبل أن يصل قتل فى الطريق على مشارف بغداد سنة ٣٥٤ هـ .(٢)

---

(١) الرسالة من (ص ٩٠ إلى ص ٩٨) .

(٢) الرسالة من (ص ٩٩ إلى ص ١١٧) .

ثم تحدثت عن شخصيته ذاكراً أشهر صفاته الخُلُقية من الذكاء وقوة الحافظة والطموح والتعاظم وآثار ذلك من كثرة الأعداء وقلة الأصدقاء وكذا حبه الغربة ، واعتزازه بعربيته .(١)

ثم تحدثت عن شعره ، وظهور شخصيته فيه ، وما يلونه به من فخر بنفسه أو بشاعريته أو بذمه الزمان وأهله ، ذاكراً أشهر أغراض شعره من المديح والفخر والوصف والهجاء والرثاء والحكمة ، والغزل ، وقد لوحظ عليه ، قلة وصفه لمشاهد الطبيعة ، وقلة غزله ، وذلك لذمه العشق وأهله ، وإن وجد له شيء من ذلك فهو نسيب في الأعرابيات في بعض مطالع قصائده ، يتميز بالعفة والطُهر .

ثم ذكرت أشهر محاسن شعره والتي لخصها الثعالبي بحسن المطلع وإجادة التخلص وجمال التشبيه ، وعذوبة التقسيم ، وإرسال الحكم والأمثال ، كما ذكرت أشهر ما عيب عليه من التعمية والتفاوت بين الجيد والرديء ، وإتيانه بالشاذ من اللغة والغريب الوحشي ، والمبالغات الممقوتة شرعاً أو عقلاً .(٢)

ثم تحدثت عن شاعريته وأشهر أقوال النقاد فيها ، وأنه بلغ شهرة لم يبلغها شاعر قبله ولا بعده ملأ بها الدنيا وشغل الناس .(٣)

وقد وازنت في الفصل الثالث (بين عصري الشاعرين وبين حياتيهما)

---

(١) الرسالة من (ص ١١٨ إلى ص ١٢١) .

(٢) الرسالة من (ص ١٢٢ إلى ص ١٢٨) .

(٣) الرسالة من (ص ١٢٨ إلى ص ١٣٠) .

وقد اتضح لى من خلال الموازنة بين العصرين ما يأتى :

١ - قوة سلطان الخلافة فى عصر البحترى عنه فى عصر المتنبى ، لما نجم عن ذلك فى عصر المتنبى من استقلال الإمارات عن الخلافة ، مما كان سبباً فى اتجاه أُنظار الناس ومن بينهم المتنبى إلى أُمراء هذه الدويلات وعدم مدحه الخليفة قط.[(١)]

٢ - أن الحروب الداخلية فى عصر البحترى كان يقوم بها أفراد ضد الخلافة من أمثال بابك الخرمى وقائد الزنج والقرامطة ، بيد أنها فى عصر المتنبى كانت حروباً بين إمراء الإمارات ، إلا إذا استثنينا حروب القرامطة أول القرن .[(٢)]

٣ - أن الحروب الخارجية أو بالأحرى (الجهاد) فى عهد البحترى كانت موكولة إلى قادة أفذاذ ولم يتول قيادتها الخلفاء وخاصة منذ عهد الواثق بالله ، ولهذا لما مدح البحترى الخلفاء لم يمدحهم كقادة محاربين ، وإنما أشار إلى حروب قوادهم ونتائجها أما فى عهد المتنبى فقد كان سيف الدولة هو القائد لها ، ولهذا لما مدحه المتنبى أبرز هذه الصفة فيه وألح عليها .[(٣)]

٤ - أن الحياة الاجتماعية متشابهة فى أكثر أحوالها فى هذين العصرين إلا أن سيطرة الترك فى عهد البحترى كانت أكثر ، بينما ضعف

---

(١) الرسالة (ص ١٣٢ ، ١٣٩) .

(٢) الرسالة ص (١٣٣) .

(٣) الرسالة من (ص ١٣٣ إلى ص ١٣٤) .

سلطانهم فى عهد المتنبى لتولى الفرس زمام الأمور ، كما تعددت مراكز الترف نظراً لتعدد عواصم الإمارات . (١)

٥ — أن الحياة الثقافية قد زاد نشاطها فى عهد المتنبى لتعدد مراكز العلوم تبعا لتعدد عواصم الإمارات ، وظهر فى كلا العصرين شعراء فحول لكن شهرة البحترى والمتنبى غطّت على أكثرهم ، ومن حيث المذاهب والفرق فقد ضعف سلطان المعتزلة منذ عهد البحترى لإضعاف المتوكل له ، بينما نجد نفوذ الشيعة قد زاد فى عصر المتنبى لوجود البويهيين والحمدانيين والفاطميين . (٢)

أما من حيث الموازنة بين حياتى الشاعرين فقد ظهر لى أن المتنبى أعمق ثقافة من البحترى لكونه درس فى كتاتيب الكوفة ، وخالط الأعراب وجالس العلماء وناقشهم وشعره شاهد على ذلك .

كما ظهر لى أيضا من خلال الاطلاع على ملابسات نشأتهما ورحلاتهما أن حياة البحترى كانت مستقرة هادئة ، فلم يرحل إلا لطلب مزيد من الثروة ، وكان ذا منعة فى قومه ، بخلاف المتنبى الذى كانت حياته حياة مضطربة لاقى فيها كثيراً من الأعداء وصنوفاً من العناء . (٣)

وأما الباب الثانى فكان بعنوان (موضوعات شعر الحرب عند الشاعرين) ويتكون من ثلاثة فصول : الفصل الأول فى (موضوعات شعر الحرب عند البحترى) وقد قدمت لهبتمهيد أثبت فيه مشاركته

---

(١) الرسالة (ص ١٣٤) .

(٢) الرسالة من (ص ١٣٥ إلى ص ١٣٦) .

(٣) الرسالة من (ص ١٣٧ إلى ص ١٣٨) .

فى الحروب من خلال شعره ، ثم تتبعت ما جاء فى شعره مصوراً مراحل الحرب مرحلة مرحلة منذ الإعداد لها بادئاً بما جاء له من وصف القائد بطول القامة وبهاء الطلعة وجمال الوجه وهيبة الناس له وعراقة النسب والكرم والشجاعة ودلائلها وسداد الرأى والكيد وكتمان السر وحسن التدبير والعزم والحزم وخشونة العيش وقلة النوم .(١)

ثم ذكرت ما جاء له فى وصف الجند من وصف صفاتهم الخَلْقية كقوة الأجساد وطول القامة وبعد ما بين المنكبين وابيضاض الوجه ، ثم ما ذَكَر من صفاتهم المكتسبة كالدربة على القتال وإجادة الرمى ، ثم ماذَكَر من صفاتهم الخُلُقيّة كالشجاعة ودلائلها من حب القتال والإقبال على المعارك دون رهبة .(٢)

ثم ذكرت ما له من شعر فى الإعداد للمعركة سواء فى وصف الجيش أو وصف الخيل وأكثر ما وجدت له من وصفٍ وصفٌ لخيول بعينها ركز فيه على جمال هيئتها وحسن شكلها ، أما وصفه للخيل التى خاضت الحروب فقليل ، كما أبنت عما جاء فى شعره من وصف السفن الحربية ــ وهو قليل ــ ووصف السيوف والرماح والنبال والقِسِيّ والدروع ، وأكثر ما له من ذلك كان فى السيوف والرماح ، أما وصف البَيْض والرايات والمنجنيق فقليل موجز .(٣)

ثم ذكرت ماله من شعر فى المرحلة الثالثة وهى التحرك إلى ميدان القتال ووصفه سيرَ الجيش ووصف الفرسان حال السير ومصاحبة المنايا للقائد .(٤)

---

(١) الرسالة من (ص ١٤٥ إلى ص ١٦٠) .

(٢) الرسالة من (ص ١٦٠ إلى ص ١٦٧) .

(٣) الرسالة من (ص ١٦٨ إلى ص ١٩٦) .

(٤) الرسالة من (ص ١٩٧ إلى ص ١٩٩) .

ثم ذكرت ماله من شعر يمثل المرحلة الرابعة وهو ما يحدث في ميدان القتال من كثرة الغبار ، وشدة الحرب ، وضرب السيوف وطعن الرماح ورمى النبال .(١)

ثم ذكرت ماله من شعر يمثل المرحلة الخامسة وهو تصوير ما يكون في أعقاب المعركة ، وإبراز آثارها من خسارة للأعداء بكثرة القتلى وكثرة الدماء ووقوع الطير والسباع على جثثهم ، ووصف الفارين والمأسورين منهم ووصف السبى والسجون ، ووصف المصلوبين وفرح الناس بذلك ، ثم بيانه آثار الانتصارات أو الهزائم على نفوس المتحاربين ، وما يعقب ذلك من بعث البشرى بالنصر إلى الخليفة ، كل هذا بمتابعة دقيقة وتسجيل أمين .(٢)

والفصل الثانى فى (موضوعات شعر الحرب عند المتنبى) وقد سرت فيه على غرار ما ذكرت آنفا فى موضوعات شعر الحرب عند البحترى فقد أثبت مشاركته فى الحروب وما ذكر من صفات القائد الخَلْقية والخُلُقية(٣) وما ذكر من صفات الجند(٤) وما له من شعر يمثل مراحل المعركة من إعداد، حيث وصف الجيوش وأطال فى ذلك ، وَوَصَفَ الخيول وأبدع فى إثبات كفاءتها القتالية ووصف السيوف والرماح وعملها وكذا وَصْفُ سائر أدوات القتال إلا أن حديثه عن الخيل والسيوف والرماح يعد أكثر شىء تحدث عنه(٥) ثم ذكرت شعره الذى يمثل مرحلة التحرك إلى ميدان

---

(١) الرسالة من (ص ٢٠٠ إلى ص ٢١٥) .

(٢) الرسالة من (ص ٢١٦ إلى ص ٢٤١) .

(٣) الرسالة من (ص ٢٤٣ إلى ص ٢٦١) .

(٤) الرسالة من (ص ٢٦١ إلى ص ٢٦٥) .

(٥) الرسالة من (ص ٢٦٦ إلى ص ٣٠٣) .

القتال ووصفه الجيوش حال التحرك وكثرة غبارها [١] ثم ذكر ماله من شعر صور فيه ما يحدث في ميدان المعركة من شدة الحرب والضرب بالسيوف والطعن بالرماح [٢] وما يعقب ذلك من آثار المعارك من كثرة قتلى وجرحى وأسرى وسيلان دماء وفرار فارين وإحراق ديار وآثار ذلك على أنفس المتحاربين ، والشفاعة لبعض الخارجين على ممدوحه من الأعراب [٣] .

وفي الفصل الثالث وازنت بين موضوعات شعر الحرب عند الشاعرين وقد سرت في كل موضوع بذكر ما اشتركا فيه ، مع محاولة إبراز وجه التفوق لدى كل منهما ، ثم ذكر ما انفرد به كل واحد من الآخر ، ثم ذكر ما اقتفى به المتنبي آثار البحتري بحكم تقدم عهده ، فبدأت في ذكرهما المشاركة في الحروب ، واقتفاء المتنبي البحتريّ في عَدّه غزوات ممدوحه زيارة لديار الأعداء [٤] .

ثم ذكرت ما اشتركا فيه من الحديث عن صفات القائد ، وأبرزت انفراد البحتري بذكر بعض الصفات الخُلُقية ككتمان السر وخشونة العيش ، وقلة النوم ، وانفراد المتنبي بالإشادة بلقب سيف الدولة ، وإلحاحه على إبراز حب سيف الدولة الحروبَ ، وجعله الحرب عاشقة له ، وإسهابه في إبرازه إخافة ممدوحه الأعداء ، ثم ذكرت بعض ما اقتفى به المتنبي آثار البحتري من إخافة ممدوحه أطفال الروم واستباحته ذراريهم وتَعَوُّدَهُ لبس الدروع [٥] .

---

(١) الرسالة من (ص ٣٠٤ إلى ص ٣٠٩) .

(٢) الرسالة من (ص ٣١٠ إلى ص ٣٢١) .

(٣) الرسالة من (ص ٣٢٢ إلى ص ٣٤٨) .

(٤) الرسالة (ص ٣٥٠ ٣٥١) .

(٥) الرسالة من (ص ٣٥٢ إلى ص ٣٥٥) .

ثم ذكرت ما اشتركا فيه من صفات الجند ، وما انفرد به البحتري عن المتنبي من ذكر صفاتهم الخَلْقية أنواعهم وطول قاماتهم وسباطة أناملهم وسعة صدورهم ، وكذا ما انفرد به أيضاً من صفاتهم المكتسبة كبيانه الروح القتالية العالية لهم ، وكونهم حريصين على إعلاء كلمة الله . وكونهم مجيدين للرمي بالنار ثم ذكرت ما انفرد به المتنبي من جعلهم فرساناً يُرْهبون أعداءهم ، وعلّقت على بيتين لهما فيهما الإشادة بحذق هؤلاء الفرسان ظهر لي فيها أن مشرب الشاعرين فيهما واحد .(١)

ثم ذكرت اشتراكهما في الحديث عن أشهر عتاد الحرب من اعداد الجيش عامة ، ومن وصف الخيل والسفن الحربية والسيوف والرماح والنبال والقسي والدروع ، وانفراد البحتري بوصف التروس والبَيْض والرايات والمنجنيق(٢) أما المتنبي فلم ينفرد بذكر عتاد ما .

ثم ذكرت ما اشتركا فيه من شعر يمثل وصف التحرك إلى ميدان القتال من حيث اختيار الوقت المناسب ، وكيف تكون هيئة الخيل عند السير وما يحدثه الجيش من جلبة وأصوات حال السير ، وذكرت ما انفرد به البحتري في بيان مكان القائد عند الإغارة أو القفول ، وكذا وصفه سير الجند إلى الأعداء ، وأعقبته بذكر ما انفرد به المتنبي من إيضاحه ــ أكثر من البحتري ــ حال الخيل عند الإغارة ، وكذا انفراده ببيان أهمية الرأي ووضع الخطط القتالية قبل الوصول إلى ميدان المعركة ، وبيان مرافقة الطير للجيش ، وحركة الجيش المتموجة ، كما وقفت على معنى اقتفى به المتنبي

---

(١) الرسالة من (ص ٣٥٦ إلى ص ٣٥٩) .

(٢) الرسالة من (ص ٣٦٠ إلى ص ٣٨١) .

آثار البحترى وهو اكتساء الخيل بالغبار .[١]

ثم ذكرت ما اشتركا فيه من المعانى التى تمثل المرحلة الرابعة وهى وصف ما يحدث فى ميدان القتال من كثرة الغبار واقتفاء المتنبى أثر البحترى فى معنى إضاءة السيوف ميدان المعركة .[٢]

وكذا اشتراكهما فى وصف شدة الحرب وبدء القتال وانفراد البحترى بالحديث عن طرق القتال[٣] وكذا وصفهما شدة الضرب وقوة الطعن ومواقعهما ، وما انفرد به كل منهما وما اقتفى به المتنبى آثار البحترى[٤] ووصفهما الرمى بالنبال والقسى وانفراد المتنبى بوصف القلاع الموجودة فى ميادين المعارك .[٥]

ثم ذكرت ما اشتركا فيه من المعانى مما يمثل المرحلة الخامسة وهى الأخيرة من مراحل الحرب أو ما سميتُهُ (فى أُعقاب المعركة) من تصويرهم لحجم الخسائر وكثرة القتلى والدماء ووقوع الطير والسباع على جثثهم ، ووصف الأسرى والسبى ، ووصف المنهزمين وبيان آثار الفرح بالنصر.[٦] والشفاعة لبعضهم لدى الممدوح[٧] وما انفرد به

---

(١) الرسالة من (ص ٣٨٢ إلى ص ٣٨٧) .
(٢) الرسالة من (ص ٣٨٨ إلى ص ٣٩٠) .
(٣) الرسالة من (ص ٣٩٠ إلى ص ٣٩٢) .
(٤) الرسالة من (ص ٣٩٢ إلى ص ٤٠١) .
(٥) الرسالة من (ص ٤٠١ إلى ص ٤٠٢) .
(٦) الرسالة من (ص ٤٠٣ إلى ص ٤٢١) .
(٧) الرسالة من (ص ٤٢٢ إلى ص ٤٢٥) .

البحترى من وصف السجن (١) والمصلوبين ومراسلة الخليفة بأخبار النصر (٢) وما انفرد به المتنبى من وصف إحراق الديار (٣) وتهديد الأعداء والتحريض عليهم ، وطلب الأعداء الهدنة ومراسلتهم ممدوحه فى ذلك . (٤)

وأما الباب الثالث فكان بعنوان : (الخصائص الفنية لشعر الحرب عند الشاعرين) وفيه ثلاثة فصول : الأول منها فى (الخصائص الفنية لشعر الحرب عند البحترى) وقد تحدثت فيه أولا عن خصائص الشكل من حيث الألفاظ والتراكيب والصورة البيانية والقيم الصوتية والبناء الفنى لقصيدة الحرب ، ثم عن خصائص المضمون من حيث التجربة الشعرية والعاطفة والأفكار ، فأما ألفاظ شعر البحترى الحربى فمن خلال المقاييس النقدية للألفاظ ظهر لى أن البحترى كان حريصاً على اختيار ألفاظ شعره عامة والحربى خاصة ، وأنها فى الغالب ألفاظ مألوفة مأنوسة ، جامعة بين الجزالة والفصاحة والمناسبة للغرض ، ولا يعنى هذا عدم وجود غريب فيها أو ألفاظ قوية الجرس فقد يستدعى المقام ذلك أحياناً (٥)

أما تراكيب شعره الحربى فقد اتضح لى أنها حسنة السبك جيدة التأليف ذات دلالة ظاهرة لديه ، تدل على انتقائه لها بحيث لو وضع غيرها بدلاً عنها لم يف بالمعنى المراد ، كما أن جمل تراكيبه تتراوح بين الخبرية والإنشائية ، والخبرية لديه أكثر ، كما يحمد له خلو تراكيبه من التقديم والتأخير الذى يؤدى إلى تعقيد الكلام . (٦)

---

(١) الرسالة ص (٤١٢) .

(٢) الرسالة ص (٤٢١ - ٤٢٢) .

(٣) الرسالة ص (٤١٥) .

(٤) الرسالة ص (٤٢٢ - ٤٢٣) .

(٥) الرسالة من (ص ٤٢٨ إلى ص ٤٣٦) .

(٦) الرسالة من (ص ٤٣٦ إلى ص ٤٤١) .

وأما الصورة البيانية فقد وقفت عند دراسة التشبيه والاستعارة والكناية فى شعره الحربى . وقد وجدت له قدراً من الصور الدالة التى تشترك فى رسم لوحات كل موضوع من موضوعات شعر الحرب مما يدل على متابعة منه لخطوات المعارك وإعطائه كل مرحلة منها ما تستحقه من التصوير والإبداع ، وقد مثلت لذلك .(١)

وأما القيم الصوتية فقد أجريت دراسة الوزن والقافية على خمس وخمسين قصيدة له اتضح من خلالها أن أكثر قصائده الحربية كانت على بحور قوية تناسب شعر الحرب وهى الطويل والكامل والخفيف وقد جاء على قلة بقصائد من بحور سريعة الحركة مثل الرَّمَل،وقد أبرزت من خلال تلك الدراسة بالمثال مدى استثمار البحترى لتلك الأوزان حسب ما يستدعيه المقام .(٢)

كما أن أكثر قوافيه جاءت على حروف روى الباء والنون ثم الدال والراء واللام والميم ، وهذه قواف ذات جرس فخم يتناسب وشعر الحرب وبالأحرى إذا جاءت فى بحور طويلة ، وأكثر قوافيه مطلقة ، والمقيد منها لا يأتى به إلا من بحور خفيفة ، وقد يصل قوافيه شديدة الجرس بهاء وصل مقيّدة تزين القافية ، كل ذلك بالشاهد والمثال .(٣)

ومن حيث الموسيقى الداخلية وجمالها فالبحترى شيخ الصناعة فى هذا الباب وقد ذكرت بعض أقوال النقاد حول ذلك ثم ذكرت أمثلة

---

(١) الرسالة من (ص ٤٤٢ إلى ص ٤٥٥) .

(٢) الرسالة من (ص٤٥٦ إلى ص ٤٦٤) .

(٣) الرسالة من (ص٤٦٤ إلى ص ٤٦٧) .

لهذا الجمال من شعره الحربى مع بيان أسبابه كقصر المفردات وترديد بعض الحروف والكلمات واستغلال الثلاث المنون من الكلمات واستثمار ظاهرة الاشباع ، والتقسيم واختيار أعذب المحسنات البديعية دون تكلف أو عناء .(١)

وأما البناء الفنى لقصائده التى تتصل بالحرب فهى قصائد مختلطة بالأغراض الأخرى ، وذات مقدمات طللية أوغزلية تطول وتقصر ، وقد عنى بابتداءات تلك القصائد كثيراً ومن حيث تخلصه حين الانتقال من غرض إلى آخر فلم يكن من المشهورين بحسنه ، ولم يكن يتكلفه ، وله منه مواطن حسنة ، ومن حيث ختامه فهو أيضا غير حسن فى أغلبه لأنه يقف فجاءة دون تمهيد ، وإن مهد فبثناء على شاعريته وشعره ، أو بدعاء للممدوح أو بحكمة ، وأحسنه عوده إلى مدح الممدوح ، وقد ذكرت أمثلة لختامه الحسن وضده .(٢)

وأما عن الخصائص الفنية من حيث المضمون فقد درست التجربة الشعرية فى شعره الحربى واتضح لى أن تجاربه تجارب ناضجة نابعة عن دافع صادق ، وقد أوفاها حقها من الصياغة فى أكثر الأحيان بينما يقصر فى ذلك أحياناً .

وأما العاطفة فقد اتضح لى أن عاطفة البحترى عاطفة دينية تصاحبها ثورة عارمة على الأعداء ، وقد تتبدل وترق إذا كانت فى وصف الحروب الدائرة بين الأهل والأقارب كعاطفته حال وصفه حروب ربيعة

---

(١) الرسالة من (ص ٤٦٧ الى ص ٤٧٥) .

(٢) الرسالة من (ص ٤٧٦ الى ص ٤٨١) .

(٣) الرسالة من (ص ٤٨٢ الى ص ٤٨٥) .

وتكتمل لقصائد البحترى الحربية مقاييس العاطفة الأربعة الثبات والسمو والقوة والصدق .(١)

وأما الأفكار فقد تحدثت عن أشهر مقاييسها النقدية ، وقد اتضح لى من خلال هذه الدراسة مايلى :

١ـ أن أغلب أفكار البحترى جامعة لعناصر الملاءمة وهى التوائم والتقسيم وعطف المناسبات فقد كان حريصاً على أن يقرن كُلَّ معنى بلِفْقِهِ .

٢ـ أنها معان جلية واضحة ، وهذا ما يستدعيه شعر الحرب فإنه بمثابة تقرير واف بما كان فى حومة الوغى ، وقد أعان على وضوح معانيه خلو شعره من التعقيد اللفظى والمعنوى .

٣ـ أن جلها عميق بعيد عن السطحية ، وقد دل على ذلك بما يجمعه فيها من المعانى الحسنة والصفات المستحسنة .

٤ـ أن أكثر معانيه تقليدية قد اقتفى فيها آثار السابقين ، وإن كان يعرضها عرضاً جديدا يُحْسَبُ له ، وقد وجدت له بعض المعانى الجديدة مثل وصفه حرب البحر والمصلوبين والسجون .

٥ـ أنها فى الغالب مقتصدة لا غلو ولا إغراق فيها ، وإن وجد له شىء من المبالغات فإنه لا يصل حد الإسراف .(٢)

---

(١) الرسالة من (ص ٤٨٥ إلى ص ٤٩٢).

(٢) الرسالة من (ص ٤٩٣ إلى ص ٥٠٨).

وأما الفصل الثانى ففى (الخصائص الفنية لشعر الحرب عند المتنبى) وقد تحدثت فيه على غرار حديثى فى الفصل السابق مستغنياً عن إعادة التعاريف والمقاييس البلاغية والنقدية بالإشارة إلى ما تقدم .

فأما ألفاظ شعر أبى الطيب الحربية فقد اهتم بها وانتقاها حتى شكّل لنفسه ما يشبه المعجم من الألفاظ والمصطلحات ، وقد اتصفت ألفاظه غالباً بالجزالة والألف والأنس والملاءمة للغرض فى معناها ومبناها ، كما اختص باستعمال بعض الألفاظ فى أوصاف الحرب كاستعماله فيها ألفاظ الغزل والنسيب ، هذا وإن عيب عليه شئ من الغريب الوحشى أو استكثاره من قول ذا ، أو تكراره اللفظ لغير ما علة جمالية ، لكنها فى شعره الحربى قليلة . (١)

وأما تراكيب شعره الحربى فحسنة التأليف ، جيدة السبك ، تتراوح جملها بين الخبرية والإنشائية ، والخبرية أكثر لكون القصائد تسجيل لوقائع مضت مجال الإخبار فيها أرحب ، ومن خصائص تراكيبه حسن استثماره أسلوب التقديم والتأخير وإكثاره مما عبر عنه الثعالبى بـ (حسن سياقة الأعداد) ومما ورد له فى شعره الحربى على قلة التواء العبارة ، وتكرار مالا ضرورة له . (٢)

وأما الصورة البيانية فقد أبدع فى أكثر صوره حتى عد الثعالبى التشبيه من حسناته وصوره تدل على دقته فى متابعته خطوات الحرب مع تخيل عميق وخيال مبتكر ، مع تفتيق للصورة الواحدة وتكرارها أو نقلها إلى عدة موصوفات . (٣)

---

(١) الرسالة من (ص ٥١٠ الى ص ٥٢٢) .

(٢) الرسالة من (ص ٥٢٢ الى ص ٥٣١) .

(٣) الرسالة من (ص ٥٣٢ الى ص ٥٧١) .

وأما القيم الصوتية فمن حيث الوزن فقد نظم أبو الطيب على البحور الرصينة أكثر شعره الحربى كالطويل والكامل والوافر والخفيف والبسيط ، وله عدد من القصائد على بعض البحور السريعة الوقع كالمتقارب والرمل .(١)

ومن حيث القافية فأكثر قوافيه اللام والميم والدال والباء والقاف وجلها قواف مطلقة ، وله القليل من القوافى المقيدة ، هذا وقد كان نظمه على بعض القوافى الحوش مدعاة لطعن الطاعنين عليه لتكلفه بعض قوافيها أو لقبح معانيها .(٢)

ومن حيث الموسيقى الداخلية فإن أبا الطيب ممن برع فى اختيار ألفاظ شعره ، وبرع فى صياغتها مع مقاطع البيت ، فجاءت أكثر قصائده ذات هزيج مطرب وجرس عذب ، ويبدو جمال هذه الموسيقى لديه فى التناظر والمحسنات البديعية ، فجاء من التناظر بما يشبه التقسيم الهندسى للبيت فإنه ناظر بين بعض الالفاظ وكرر بعضها سواء فى كلا الشطرين أو فى شطر واحد فى بيت أو أكثر . وجاء من المحسنات البديعية بما عرف بالتقسيم فأبدع فيه ولم يخل منه إلا فيما ندر من قصيدة من قصائده ، وجاء أيضا ببعض الطباقات والجناسات ولكنه قد يتكلف بعضها .(٣)

وأما البناء الفنى لقصيدة الحرب لديه فمن حيث افتتاحاتها فعلى الإجمال حسنة ، وقد يعاب عليه بعضها ، ومقدمات هذه القصائد

---

(١) الرسالة من (ص ٥٧٢ إلى ص ٥٧٦) .

(٢) الرسالة من (ص ٥٧٦ إلى ص ٥٨٣) .

(٣) الرسالة من (ص ٥٨٣ إلى ص ٥٩٣) .

على نوعين ذات مقدمات إما طللية وغزلية ،أو تجديدية ، وقصائد أخر بدون مقدمات هجم فيها على الغرض مباشرة ، واتضح لى أن أكثر مقدماته التجديدية أو القصائد التى ليس لها مقدمات أصلاً تتمثل فى مقدمات سيفياته .

ومن حيث العرض فقصائده التى تعددت أغراضها تحتاج منه إلى تخلص وقد أبدع فيه وأجاد وشهر به ولئن وقع فيها هو معيب منه ، والقصائد التى ليس لها مقدمات تعد كُلّاً متكاملاً فلا تستدعى منه هذا التخلص ، لكنه قد يفصل بينها بالفخر بنفسه والثناء على شاعريته وشعره .

ومن حيث الخاتمة فقصائده على نوعين قصائد ذات خاتمة لا تشعرنا بنهايتها ، وأخر ذات خاتمة أشعرنا بنهايتها وهى أجمل خاتماته ، إذ ختمها بدعاء أو حكمة أو فخر بشاعريته وشعره .(١)

وأما التجربة الشعرية لديه فهى إما شخصية واما اجتماعية ، ولكون أكثر قصائده مدحاً تختلط معه بعض الاغراض الأخرى ، فإن التجربة فى أكثرها خليط من الشخصية والاجتماعية ، وقد ظهر لى من خلال تحليل بعض النصوص صدق تجاربه وتوائم الصياغة معها .(٢)

وأما العاطفة فقد ظهر لى أن عواطفه الشخصية نار داخلية تلهب اللفظ وتوقد الصورة الشعرية ، وقد كان يضفى على شعره منها ما يبرز لنا رؤيته للحياة ، وموقفه منها فكان ذلك سببا فى صدقها وقوتها

---

(١) الرسالة من (ص ٥٩٤ إلى ص ٦٠٩) .

(٢) الرسالة من (ص ٦١٠ إلى ص ٦١٩) .

وثباتها ، كما كانت العاطفة الدينية كثيراً ما تظهر فى ثنايا هذه العاطفة الشخصية لأنها فى وصف حروب بين الاسلام والكفر.(١)

وأما الأفكار فقد درستُ أفكاره عن طريق أشهر مقاييس الأفكار فمن حيث التلاؤم والتفكك ظهر لى أن أفكاره متلائمة فى أكثرها ، ومعانيها آخذ بعضها برقاب بعض ، وقد يحدث شئ من التفكك عند ما يدخل بين الفكرة والفكرة فخراً بنفسه أو شاعريته.

ومن حيث الوضوح والغموض تبين لى بُعْدُها عن الغموض والالتواء وإن وجد غموض فى بيت واحد بين عدد من القصائد ، فمرده لتعقيد فى التركيب أو لعدم نضج الفكرة قبل التعبير عنها .

ومن حيث العمق والسطحية فقد عرف عنه عمق أفكاره ودقة معانيه ولقد ظهر هذا جلياً متمثلا فى كثرة الحِكم ، وتفتيقه الصورة الواحدة ، وغوصه فى أعماق النفس الانسانية .

ومن حيث التقليد والتجديد فله معان تقليديه وخاصة فى مطالع قصائده ، بيد أن معانى شعره الحربى أكثرها جديد ظهرت فيه براعته ومن ذلك استعماله معانى الغزل والنسيب فى أوصاف الحرب ، ومنها حسن تصرفه فى مديح سيف الدولة بجنس السيفية .

ومن حيث المبالغة والاقتصاد فأكثر معانيه مبنية على المبالغة المقبوله والمذموم منها فى شعر الحرب قليل.(٢)

---

(١) الرسالة من (ص ٦٢٠ إلى ص ٦٣١) .

(٢) الرسالة من (ص٦٣٢ إلى ص ٦٥٩) .

وأما الفصل الثالث ففى الموازنة بين الخصائص الفنية لشعر الحرب عند الشاعرين ، كانت هذه الموازنة على عدة نقاط تبعاً لما درسناه من خصائص الشكل والمضمون بادئا بالموازنة بينهما من حيث الألفاظ وقد اتضح لى أن المتنبى أجزل ألفاظاً من البحترى وأن شعر البحترى خالٍ من غريب اللغة ووحشيها . (١)

ومن حيث التراكيب عندهما فكلها حسنة السبك جيدة التأليف منتقاة ، الجزالة غالبة عليها بيد أنها لدى البحترى تختفى وراء حسن النغم ، ويحمد للبحترى خلو تراكيبه من التقديم أو التأخير المخل وقد وازنت بينهما فى قصيدتين من البحور الطويلة فظهر لى خلالها سلامة تراكيب البحترى ، من التقديم والتأخير المخل ومن الحذف المبهم ، كذلك ظهر لى جمال شعر المتنبى حينما استثمر هذين الأسلوبين بوعى وإدراك . (٢)

ومن حيث الصورة البيانية فقد أحسن الشاعران تصوير الحرب عن طريق التشبيه والاستعارة والكناية ، وظهر لى من خلال ذلك أن المتنبى أدق تصويراً من البحترى فى رسم الصورة ، وأعمق غوصاً منه فى خبايا الخيال . (٣)

ومن حيث القيم الصوتية فقد ظهر لى فى دراسة الوزن أن البحترى لم يصغ بكثرة على أوزان الشعر كما صاغ المتنبى وهذا له دلالة فنية تعود إلى امتزاج نَفَسِ المتنبى بالحرب من ناحية وإلى ما هيء له من مدوحين

---

(١) الرسالة من (ص ٦٦١ إلى ص ٦٦٣) .

(٢) الرسالة من (ص ٦٦٣ إلى ص ٦٦٧) .

(٣) الرسالة من (ص ٦٦٨ إلى ص ٦٧٣) .

كثيرى الحروب من ناحية أخرى . (١)

ومن حيث القافية فقد أنفرد المتنبى بالنظم على حروف روى التاء والذال والزاى والشين وفى هذا دلالة على قدرته على النظم فى هذه القوافى الحوش حتى فى الأغراض الجادة . (٢)

وقد وازنت بينهما فى قصائد ذات روى لا يسلس قياده إلا لشاعر مفلق وهو الحاء ، فاتضح من خلال ذلك سلاسة قياد القافية للبحترى ونفرتها لدى المتنبى . كما قارنت بينهما فى القصائد التى اتفقا فيها من حيث الوزن والقافيه فوجدت أن المتنبى قد وافق البحترى فى عدد قوافى كل قصيدة بلغ بعض الاحيان خمس عشرة كلمة مما يدل على أثر البحترى فى المتنبى وتتلمذ المتنبى على شعر البحترى . (٣)

ومن حيث الموسيقى الداخلية فقوام موسيقا البحترى حرصه على جناس الاشتقاق والتكرار وعطف النظير على نظيره ، وقوام موسيقى المتنبى حرصه على التكرار ، بيد أنه ليس على نسق واحد كما هو عند البحترى مما يفقده نوعاً من الموسيقى العذبة ، ولكن فيه دلالة على قدرته على الصنعة وحرصه عليها ، كما برز فى التقسيم الذى أكثر منه ولم تخل منه قصيدة واحدة . (٤)

ومن حيث بناء القصيدة الحربية فإنها لم تستقل عن سائر أغراض

---

(١) الرسالة (ص ٦٧٤) .

(٢) الرسالة من (ص ٦٧٤ إلى ص ٦٧٥) .

(٣) الرسالة من (ص ٦٧٥ إلى ص ٦٨١) .

(٤) الرسالة من (ص ٦٨١ إلى ص ٦٨٤) .

الشعر إلا لدى المتنبى فى بعض قصائده ، وابتداءات البحترى فى عموها أحسن من ابتداءات المتنبى ، ويندر أن نجد له ابتداءً معيباً بخلاف المتنبى .

وقصائد البحترى كلها ذوات مقدمات تقليدية أما قصائد المتنبى فما كان منها بمقدمة فقد تكون هذه المقدمة تقليدية وقد تكون تجديدية ، وقد يخلى القصيدة من المقدمات أصلاً فيهجم بها على الغرض مباشرة .(١)

أما عرضهما للقصيدة وما يحتاجان فيه إلى تخلص منها فالبحترى لم يكن مشهوراً بحسن التخلص وإن أجاد فى بعضه ، وأما المتنبى فكان مشهوراً بحسنه وبتكلفه وقد يقع منه بمواطن قبيحة ، وقد لا يحتاج إلى هذا التخلص فى القصائد ذوات الغرض الواحد أى التى لا يقدم لها بمقدمة وإنما يبدأ بالحديث عن غرضه لأول وهلة .

وأما الخاتمة فهما متقاربان فى عدم حسن الخاتمة فى أغلب قصائدهما لأنهما قد يقفان بك فجاءة دون تمهيد ، وقد يمهدان لذلك بما لا يشعر بنهاية قاطعة ، بيد أن المتنبى قد يختم بحكمة جميلة مؤثرة .(٢)

ومن حيث التجربة الشعرية لديهما فقد سيطرت على قصائدهما التجربة الشخصية والاجتماعية لكن تجربة المتنبى أكثر ظهوراً فى قصائده وقد وازنت بين تجاربهما من خلال قصيدتين فظهر لى أن المتنبى أشد استقصاء واستيفاء لتجاربه .(٣)

---

(١) الرسالة من (ص ٦٨٥ إلى ص ٦٩١) .

(٢) الرسالة من (ص ٦٩١ إلى ص ٦٩٣) .

(٣) الرسالة من (ص ٦٩٤ إلى ص ٦٩٧) .

ومن حيث عاطفتهما فقد سيطرت عليهما العاطفة الدينية المشوبة بالفرح والنشوة بما حققه ممدوحهما من انتصارات ، وهناك عاطفة أخرى قد تظهر لدى الشاعرين حين وصفهما حروب الأقارب أو الخارجين على الممدوح من العرب وهى عاطفة الحزن على مآلهما فيرقان لهم ، ويشفعان فيهم ، وعاطفة المتنبى أكثر ظهوراً من عواطف البحترى

هذا وتظهر على قصائد المتنبى عاطفة شخصيته لما يلاقيه من أعدائه ، والشاعران فى ثبات العاطفة وصدقها سواء . (١)

ومن حيث الأفكار التى عالجها كل منهما فالبحترى أكثر وضوحاً من المتنبى ، والمتنبى أشد عمقاً من البحترى ولذلك فهو ينقل المعنى الواحد إلى عدة صور كما يفتّق من المعنى الواحد عدة معان .

ومعاني البحترى كلها تقليدية إلا اذا استثنينا تناوله لحرب البحر وأحوال المسجونين والمصلوبين ، أما معانى المتنبى فله فيها الكثير من المعانى الجديدة كمدحه سيف الدولة بجنس السيفية ، واستخدامه معانى الغزل فى حديث الحروب .

والبحترى فى الغالب مقتصد لا يبالغ كثيراً وإن بالغ لا يفرط أو يحيل ، بينما نجد المتنبى يعمد إلى المبالغة دائما . (٢)

وبعد هذا التلخيص الذى احتوى على كثير من النتائج الخاصة ببعض الجزئيات أذكر هنا بعض النتائج العامة وهى :

---

(١) الرسالة من (ص ٦٩٨ إلى ص ٧٠٢) .

(٢) الرسالة من (ص ٧٠٣ إلى ص ٧٠٧) .

١ – أنني قد أمطت اللثام عن شاعرية البحترى فى هذا الجانب ، الذى لم يحظ بالدراسة التى يستحقهاوقد وجدته مجيداً وصف الحروب متابعًا لكل خطواتها .

٢ – أن شعرنا العربى زاخر بملاحم تخلد أمجاد الأمة وتصف أعظم القادة وأشهر الحروب ، ولكنه مفرق فى الدواوين لم يجمع وقد تمكنت هنا من جمع ما تفرق فى ديوانى البحترى والمتنبى على حسب مراحل الحروب وخطواتها .

٣ – أن هذين الشاعرين لم يكونا بمنأى عما يدور حولهما من أحداث الحروب فصوراها خطوة خطوة ، بدقة وأمانة شعرا خالداً وسجلاً حافلاً .

٤ – اننى تمكنت من أن أثبت اقتفاء أبى الطيب أثر البحترى فى بعض الصور الجزئية مما أرى أن أحدا من الدارسين لم يعرض له من قبل وليس فى ذلك اثبات تفوق البحترى على المتنبى وإنما فيه إثبات تتلمذ المتنبى على شعره وأنه لم يكن بعيداً عن هذا الشعر والاطلاع عليه.

هذا وأننى أدعوا الدارسين إلى تتبع شعر الحرب فى شعر الشعراء – غير هذين – ليكون لنا من وراء ذلك سجل حافل بصور الجهاد الإسلامى على مر العصور .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير النبيين سيدنا محمد الأمين .

فهرس

المصادر والمراجع

القرآن الكريـــــم

١ ـ أبو الطيب المتنبي للمستشرق د / ريجيس بلاشير
ترجمة د / إبراهيم الكيلاني .
الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ـ دار الفكر ـ دمشق .

٢ ـ أبو الطيب المتنبي حياته وخلقه وشعره وأسلوبه : محمد كمال حلمي بـــــك .
الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ـ مكتبة سعد الدين ـ دمشق .

٣ ـ أبو الطيب المتنبي حياته وشعره " مجموعة مقالات لعدد من الأدباء"
الطبعة الأولى ١٩٨٢م ـ المكتبة الحديثة للطباعة والنشر ـ بيروت .

٤ ـ أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقيين د / مصطفى الشكعة .
الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ عالم الكتب ـ بيروت .

٥ ـ اتجاهات الشعر في القرن الرابع الهجري من خلال يتيمة الدهر .
د / نبيل خليل أبو حاتم .
دار الثقافة ـ الدوحة ـ ١٤٠٥ هـ .

٦ ـ أخبار أبي تمام ، لأبي بكر محمد بن يحي الصولي
تحقيق / محمد عبده عزام وآخرين .
الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ ، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .

٧ ـ أخبار البحتري لأبي بكر محمد بن يحي الصولي
تحقيق / صالح الأشتر .
الطبعة الأولى ١٣٧٨ هـ ـ المجمع العلمي العربي ـ دمشق .

٨ــ أدباء العرب فى الأعصر العباسية ، بطرس البستانى
دار الجيل ــ بيروت ١٩٧٩م

٩ــ أسرار البلاغة ، للإمام عبد القاهر الجرجانى
تعليق / محمد رشيد رضا
دار المعرفة ــ بيروت ١٤٠٣ هـ

١٠ــ الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين للخالديّين
تحقيق / د . محمد يوسف نجم .
الطبعة الأولى للمجلد الأول ١٩٥٨م ، والمجلد الثانى عام١٩٦٥م
لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة .

١١ــ أصول النقد الأدبى ، للاستاذ / أحمد الشايب .
الطبعة الثامنة ١٩٧٣م ــ دار النهضة المصرية ـ القاهرة .

١٢ــ إعجاز القرآن ، لأبى بكر محمد بن الطيب الباقلانى
تحقيق / عما الدين أحمد حيدر
الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت .

١٣ــ الأعلام ، لخير الدين الزركلى
الطبعة السادسة ١٩٨٤م ــ دار العلم للملايين ــ بيروت

١٤ــ الأغانى ، لأبى الفرج الأصبهانى
طبعة دار إحياء التراث العربى ـ نشر مؤسسة جمال للطباعة والنشر بيروت (د .ت) .

١٥ــ أمالى المرتضى (غرر الفرائد ودرر القلائد) للشريف المرتضى
تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم
الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ ــ دار الكتب العربية ــ القاهرة .

١٦ـ أمراء الشعر العربي في العصر العباسي د / أنيس المقدسي
الطبعة الخامسة عشر ١٩٨٣م ـ دار العلم للملايين ـ بيروت

١٧ـ الاوراق (أخبار الراضي والمتقي لله) لأبي بكر الصولي
نشر ج ـ هيورث ـ دن ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ ـ دار المسيرة ـ بيروت .

١٨ـ البداية والنهاية لابن كثير
الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ ـ مكتبة المعارف ـ بيروت .

١٩ـ بلدان الخلافة الاسلامية للمستشرق كي لسترنج
ترجمة بشير فرنسيس ـ وكوركيس عواد
الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

٢٠ـ البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
تحقيق عبد السلام هارون
الطبعة الرابعة ١٩٧٥ م ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة .

٢١ـ تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)
عبد الرحمن بن محمد بن خلدون
طبعه مصوره عام ١٣٩١ هـ ـ من طبعة دار الطباعة الخديوية ببولاق ـ القاهره ١٢٨٤هـ .

٢٢ـ تاريخ الأدب العربي د / عمر فروخ
الطبعة الرابعة ١٩٨١م ـ دار العلم للملايين ـ بيروت .

٢٣ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي والثقافي د / حسن إبراهيم حسن .
الطبعة السابعة ١٩٦٤ م ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة .

٢٤ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي
دار الكتب العلمية ـ بيروت (د .ت) .

٢٥ـ تاريخ الخلفاء لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ ـ المكتبة التجارية ـ القاهرة

٢٦ـ تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
الطبعة الثالثة ١٩٧٩م ـ دار المعارف ـ القاهرة .

٢٧ـ التحفة البهية والطرفة الشهية (مجموعة رسائل)
الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ـ دار الافاق الجديدة ـ بيروت .

٢٨ـ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع أحمد الهاشمي
الطبعة الثانية عشرة ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت (د .ت)

٢٩ـ الحرب في شعر المتنبي د / محمود حسن عبد ربه
الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ ـ دار الشروق ـ جدة .

٣٠ـ حسن المحاضرة في ملوك مصر والقاهرة ، جلال الدين السيوطي
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
الطبعة الأولى ١٩٦٧م ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة .

٣١ـ الحماسة لأبى تمام تحقيق عبد الله عبد الرحيم عسيلان .
الطبعة الأولى - نشر جامعة الامام - الرياض ١٤٠١هـ

٣٢ـ حياة البحترى وفنه د / أحمد أحمد بدوى
مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٣٧٥ هـ .

٣٣ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر البغدادى
الطبعة الأولى - دار صادر - بيروت

٣٤ـ الخيال الشعرى عند أبى الطيب المتنبى د / طه مصطفى أبو كريشة
الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ - دار التوفيقية - القاهرة .

٣٥ـ الخيال الشعرى فى شعر الوصف عند البحترى د / طه مصطفى
أبو كريشة
الطبعة الأولى ١٩٨٣ م - مكتبة الملك فيصل الاسلامية - القاهرة .

٣٦ـ دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجانى .
تحقيق محمود محمد شاكر
مكتبة الخانجى - القاهرة ١٩٨٤م

٣٧ـ ديوان ابن الروس
تحقيق د / حسين نصار
الهيئة المصرية العامة للكتاب - مركز تحقيق التراث - القاهرة ١٣٩٣هـ

٣٨ـ ديوان أبى تمام
شرح وتعليق د / شاهين عطية
الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ - مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبنانى
بيروت .

٣٩ـ ديوان أبى الطيب المتنبى بشرح أبى البقاء العكبرى (التبيان في شرح الديوان)
تحقيق مصطفى السقا وآخرين
مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض . (د .ت)

٤٠ـ ديوان أبى فراس الحمدانى
شرح وتعليق عباس عبدالساتر
الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٤١ـ ديوان البحترى
تحقيق حسن كامل الصيرفى
الطبعة الثانية ـ ١٩٧٧م ـ دار المعارف ـ القاهرة .

٤٢ـ الديوان فى الأدب والنقد عباس محمود العقاد وابراهيم المازنى
الطبعة الثالثة ـ دار الشعب ـ القاهره (د .ت)

٤٣ـ ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى
مكتبة القدسى ـ القاهرة ـ (د .ت)

٤٤ـ الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنترينى
تحقيق د / إحسان عباس
الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ، تونس ـ ١٣٩٥ هـ

٤٥ـ رسائل الجاحظ
تحقيق عبدالسلام هارون
الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ـ مكتبة الخانجى ـ القاهرة

٤٦ـ الرسالة الحاتمية لابى على محمد بن الحسين الحاتمى
ضمن كتاب التحفة البهية والطرفة الشهية
الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت

٤٧ـ رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى
تحقيق د / عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)
الطبعة السادسة ١٩٧٧م ـ دار المعارف ـ القاهرة .

٤٨ـ الرسالة الموضحة فى ذكر سرقات أبى الطيب وساقط شعره لابى على الحاتمى
تحقيق محمد يوسف نجم ـ
دار صادر ودار بيروت ١٣٨٥ هـ ـ بيروت

٤٩ ـ سرح العيون بشرح رسالة ابن زيدون لجمال الدين بن نباته المصرى
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
المكتبة العصرية ١٤٠٦ هـ ـ صيدا ـ لبنان .

٥٠ـ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لأبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى
المكتبة التجارية للطباعة والنشر ـ بيروت ـ (د.ت) .

٥١ـ شرح ديوان أبى الطيب المتنبى (معجز أحمد) لأبى العلاء المعرى
تحقيق د / عبد المجيد ذياب .
الطبعة الأولى ١٩٨٦ م ـ دار المعارف ـ القاهرة .

٥٢ـ شرح ديوان حسان بن ثابت ، عبد الرحمن البرقوقى
طبعة دار الأندلس ـ الطبعة الثالثة ـ بيروت عام ١٩٨٣ م

٥٣ ـ شرح ديوان المتنبي ـ عبد الرحمن البرقوقي
دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى

٥٤ــ شعر المتنبى دراسة فنية د / مصطفى أبو العلا
مكتبة نهضة الشرق ـ القاهرة ـ ١٩٧٦م

٥٥ــ الصبح المنبى عن حيثية المتنبى ، يوسف البديعى
تحقيق مصطفى السقا وآخرين
الطبعة الثانية ١٩٧٧ م ـ دار المعارف ـ القاهرة

٥٦ــ الصناعتين " الكتابة والشعر " لأبى هلال العسكرى
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى
الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ ـ دار إحياء الكتاب العربى ـ القاهرة

٥٧ــ الصنعة الفنية فى شعر المتنبى دراسة نقدية د / صلاح عبد الحافظ
الطبعة الأولى ١٩٨٣م ـ دار المعارف ـ القاهرة .

٥٨ــ ضحى الاسلام ، لأحمد أمين
الطبعة العاشرة ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت (د.ت)

٥٩ــ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة العلــــوى
دار الكتب العلمية ـ بيروت ــ ١٤٠٢ هـ .

٦٠ــ ظهر الاسلام ، لأحمد أمين
الطبعة الخامسة ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت (د.ت)

٦١ــ عبث الوليد فى الكلام على شعر أبى عبادة الوليد بن عبيد البحترى
لأبى العلاء المعرى
تحقيق محمد عبد الله المدنى
الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ ـ دار الرفاعى للنشر ـ الرياض .

٦٢ـ العرف الطيب بشرح ديوان أبى الطيب للشيخ ناصيف اليازجى
(طبعة غير موثّقة بأيّ وجهٍ)

٦٣ـ العصر الجاهلى د / شوقى ضيف
الطبعة العاشرة ١٩٨٢م ـ دار المعارف ـ القاهرة .

٦٤ـ العصر العباسى الأول د / شوقى ضيف
الطبعة الثامنة ١٩٨٢م ـ دار المعارف ـ القاهرة .

٦٥ـ العصر العباسى الثانى د / شوقى ضيف
الطبعة الثالثة ١٩٧٧ م ـ دار المعارف ـ القاهرة .

٦٦ـ العمدة فى صناعة الشعر ونقدة لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى
تحقيق د / مفيد قميحة
الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٦٧ـ عن اللغة والأدب والنقد " رؤية تاريخية ورؤية فنية " د / أحمد محمد العزب.
المركز العربى للثقافة والعلوم ـ بيروت ـ (د.ت)

٦٨ـ العوامل السياسية فى شعر أبى الطيب المتنبى ، عصام السويفى
الطبعة الأولى ١٩٨١ م ، دار الفكر ـ بيروت .

٦٩ـ الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، لمحمد بن على ابن طباطبا المعروف بابن الطقطقى .
مكتبة محمد على صبيح وأولاده ـ القاهرة ١٣٨١ هـ .

٧٠ـ الفن ومذاهبه فى الشعر العربى د / شوقى ضيف
الطبعة التاسعة ١٩٧٦م ـ دار المعارف ـ القاهرة .

٧١ـ فوات الوفيات والذيل عليها ، لمحمد بن شاكر الكتبى
تحقيق د / إحسان عباس
دار صادر - بيروت ١٩٧٤ م

٧٢ـ فى ميزان النقد الأدبى ، د / طه مصطفى أبوكريشة
الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ - مطبعة المليجى - الجيزه ، مصر.

٧٣ـ فى النقد الأدبى د / شوقى ضيف
الطبعة الخامسة ١٩٧٧م - دار المعارف - القاهرة .

٧٤ـ فى النقد الأدبى الحديث د / محمد عبد الرحمن شعيب
الطبعة الأولى ١٩٦٧ م - دار التأليف القاهرة .

٧٥ـ قصيدة المديح عند المتنبى وتطورها الفنى ، أيمن محمد زكى العشماوى
الطبعة الأولى ١٩٨٣ م - دار النهضة العربية - بيروت

٧٦ـ قضايا النقد الأدبى د / بدوى طبانة
طبعة دار المريخ ١٤٠٤ هـ - الرياض .

٧٧ـ قلب كافوريات أبى الطيب المتنبى من المديح إلى الهجاء ،
عبد الرحمن بن حسام الدين زاده الرومى
الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ - دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ، بيروت

٧٨ـ الكامل فى التاريخ ، لابن الأثير
الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ - دار الكتاب العربى - بيروت .

٧٩ـ الكامل فى النقد الأدبى - كمال أبو مصلح
الطبعة الخامسة ١٤٠٣ هـ - المكتبة الحديثة - بيروت .

٨٠ــ الكشف عن مساوئ المتنبي للصاحب بن عباد - رسالة ضمن كتاب
الإبانة عن سرقات المتنبي للعميدي
تحقيق د / إبراهيم الدسوقي
الطبعة الثانية عام ١٩٦٩م - دار المعارف - مصر .

٨١ــ لسان العرب ، لابن منظور الأفريقي
دار صادر بيروت (د .ت) .

٨٢ــ لغة الحب في شعر المتنبي ، د / عبد الفتاح صالح نافع
الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان الأردن

٨٣ــ المتنبي ، خليل شرف الدين " ضمن الموسوعة الأدبية الميسرة "
دار مكتبة الهلال - بيروت - ١٩٨٤م .

٨٤ــ المتنبي ، محمود محمد شاكر
مطبعة المدني - القاهرة - (د .ت) .

٨٥ــ المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث ، د / محمد عبد الرحمن شعيب
الطبعة الأولى ١٩٦٤م - دار المعارف - القاهرة .

٨٦ــ المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس ، د / محمد التونجي
الطبعة الأولى عام ١٩٧٥م - (لم يدون عليه اسم الدار التي طبعته) .

٨٧ــ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين بن الأثير
تحقيق د / أحمد الحوفي ، ود / بدوي طبانه
الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - دار الرفاعي - الرياض .

٨٨ـ المرشد إلى فهم اشعار العرب د / عبد الله الطيب
الطبعة الثانية ١٩٧٠ م ـ دار الفكر ـ بيروت .

٨٩ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبى الحسن المسعودى
تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .
الطبعة الخامسة ١٣٩٣ هـ ـ القاهرة .

٩٠ـ مطالعات فى الكتب والحياة ـ عباس محمود العقاد .
المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت (د .ت)

٩١ـ المعانى الكبير فى أبيات المعانى ـ لابن قتيبة الدينورى
الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت

٩٢ـ معجم الأدباء لياقوت الحموى
الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ ـ دار الفكر ـ بيروت .

٩٣ـ معجم البلدان لياقوت الحموى
دار إحياء التراث العربى ـ بيروت ـ ١٣٩٩ هـ

٩٤ـ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ـ لعمر رضا كحالة
الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

٩٥ـ المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية
الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ ـ دار المعارف ـ مصر .

٩٦ـ مع المتنبى د / طه حسين
الطبعة الثانية عشر ١٩٨٠م ـ دار المعارف ـ القاهرة .

٩٧ــ مع المتنبى فى شعره الحربى د / هادى نهر
الطبعة الأولى ١٩٧٩ م - الجامعة المستنصرية - بغداد
٩٨ - مقدمات سهفيات المتنبي - أحمد عبد الله المحسن
الطبعة الأولى ١٤٠٣ - دار العلوم - الرياض .
٩٩ــ مقدمة ابن خلدون
الطبعة الرابعة - دار إحياء التراث العربى - بيروت (د .ت)

١٠٠ ــ منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، لحازم القرطاجنى
تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه
الطبعة الثالثة ١٩٨٦ م - دار الغرب الإسلامى - بيروت .

١٠١ ــ الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى ، لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى
تحقيق السيد أحمد صقر
جـ ١ الطبعة الثانية ١٩٧٢م ــ دار المعارف ــ القاهرة .
جـ ٢ الطبعة الثانية ١٩٧٣م ــ دار المعارف ــ القاهرة .

١٠٢ ــ الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء ، لأبى عبد الله محمد ابن عمران المرزبانى
أشرف على طبعه / محب الدين الخطيب
الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ - المكتبة السلفية - القاهرة .

١٠٣ ــ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، لابن تغرى بردى
نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ــ القاهرة (د .ت) .

١٠٤ ــ الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلى محمد البجاوى
دار القلم - بيروت (د .ت) .

١٠٥ــ وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، لابن خلّكان
الطبعة الأولى ١٩٤٩ م ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة .

١٠٦ــ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، لأبي منصور عبد الملـــك
ابن محمد الثعالبي
الطبعة الأولى ١٩٧٩ م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحـــة
الفصل الثانى :	
موضوعات شعر الحرب عند المتنبى	٢٤٢–٣٤٨
تمهيـــد	٢٤٣
أولاً : القائد والجند	٢٤٥
القائد (٢٤٥) الجند (٢٦١)	
ثانياً : الإعداد للمعركة	٢٦٦
الجيش (٢٦٦) الخيل (٢٧٤) السفـــن الحربية (٢٨٩) السيوف (٢٩٠) الرماح (٢٩٦) النبال والقسى (٣٠٢) الـدروع (٣٠٣)	
ثالثاً : التحرك إلى ميدان القتال	٣٠٤
رابعاً : فى ميدان القتال	٣١٠
شدة الحروب (٣١٠) كثرة الغبار (٣١١) الضرب بالسيف (٣١٣) الطعن بالرمـــح (٣١٥) الرمى بالنبل (٣١٧) القلاع (٣١٩)	
خامساً : فى أعقاب المعركة	٣٢٢
كثرة القتلى (٣٢٣) الدماء (٣٢٨) الأســرى والسبى (٣٣٠) إحراق الديار (٣٣٤) المنهزمون (٣٣٤) الفرح بالنصر (٣٤١) تهديد الأعداء (٣٤٢) الأعداء ومفاوضات الصلح (٣٤٣) الاستشفاع فى بعض الخارجين أو التحريـــض عليهم (٣٤٦)	
الفصل الثالث :	
الموازنة بين موضوعات شعر الحرب عند الشاعرين	٣٤٩–٤٢٥
تمهيـــد	٣٥٠
أولاً : المشاركة فى الحروب	٣٥٠